فتح الرحمن
في
تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وَزَارَةُ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارُ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ :ISBN
9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارِ النَّوَادِرِ م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة - ذ. م. م - الكُوَيْت
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أُسِّسَت سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَامّ وَالرَّئِيسُ التَّنْفِيذِيّ

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الثاني

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة سورة آل عمران

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

[١٠١] ﴿ وَكَيْفَ ﴾ استفهامُ تعجيبٍ وتوبيخٍ .

﴿ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ القرآنُ .

﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ محمدٌ ﷺ؟! المعنى : ومن أينَ لكم الكفرُ والحالُ أنَّ القرآنَ والرسولَ حاضران لديكم؟!

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ يمتنعْ به ويلتجئْ إليه .

﴿ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ طريقٍ واضحٍ .

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ بأن يُطاع فلا يُعصى، نزلَتْ لما تفاخر الأنصارُ وأخذوا السلاحَ ليقتتلوا، فلما نزلتْ، شَقَّ ذلكَ عليهم، فقالوا : «يا رسولَ الله! ومن يقوى على هذا؟»، فأنزل الله ﴿ فَٱتَّقُوا۟

﴿ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فنسخت هذه الآية، قال مقاتل: ليس في آل عمران منسوخ غيرها[١]. قرأ الكسائيُّ: (تقَاتِهِ) بالإمالة.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: مؤمنون.

* * *

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تمسَّكوا بدينِه.

﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ كما افترقت اليهود والنصارى. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلا تَّفَرَّقُوا) بتشديد التاء[٢].

كان بين الأنصارِ الأوسِ والخزرج عداوةٌ بسبب قتلى، فتطاولتِ العداوةُ والحربُ بينهم مئةً وعشرين سنةً إلى أن أطفأَ الله عزَّ وجلَّ ذلك[٣] بالإسلام، فبدَّل ذلك بالأُلفة والمحبة بسببِ اتِّباعهم للنبيِّ ﷺ وانتقالِه إليهم، فنزلَ منةً عليهم:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٩١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٣١٥)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٨٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٦).

(٣) «ذلك» ساقطة من «ت».

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[1] أي: إنعامه عليكم أيُّها الأنصار.

﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ قبلَ الإسلام.

﴿ فَأَلَّفَ ﴾ أي: جمعَ.

﴿ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ بالإسلام.

﴿ فَأَصْبَحْتُم ﴾ فصرتُم.

﴿ بِنِعْمَتِهِۦٓ ﴾ أي: برحمته.

﴿ إِخْوَٰنًا ﴾ جمعُ أخٍ في الدين والوِلاية.

﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا ﴾ طرفِ.

﴿ حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ ما بينكم وبينَ وقوعِكم فيها إلا أن تموتوا كفاراً.

﴿ فَأَنقَذَكُم ﴾ اللهُ.

﴿ مِّنْهَا ﴾ بالإيمانِ.

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إرادةَ ثباتِكم على الهدى.

* * *

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾.

[١٠٤] ثم جاءَ بلامِ الأمرِ تأكيداً فقالَ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ أي: تكونوا أمة و(مِنْ) صِلَةٌ، ليسَ للتبعيضِ، و(الخيرُ): الإسلامُ.

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٩٣).

المخصوصون بكمال الفلاح، قال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكراً، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[1].

***

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ همُ اليهودُ والنصارى.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ ذُكِّر هُنا أرادَ الجمعَ.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وعيدٌ للذين تفرَّقوا، وتهديدٌ على التشبيه بهم.

***

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ يَوْمَ ﴾ نصبٌ على الظرف؛ أي: في يومٍ.

﴿ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ أي: وجوهُ المؤمنين يومَ القيامةِ سروراً ونوراً.

﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ أي: وجوهُ الكافرين خِزْياً ودُحوراً.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ فيقالُ لهم توبيخاً:

﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ يومَ أَخذِ الميثاقِ حينَ قالَ لهم ربُّهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ باللهِ.

---

(١) رواه مسلم (٤٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ وهم أهلُ الطاعة.

﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي: جنته.

﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمون.

* * *

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ بأنْ يأخذَ بغيرِ جُرْمٍ.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ فيُجازي كُلاًّ بعمله. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (تَرْجِعُ) بنصبِ التاء وكسر الجيم(١)، وقرأ أبو عمرٍو (يُريد ظُّلْماً) بإدغام الدال في الظاء(٢).

* * *

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٨).

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي، النوع الحادي والثلاثون، في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب.

﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ولما قال اليهودُ للمسلمين: نحن أفضلُ منكم، ودينُنا خيرٌ مما تدعوننا إليه، أنزل الله: ﴿كُنتُمْ﴾[1] أي: أنتم.

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أُظْهِرَتْ[2].

﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: ما أخرجَ الله للناس أمةً خيراً من أمة محمدٍ ﷺ.

﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإيمان.

﴿خَيْرًا لَّهُم ۚ﴾ من كفرهم.

﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبدِ الله بنِ سلامٍ.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

***

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] روي أن رؤوس اليهود عمدوا إلى مَنْ آمن منهم عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِهِ، فآذَوْهُم، فأنزلَ الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾[3] أيها المؤمنون هؤلاءِ اليهودُ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٩٣).

(٢) في «ن»: «ظهرت».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٥).

﴿إِلَّآ أَذًى﴾ باللِّسانِ؛ كالسَّبِّ والوعيدِ.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ مُنْهزمينَ.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بل تكونُ لكُمُ النُّصْرَةُ عليهِمْ.

* * *

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ حيْثُما وُجِدوا.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾ أي: عهدٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأَنْ يُسْلِموا.

﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ من المؤمنينَ ببذلِ جزيةٍ أو أمانٍ، يعني: إلا أنْ(١) يعتصِموا بحبلٍ فيأْمَنوا.

﴿وَبَآءُو﴾(٢) رَجعُوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الكفرُ والقتلُ.

﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ فإنَّ الإصرارَ على الصغائرِ يُفْضي إلى الكبائر، والاستمرار عليها يؤدِّي إلى الكفر.

* * *

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)﴾.

---

(١) «يعني إلا أن» ساقطة من «ت».

(٢) من قوله: «يا محمد حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (١/ ٤٨٣)، الآية (٨١) .... إلى قوله ﴿وَبَآءُو﴾» سقط من «ش» بمقدار (٤) لوحات من النسخة الخطية.

[١١٣] ولما أسلمَ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ وأصحابُه، قال اليهود: ما آمنَ بمحمَّدٍ[١] إلا شِرارُنا، ولولا ذلك، ما تركوا دينَ آبائهم، فأنزل الله: ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ ﴾[٢] أي: ليسَ أهلُ الكتابِ مستوينَ، بل منهم مؤمنون، ومنهم فاسقون، ثم ابتدأ مستأنِفاً مبيناً لقوله: ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ ﴾ فقال:

﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ ﴾ مستقيمةٌ.

﴿ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ ساعاتِه.

﴿ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾ أي: يصلُّون؛ لأنَّ التلاوة لا تكونُ في السجودِ.

* * *

﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤ ﴾.

[١١٤] ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، وورشٌ: (يُومِنُونَ) و(يَامُرُونَ) بغير همزٍ[٣].

﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ والمعروفُ: ما عرفه العقلُ أو[٤] الشرعُ بالحُسْنِ، والمنكَرُ: ما أنكرَهُ أحدُهُما لقبحِهِ.

﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ ﴾ متى دُعوا إلى خير، أجابوا. قرأ الدوريُّ عن

---

(١) في «ن» و«ت»: «لمحمد».

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٧٣٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٦)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٣٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٩٦).

(٣) انظر: «الإتقان» للسيوطي، النوع الثالث والثلاثون، في تخفيف الهمز.

(٤) في «ت»: «و».

الكسائيّ (يُسَارِعُونَ) و(سَارِعُوا) و(نُسَارِعُ) بالإمالة حيثُ وقع[1].

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: من صَلُحَتْ أحوالُهم عندَ الله.

* * *

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (يَفْعَلُوا) (يُكْفَرُوهُ) بالغيب فيهما إخباراً عن الأمةِ القائمةِ، والباقون: بالخطاب، لقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأبو عمرو يَرَى القراءتين[2]، ومعنى الآية: فلن تَعْدَموا ثوابَهُ، بل يُشْكَرُ لكم.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تدفعُ أموالُهم بالفدية ولا أولادُهم بالنُّصْرَةِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٩).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٩).

﴿شَيْـًٔا﴾ من عذابِ اللهِ.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها، وجعلَهم أصحابَ النار؛ كصاحبِ الرجلِ لا يفارقُهُ.

* * *

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: الكفار.

﴿فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على عداوةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ بردٌ شديدٌ.

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ أي: زرْعَ.

﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفرِ.

﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به، المعنى: نفقاتُهم هالكةٌ كالذي تُهلكه الريحُ.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بذلكَ.

﴿وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

[١١٨] قال ابنُ عباسٍ: «كانَ رجالٌ من المسلمينَ يواصلونَ اليهودَ؛ لما بينهم من القرابَةِ والصداقة»، وقال مجاهدٌ: كان قومٌ من المؤمنينَ يُصافونَ المنافقين، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾(١) أي: أولياءَ، وبطانةُ الرجلِ: خاصَّتُهُ، مأخوذٌ من بطانةِ الثوب.

﴿مِّن دُونِكُمۡ﴾ من غيرِ مِلَّتِكم.

﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ لا يُقصِّرون في إفسادِ أمرِكُم.

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾ يَوَدُّونَ ما يَشُقُّ عليكم.

﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ﴾ أي: البغضُ، معناه: ظهرَتْ أَمارةُ العداوة.

﴿مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بالشَّتْمِ والوَقيعةِ في المسلمينَ.

﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ﴾ منَ البغضِ لكُمْ وعداوتِكم.

﴿أَكۡبَرُۚ﴾ أي: أعظمُ.

﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ما بُيِّنَ لكم.

***

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾.

[١١٩] ثم أردفَ النهيَ بالتوبيخِ على مُصافاة الخادِعين، فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ تقدَّمَ اختلافُ القُرَّاءِ في هذا الحرفِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٦١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٨-٤٠٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٩٩).

﴿ أُوْلَآءِ﴾ المرادُ: أنتم أيها المؤمنونَ.

﴿ تُحِبُّونَهُمْ﴾ أي: اليهودَ الذين نهيتكُم عن مُباطَنَتِهم لما بينكم من القرابةِ والمصاهرةِ.

﴿ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ هم عداوةً لمخالفةِ الدين.

﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بجميع الكتب، وهم لا يؤمنون بكتابكم.

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ فكان بعضُهم مع بعضٍ.

﴿ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ أطرافَ الأصابع.

﴿ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ ﴾ لما يرون من ائتلافِكم، ويعبَّرُ عن شدةِ الغيظ بعضِّ الأنامل، وإن لم يكنْ ثَمَّ عَضٌّ، والغيظُ: هو أشدُّ الغَضَب، وهو الحرارةُ التي يجدُها الإنسان من ثَوَران[1] دمِ قلبه.

﴿ قُلْ مُوتُواْ﴾ أي: ابْقَوا إلى المماتِ.

﴿ بِغَيْظِكُمْۗ﴾ ولو أرادَ الحالَ، لماتوا من ساعَتِهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوبِ، فيجازيهم عليه.

* * *

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾.

[١٢٠] ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ أي: تصبْكم أيُّها المؤمنون.

---

(١) في «ت»: «يكن» بدل قوله «ثوران».

﴿ حَسَنَةٌ ﴾ نُصْرَةٌ وغَنيمةٌ وما يحسُنُ به[1] حالُكم.

﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ تحزنهم.

﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ ﴾ الإصابةُ بمعنى المَسِّ.

﴿ سَيِّئَةٌ ﴾ جَدْبٌ وهزيمةٌ.

﴿ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾ تلخيصُ الآيات: اجتنبوا مُصافاةَ مَنْ هو بهذِه الصِّفاتِ.

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ ﴾ على عَداوتهم ومَشاقِّ الدِّينِ.

﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ الله في محارمِه.

﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: بكسرِ الضادِ خفيفةً من ضارَهُ يَضيرُه، وقرأ الباقون: بضمِّ الضادِ ورفعِ الراء وتشديدِها، من ضَرَّهُ يَضُرُّهُ[2]. المعنى: فليسَ يضرُّكُمْ.

﴿ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ فيجازيهم، وهذه بشارةٌ بالنصرِ مع الصبرِ والتقوى.

* * *

---

(١) «به» ساقطة من «ن» و«ت».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٦١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦١).

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

[١٢١] ولما نزلَ المشركونَ بأُحُدٍ يومَ الأربعاء ليأخُذوا بثأرهم في يوم بَدْرٍ، وكانوا ثلاثةَ آلافِ رجلٍ، وسمعَ رسولُ الله ﷺ بنزولهم، استشارَ أصحابه في الخروج إلى قتالهم، فأشارَ بعضُ الصحابةِ بالخروجِ، وأشارَ بعضُهم بترك الخروج، وكان المشركون قد أقاموا بأُحُدٍ يومَ الأربعاءِ والخميسِ، وصلَّى رسولُ الله ﷺ الجمعةَ بأصحابه، وقد ماتَ في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار، فصلَّى عليه ﷺ، ثم خرجَ إليهم في ألفِ رجلٍ، أو تسعِ مئةٍ وخمسينَ، ونزل بالشِّعْبِ من أُحد يومَ السبت لنصفِ شوالٍ سنةَ ثلاثٍ من الهجرة، وجعلَ يقوِّم أصحابَه، إنْ رأى صَدْراً خارجاً قالَ: «تأخَّرْ»، أو متأخِّراً قال: «تقَدَّمْ»، وكان نزولُه في عُدْوَة الوادي، وجعلَ ظهرَ عسكرِه إلى أُحد، وأمَّرَ على الرُّماةِ عبدَ اللهِ بنَ جُبيرٍ، وقال: «انْضَحُوهُمْ عَنَّا بِالنَّبْلِ لا يَأْتُونَنَا مِنْ وَرَائِنَا»، فنزل قولُه تعالى:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ ﴾[1] أي: واذكرْ إذْ غدوتَ.

﴿ مِنْ ﴾ بينِ.

﴿ أَهْلِكَ ﴾ من المدينةِ.

﴿ تُبَوِّئُ ﴾ أي: تنزِّلُ.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ ﴾ مواطنَ يقفونَ فيها.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤١٠)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٢١٨).

﴿ لِلْقِتَالِۗ﴾ يقالُ: بَوَّأْتُ القومَ: إذا وَطَّنْتُهم.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ما تقولُ ويقُال لكَ، وقتَ المشاورة وغيره.

***

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)﴾.

[١٢٢] ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما بنو سَلِمَةَ من الخزرج، وبنو حارثةَ من الأَوْسِ، وكانا جَناحَي العسكرِ.

﴿ أَن تَفْشَلَا﴾ أَنْ تَجْبُنا وتَضْعُفا؛ فإنَّ عبدَ اللهِ بنَ أُبي ابنِ سَلُولَ المنافقَ انخزلَ(١) بثلثِ الناسِ، فهمَّتِ الطائفتانِ بالرجوعِ معه، فثَبَّتَهما الله تعالى.

﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾ ناصرُهما ومتولِّي أمرِهما.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرٌ في ضمنِه التغبيطُ(٢) للمؤمنين بمثلِ ما فعلَه بنو حارثة وبنو سلمةَ من المسيرِ مع رسولِ الله ﷺ.

***

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)﴾.

[١٢٣] ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ هو موضعٌ بينَ مكَّةَ والمدينةِ، ونزلتِ الآيةُ تذكيراً لهم بنعمةِ اللهِ عليهم بالنصرة(٣) في يوم بَدْرٍ، وكانت يومَ الجمعة سابعَ عشرَ رمضانَ لثمانيةَ عشرَ شَهْراً من الهجرة.

---

(١) في «ن»: «تحرك».

(٢) في «ت»: «التغليظ».

(٣) في «ن»: «بالنصر».

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليلٌ، وليس المرادُ الذلَّ والهوانَ؛ لأنهم كانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً، وكان عدوُّهم ما بينَ التسعِ مئةٍ إلى الألف، فنصرهم الله مع قلَّةِ عددِهم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أمرَهم بالتقوى، ورجَّاهُم في الإنعامِ الذي يوجبُ الشكرَ.

***

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤)﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ أي: اذكرْ إذ تقولُ.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ببدرٍ.

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ الإمدادُ: إعانةُ الجيشِ بالجيشِ.

﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (مُنَزَّلِينَ) بالتشديدِ على التكثيرِ؛ لقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقرأ الباقون: بالتخفيف؛ لقوله: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾(١) [التوبة: ٢٦]

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٣).

وأبو عمرٍو، وهشامٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخَلَفٌ يُدْغِمون الذالَ في التاء مِنْ (إذ تَّقُولُ)، والباقونَ يُظهرونَها[1].

قال ابنُ عباسٍ: «لَمْ يُقاتلِ[2] الملائكةُ في المعركةِ إلاَّ يومَ بدرٍ، وفيما سواهُ يَشْهدونَ القتالَ ولا يُقاتلون، إنما يكونونَ عدداً ومَدَداً»[3] وبُشِّروا بالملائكةِ قبلَ نزولِهم تَسْكيناً لجأشِهم[4]، ثم قال:

***

﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ ﴾.

[١٢٥] ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ ﴾ للمشركين.

﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ مخالفةَ نَبِيِّكُم.

﴿ وَيَأۡتُوكُم ﴾ المشركونَ.

﴿ مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾ أي: من ساعَتِهم هذهِ.

﴿ يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ لم يزدْ خمسةَ آلافٍ غيرَ الثلاثةِ المذكورةِ، بل مَعَها. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، ويعقوبُ: بكسر الواو؛ أي: مُعَلِّمينَ، من العلامةِ؛ أي: سَوَّموا خيلَهم،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦١).

(٢) في «ن»: «تقاتل».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٨٥)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٧).

(٤) في «ن»: «لحالهم».

وقرأ الباقون: بفتح الواو[1]؛ أي: سَوَّمُوا أنفسَهُمْ، قال ﷺ لأصحابه يومَ بدر: «تَسَوَّمُوا[2]؛ فَإِنَّ المَلائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ بِالصُّوفِ[3] الأَبْيَضِ فِي قَلَانِسِهِمْ ومَغَافِرِهِمْ»، ونزلتِ الملائكةُ على خيلٍ بُلْقٍ، عليهِمْ عَمائِمُ بيضٌ قد أرسلوها بينَ أكتافِهم، إلاَّ جبريلَ؛ فإنه كانَ بِعِمامةٍ صفراءَ على مثالِ عِمامةِ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ[4].

***

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

[١٢٦] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: الوعدَ والمددَ.

﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ أي: بشارةً.

﴿ لَكُمْ ﴾ لتستبشِروا بها.

﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ لتسكُنَ بالمدَدِ، فلا تجزعَ من كثرةِ عدوِّكُم وقلَّةِ عددِكم.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٥-٣٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٤).

(٢) في «ت»: «تقوموا».

(٣) في «ت»: «بالصفوف».

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٣٥٤)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٨٢-٨٣).

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فاستعينوا بهِ، وتوكَّلوا عليه؛ لأن العزَّ(١) والحكمَ له.

* * *

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أي: يُهْلِكَ جماعةً.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فقُتِلَ منهم يومَ بدر سبعون، وأُسِرَ سبعونَ.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أصلُ الكَبْتِ: الإذلالُ والصرفُ عن الشيءِ. المعنى: يُذِلَّهم ويَهْزِمَهم.

﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ لم يظفروا بمرادهم.

وعن أنس: أنَّ رسولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رُباعِيَتُهُ يومَ أُحدٍ، وشُجَّ في رأسِه، فجعلَ يَسْلُتُ الدمَ عنهُ ويقولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وكَسَرُوا رُبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ»، فأنزلَ الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾(٢).

* * *

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيسلموا.

---

(١) في «ش»: «العزم».

(٢) رواه مسلم (١٧٩١)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ ﴾ إن لم يُسْلِموا معطوفان على: ﴿ لِيَقۡطَعَ ﴾ أي: ليقطعَ أو يكبتَ أو يتوبَ أو يعذِّبَ.

﴿ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ فيكونُ: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ اعتراضاً بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه. المعنى: ليسَ بيدِكَ من التوبةِ والعقوبةِ شيءٌ، إنْ عليكَ إلا البلاغُ، وإنّما ذلكَ بيدِ الله.

***

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

[١٢٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ بعباده[١]، فلا تبادروا إلى الدعاءِ عليهم.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ ﴾ إشارةٌ إلى تكرارِ التضعيفِ عاماً بعدَ عام. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (مُضَعَّفَةً) بالتشديد مع حذفِ الألفِ في جميع القرآن، وقرأ الباقون: بالإثبات والتخفيف[٢]، والمراد به[٣]: ما كانوا يفعلونَه عندَ حُلولِ

---

(١) في «ظ»: «لعباده».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ٢٠٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٥).

(٣) «به» ساقطة من «ن».

أَجَلِ الدَّينِ من زيادةِ المالِ وتأخيرِ الطلب، وتقدَّمَ ذكرُ الرِّبا وأحكامِه في سورة البقرة، و﴿أَضْعَافًا﴾ نصبٌ في موضعِ الحالِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمرِ الرِّبا فلا تأكلوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

* * *

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾.

[١٣١] ثم خوَّفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال أبو حنيفةَ: هذه أخوفُ آيةٍ في القرآنِ، حيثُ توَعَّدَ المؤمنينَ إنْ لم يَتَّقوا بعقابِ الكافرينَ.

* * *

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾.

[١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي تُرْحَموا، فقرَنَ تعالى طاعةَ رسولِه بطاعتِه، واسمَه باسمِه بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التغابن: ٨]، فجمعَ بينهما بواو العطف المُشَرِّكَةِ، ولا يجوزُ جمعُ هذا الكلام في غيرِ حقِّهِ ﷺ، قال عليه السلام: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ، وَلَكِنْ: ما شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ»(١) فأرشدَهم ﷺ إلى الأدبِ في تقديمِ مشيئةِ اللهِ تعالى على مشيئةِ مَنْ سواه، واختارَها بـ(ثُمَّ) التي هي للنسقِ والتراخي، بخلافِ الواو التي هي للاشتراكِ، ومثلهُ الحديثُ الآخَرُ: أَنَّ خَطيباً خطبَ عندَ النبيِّ ﷺ

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٠)، كتاب: الأدب، باب: لا يقال: خبثت نفسي، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢١)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤)، وغيرهم عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

[فقال: مَنْ يطعِ اللهَ ورسولَه فقدْ رشدَ، ومَنْ يعصِهما فقد غوى، فقال له النبيُّ ﷺ:][1] «بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ، قُمْ، أَوْ قالَ: اذْهَبْ»[2] كره منهُ الجمعَ بين الاسمين بحرفِ الكناية؛ لما فيه من التسويةِ، فالواوُ العاطفة لمطلَقِ الجمع بالاتفاق، والفاءُ العاطفةُ للترتيب والتعقيب، وثُمَّ للتشريكِ وللترتيبِ بمُهْلَةٍ بالاتفاق.

***

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

[١٣٣] ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (سَارِعُوا) بلا واوٍ[3]؛ أي: بادروا.

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: إلى الأعمال التي تُوجِبُ المغفرةَ.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾ أي: سَعَتُها.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وخُصَّ العرضُ بالذِّكر؛ لأنه يكونُ غالباً أقلَّ من الطول. المعنى: بادِروا إلى ما يُوجِبُ لكمُ المغفرةَ ودخولَ جَنَّةٍ في غايةِ السَّعَةِ.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بُقِّيَتْ لهم.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه مسلم (٨٧٠)، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٦).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾.

[١٣٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ اليسرِ والعسرِ، فأولُ ما ذَكر من أخلاقِهم الموجبةِ للجنةِ ذكرَ السَّخاوَةَ، قال ﷺ: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بعيدٌ مِنَ اللهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ»(١).

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ﴾ الحابسينَ.

﴿ٱلْغَيْظَ﴾ عندَ امتلاءِ نفوسِهم بهِ.

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ الَّذين يَظْلمونَهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾.

[١٣٥] ونزلَ فيمَنْ أذنبَ ذنباً وطلبَ التوبةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ يعني قبيحةً خارجةً عمَّا أَذِنَ اللهُ فيه.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٦١)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في السخاء، وقال: غريب، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/٤٠٣)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بما دونَ الزِّنا؛ كالقُبلةِ واللَّمسِ والنَّظرِ.

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: ذكروا وَعيدَه.

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ أي: وما يغفرُ الذنوبَ.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ أي: يُقيموا.

﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ ولكن تابوا وأنابوا.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّها معصيةٌ، وأنَّ اللهَ يغفرُ الذنوب(١).

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

[١٣٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأٌ، خبرُه(٢):

﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ أي: ونعمَ ثوابُ المطيعينَ ما أُعِدَّ لهم.

قال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ»(٣)، قال ثابتٌ البُنانِيُّ: لما نزلَتْ هذهِ الآيةُ، بَكى إبليسُ(٤).

---

(١) في «ظ»: «الذنب».

(٢) «خبره» ساقطة من «ن».

(٣) رواه أبو داود (١٥٢١)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار، والترمذي (٤٠٦)، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الصلاة عند التوبة، وقال: حسن، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٢٣).

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

[١٣٧] ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ أي : مضَتْ شرائعُ وطرائقُ ، وسنَّةُ الإنسانِ : الشيءُ الذي يعملُه ، والخطابُ للمؤمنين . والمعنى : قد مَضَتْ وسَلَفَتْ مني فيمَنْ قبلَكُم من الأممِ الماضيةِ الكافرةِ بإمهالي واستِدْراجي إيَّاهم حَتَّى يبلُغَ الكتابُ فيهِ أَجَلي الذي أَجَّلْتُه لإهلاكي إياهم .

﴿ فَسِيرُوا ﴾ تقديرُه : إن شَكَكْتُم ، فَسيروا .

﴿ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ﴾ أي : آخِرُ أَمْرِ ﴿ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ منهم ، وهذا في حربِ أهلِ أُحد ، يقول : فإنما أُمهلهم فأَستدرِجُهم حتى يبلغَ أجلي الذي أَجَّلْت في نُصْرَةِ النبيِّ وأوليائِه ، وإهلاكِ أعدائِه .

* * *

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

[١٣٨] ﴿ هَٰذَا ﴾ أي : القرآنُ .

﴿ بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ عامَّةً .

﴿ وَهُدًى ﴾ من الضَّلالةِ .

﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ خاصَّةً .

* * *

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ .

[١٣٩] ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ لا تَضْعُفوا عن قتالِ عدوِّكم .

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابَكُمْ من قَتْلٍ وجَرْحٍ بأُحد، وكان قد قُتل يومئذٍ من المهاجرين خمسةٌ، منهم: حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلِب، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وسبعونَ رجلاً من الأنصار ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ شأناً في الآخِرَةِ بدخولِ الجنة، وفي الدنيا بأن تكونَ الغَلَبَةُ لكم.

﴿إِن﴾ يعني: إذ.

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لأنكم مؤمنون.

***

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

[١٤٠] ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي: جُرْحٌ يومَ أحدٍ.

﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ أي: الكافرين ببدرٍ.

﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ فقتلَ المسلمون من المشركينَ ببدرٍ سبعين، وأَسَروا سبعين، وقتلَ المشركونَ من المسلمينَ بأُحد خمساً وسبعين، وجرحوا سبعين. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ: (قُرْحٌ) بضمِّ القاف حيثُ وقعَ، والباقون: بالفتح، وهما لغتان معناهما واحد[1].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)،=

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا ﴾ أي: نجعلُها دُوَلةً.

﴿ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ المؤمنينَ والكافرين، فمرةً لهم، ومرةً عليهم.

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ علماً يتعلَّقُ به الجزاء، وهو أن يظهرَ منهم الفعلُ، فيجازَوْنَ عليه.

﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ بأن يُكْرِمَهم بالشهادةِ.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين يُضمرونَ خِلافَ ما يُظهرون.

* * *

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٤١) ﴾.

[١٤١] ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ التمحيصُ: تخليصُ الشيء من عَيْبٍ فيه، المعنى: يُطَهِّر المؤمنين من الذنوب.

﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يُفنيهم، المعنى: إن قتلوكُم، فهو تطهيرٌ لكم، وإن قتلتموهم، فهو مَحْقُهُم واستئصالُهم.

* * *

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢) ﴾.

[١٤٢] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (أَمْ) هي بمعنى الإضراب عن الكلامِ الأولِ والتركِ له، وفيها لازمُ معنى الاستفهام، و(حَسِبْتُمْ) معناه:

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٦٦).

ظننتم، وهذه الآيةُ وما بعدها تقريعٌ وعَتْبٌ لطوائفِ المؤمنينَ الذين وقعتْ منهم الهَنَواتُ(١) في يومِ أحدٍ.

﴿ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ﴾ أي: ولم يعلم.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ والقراءةُ بكسر الميم في قوله: ﴿ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ﴾ لالتقاء الساكنين.

﴿ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ في الشدائدِ، ونصبُ (يَعْلَمَ) بإضمارِ أَنْ، و(الواو) بمعنى الجمع؛ كقولِكَ: لا تأكلِ السمكَ وتشربَ اللَّبنَ.

***

﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

[١٤٣] ثم خاطب الله المؤمنين بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ أي: الشهادة؛ لما علمتُم من فضلِ الشهداءِ ببدر. قرأ البزيُّ بخلافٍ عنه: (كُنْتم تَّمَنَّوْنَ) بتشديد التاءِ بعد الميم حالةَ الوصلِ(٢).

﴿ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ ﴾ وذلكَ أن قوماً من المسلمين تمنوا يوماً كيومِ بدرٍ ليقاتِلوا ويُسْتَشْهدوا، فأراهُم اللهُ يومَ أحدٍ.

﴿ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ ﴾ أي: رأيتُمْ سببَهُ.

﴿ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ عِياناً أسبابَهُ.

---

(١) في «ن»: و«الهفوات».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٨/٢).

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

[١٤٤] رُوي أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ إلى الشِّعْبِ من أُحد بسبع مئةِ رجلٍ، وجعلَ عبدَاللهِ بنَ خَوَّاتٍ على الرجَّالة، وقال: «أَقِيمُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ، وَانْضَحُوا عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، وَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، فَلاَ نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ مَكَانَكُمْ»، فجاء المشركون على مَيْمَنَتِهِم خالدُ بنُ الوليد، وعِكْرِمَةُ بنُ أَبي جَهْل على مَيْسَرَتِهم، فقاتلوا حتى حَمِيَتِ الحربُ، فأخذَ رسولُ الله ﷺ سيفاً وقالَ: «مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟»، فَأَخَذَهُ أبو دُجانةَ، فأعلمَ بعمامةٍ حمراءَ، فجعل يتبخْتَرُ بينَ الصَّفَّينِ، فقالَ رسولُ الله: ﷺ «إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلاَّ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ»، ففلقَ به هامَ المشركين، فحمل ﷺ هو وأصحابهُ على المشركين، فهزمهم، فتركَ الرماةُ مركزَهم، وجاؤوا إلى المسلمينَ لأجلِ الغنيمةِ، فلما رأى خالدٌ ظهورَ المسلمين منكشفةً، صاحَ في خيلهِ، وحمل على المسلمينَ، فهزمَهم، ورمى عبدُ اللهِ بنُ قَمِيئَةَ الحارثيُّ النبيَّ ﷺ بحجرٍ، فكسرَ أنفَهُ ورباعِيَتَهُ، وشَجَّهُ فأثقلَهُ، وتفرَّقَ عنه أصحابُه، وحملَ ابنُ قميئةَ ليقتلَ النبيَّ ﷺ، فذبَّ عنه مصعبُ بنُ عُمير صاحبُ الرايةِ يومئذ، فقتلَهُ ابنُ قميئةَ وهو يُرى أنه قتلَ النبيَّ ﷺ، وصرخَ صارخٌ: ألا إنَّ محمداً قد قُتل، قالوا: كانَ إبليسَ، وانكشفَ المسلمونَ، وأصابَ فيهم العدوُّ، وكان يومَ بلاءٍ على المسلمين، ومَثَّلت هند بنتُ عُتبةَ وصواحبُها بالقتلى من الصحابة، فَجَدَعْنَ الآذانَ والأُنوف، وبقرَتْ هندٌ عن كبدِ حمزةَ عمِّ النبي ﷺ، ولاكَتْها، وصَعِدَ

زوجُها أبو سفيانَ الجبلَ، وصرخَ بأعلى صوتِه: الحربُ سِجالٌ، يومٌ بيومِ بدرٍ، اعْلُ هُبَل؛ أي: أظهرْ دينَكَ، فأجابَه المسلمون: الله أعلى وأجَلُّ، قال: إنَّ لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فأجابه المسلمون: اللهُ مولانا ولا مولى لكم، ثم نادى: إن موعدَكُم بدرٌ العامَ القابلَ، فقال النبي ﷺ لواحدٍ: «قُلْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ»، ثم التمسَ رسولُ الله ﷺ عمَّه حمزةَ، فوجده وقد بُقِر بطنهُ، وجُدِعَ أنفُه وأذناه، فقال: «لَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ، لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاَثِينَ مِنْهُمْ». ثم أمرَ رسولُ الله ﷺ فَسُجِّيَ حمزةُ ببردةٍ، ثم صلَّى عليه، فكبَّرَ سبعَ تكبيرات، ثم أُتي بالقَتْلى يوضَعون إلى حمزةَ، فصلَّى عليه وعليهم ثنتين وسبعينَ صلاةً، وهذا دليلٌ لأبي حنيفةَ؛ فإنه يرى الصلاةَ على الشهيدِ خلافاً للشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ، ثم أمرَ بحمزةَ فدُفن، واحتُمل ناسٌ من المسلمين إلى المدينة، فدفنوا بها، ثم نهاهم رسولُ الله ﷺ وقال: «ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا»، وأصيبتْ عينُ قَتادَةَ، فردَّها رسولُ الله ﷺ بيدِه، فكانتْ أحسنَ عينيه.

ولما صرخَ الصارخُ بقتلِ النبيِّ ﷺ، قال بعضُ المسلمين: ليتَ عبدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ يأخذُ لنا أماناً من أبي سفيانَ، وقال ناسٌ من المنافقين: لو كانَ نبياً لما قُتل، ارجعوا إلى إخوانِكم وإلى دينِكم، فقال أنسُ بنُ النَّضْرِ عمُّ أَنَسِ بنِ مالك: «يا قوم! إن كانَ[1] محمدٌ قُتل، فإن ربَّ محمدٍ حيٌّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعدَ رسولِ الله؟ فقاتِلوا على ما قاتلَ عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهمَّ إني أعتذرُ إليك مما يقولُ هؤلاء، وأبرأُ إليك مما جاؤوا به»، ثم شدَّ سيفه فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

---

(١) «كان» سقط من «ت».

وعن بعضِ المهاجرين أنه مرَّ بأنصاريٍّ يتشحَّطُ[1] بدمِه، فقال: يا فلانُ! شعرتَ أن محمداً قَدْ قُتل؟ فقال: إن كان محمدٌ قُتل فقد بَلَّغَ، قاتلوا على دينِكم.

ولما انهزم أصحابُهُ جعلَ ﷺ يدعوهم «إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ[2]» حَتَّى انحازت إليه طائفةٌ من أصحابه، فلامهم على هَرَبهم، فقالوا: يا رسول الله! فديناكَ بآبائِنا وأمهاتنا، أتانا خبرُ قتلِك، فَرُعبت قلوبُنا، فولَّينا مدبرين، فنزلَ توبيخاً:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾[3] معناهُ: المستغرقُ لجميعِ المحامدِ، وهو الذي كثر حمدُ الحامدين له مرةً بعد أخرى، ويقال[4] حُمِدَ فهو محمَّدٌ، فتسميته ﷺ بهذا الاسم لما اشتملَ عليه من مُسَمَّاه، وهو الحمدُ، فإنه ﷺ محمودٌ عند اللهِ، وعندَ ملائكته، وعندَ إخوانِه من المرسلين، وعندَ أهل الأرض كلِّهم، وإن كفر به بعضُهم، فإنَّ ما فيه من صفاتِ الكمال محمودٌ عند كلِّ عاقل، ومحمدٌ هو المحمودُ حمداً متكرراً كما تقدم، وأحمدُ هو الذي حمدُهُ لربه أفضلُ من حمد الحامدين غيرِه، وهو الذي يحمدُه أهل الدنيا وأهلُ الآخرة، وأهلُ السماء والأرض، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوتُ عددَ العادِّين سُمِّيَ[5] باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيلَ والزيادةَ في القدر والصفة، فدلَّ أحدُ الاسمين وهو محمدٌ على كونِه

---

(١) في «ن»: «يتسخط».

(٢) «إلي عباد الله» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١١١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٢٦).

(٤) في «ت» و«ن»: «وقال».

(٥) في «ت»: «تسمى».

محموداً، ودل الاسمُ الثاني وهو أحمدُ على كونه أحمدُ الحامدين لربِّه، وأن الحمدَ الذي يستحقه أفضلُ مما يستحقه غيره، وقد أكرمه الله سبحانه بهذين الاسمين المشتقين من اسمه جل وعلا، وفيه يقول حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَرْسَـلَ عَبْـدَهُ ... بِبُـرْهَـانِـهِ واللهُ أَعْلَـى وَأَمْجَـدُ

وَشَـقَّ لَـهُ مِـنَ اسْمِـهِ لِيُجِلَّـهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وأما نسبُه الشريفُ، فهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيٍّ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْيَاسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ بنِ آد بنِ أددِ بنِ اليسَعِ بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ سَلامانَ بنِ نَبْتِ بنِ حملِ بنِ قَيْدار بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليهما السلامُ بنِ تارح وهو آزرُ بنِ ناحور بنِ ساروع بنِ رعون بنِ فالغ بنِ عابرِ بنِ شالحِ بن قَيْنانَ بنِ أرفَخْشَد بنِ سامِ بنِ نوحٍ عليهما السلام بنِ لامخ ويقال لامك بنِ متوشلح بنِ حنوخ وهو إدريسُ عليه السلام بن يارد بنِ مهلائيل بنِ قينان بنِ أنوش بنِ شيثِ بنِ آدم عليه السلام.

﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت.

﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ لأن الرسول يموت كما مات الرسل قبله.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ أي: رجعتم.

﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ كافرين؟! إنكارٌ لارتدادهم وانقلابِهم على أعقابهم عن الدين؛ لخلوه بموتٍ أو قتلٍ بعد علمِهم بخلوِّ الرسلِ قبلَه وبقاءِ دينهم

متمسَّكاً به. المعنى: إن محمداً مضى قبلَه رسلٌ، وبقي أتباعُهم متمسِّكين بدينهم لم يرتدُّوا بعدَهم، وإن محمداً يمضي، فتمسَّكوا بدينه بعده ولا ترتدُّوا.

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فيرتدَّ عن دينه.

﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بارتدادِه، وإنما يضرُّ نفسَه.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ على نعمةِ الإسلام بالثَّبات عليه؛ كأنسٍ ونحوه.

* * *

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

[١٤٥] ثم شجَّعهم وأعلمهم أن لا موتَ إلا بمشيئته، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بقضائه ﴿كِتَـٰبًا﴾ أي: كتبَ اللهُ الموتَ كتاباً.

﴿مُّؤَجَّلًا﴾ معلوماً، لا يتقدم ولا يتأخر ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ﴾ بطاعته.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: جزاءَ عملِه من الدنيا.

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما قُسم له، نزلتْ في الذين تركوا المركزَ يوَم أُحد طلباً للغنيمة.

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بطاعتِه.

﴿ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ جزاءَ عملِه. قيل: أرادَ الذين ثبتوا مع أميرِهم عبدِ اللهِ بنِ جُبير حتى قُتلوا.

﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ المطيعين. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (يُرِدْ ثَوَابَ) بإظهار الدال عندَ الثاء فيهما، والباقونَ: بالإدغام[1].

قال ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[2].

***

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَأَيِّن﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: بألفٍ ممدودةٍ[3] بعدَ الكاف، وبعدها همزةٌ مكسورةٌ، وأبو جعفرٍ يُسَهِّلُ الهمزةَ، والباقون: بهمزةٍ مفتوحةٍ بعدَ الكاف، وبعدها ياءٌ مكسورة مشدَّدة، ووقف أبو عمروٍ، ويعقوبُ (وَكَأَيْ) بغيرِ نونٍ حيثُ وقعَ، وَوقف الباقُونَ (وَكَأَيِّنْ)، وهي كافُ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٩).

(٢) رواه البخاري (١)، كتاب: الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧)، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ت»: «ممدود».

التشبيه ضُمَّتْ إلى أيِّ الاستفهام[1]، فصار المعنى: وكَمْ.

﴿مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ أي: جموعٌ.

﴿كَثِيرٌ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (قُتِلَ) بضمِّ القاف وكسر التاء؛ أي: قُتل الربيون دون النبيِّ، قال الحسنُ وغيره: ما قُتِلَ نبيٌّ قَطُّ في قتالٍ، وقرأ الباقون: (قَاتَلَ) بفتحِ القافِ والتاءِ وألفٍ بينهما؛ أي: قاتلَ كائِناً معه ربِّيون[2].

﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ أي: جَبُنوا.

﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ عن الجهادِ.

﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ خَضَعوا لعدوِّهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ ومحبةُ اللهِ لهم ما يظهرُ عليهم من نصرِهِ وتنعيمِهِ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٦٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٧ـ٣٥٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٠ـ٧١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٩ـ٣٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧١).

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

[١٤٧] ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾ بنصبِ اللامِ خبرُ (كان)، واسمُها:

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ أي: الصغائرَ.

﴿ وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا ﴾ أي: الكبائرَ.

﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ كيلا تزول ﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

[١٤٨] ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ النصرةَ والغنيمةَ.

﴿ وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الأَجْرَ والجنةَ.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وخُصَّ ثوابُ الآخرةِ بالحسنِ إشعاراً بفضلِه، وأنه المعتدُّ بهِ عندَه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

[١٤٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني: المنافقين في قولهم عندَ الهزيمةِ: ارجِعُوا إلى إخوانكم، وادخلوا في دينِهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أي يُرْجعوكم إلى أولِ أمرِكم الشركِ باللهِ.

﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ أي: مَغْبونين.

* * *

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ (١٥٠)﴾.

[١٥٠] ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصرُكم وحافظُكم على دينِكم.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فاستعينوا به.

* * *

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥١)﴾.

[١٥١] وكان المشركون قد ارتحلوا من أُحد متوجِّهينَ نحو مكةَ، ثم عزموا على الرجوع واستئصالِ المسلمينَ، فقُذِفَ الرعبُ في قلوبهم، فلم يرجعوا، فنزل: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعُبَ﴾ أي: الخوف. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: بضم العين، والباقون: بسكونها، وهما لغتان مثلُ القدس[1].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦_٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» =

﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾ أي: بسبب إشراكهم.

﴿بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ حجَّةً وبرهاناً.

﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: مقامُ الكافرين.

***

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٥٢)﴾.

[١٥٢] ولما رجعَ رسولُ الله ﷺ من أُحد، قال المسلمون: كيفَ أُصبنا وقد وُعِدْنا بالنصر؟ فنزل: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾[١] بالنصر لكم؛ لأن النصرَ كان أولاً للمسلمين. قرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَقَد صَّدَقَكُمْ) بإدغام الدال في الصاد، والباقون: بالإظهار[٢].

﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم قتلاً ذَريعاً.

= للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٣٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٥).

﴿ بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ بإرادته ؛ فإنهم قَتلوا من المشركين اثنينِ وعشرينَ رجلاً .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ جَبُنْتُم ، وضعفَ رأيُكم بتركِ الرُّماةِ مركزَهم لطلبِ الغنيمة .

﴿ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أي : اختلفتم في أمر النبيِّ ﷺ للرماةِ بالمقام في سفح الجبل ، فقال بعضُهم : نذهبُ ، فقد نُصر أصحابُنا ، وقال بعضُهم : نمتثلُ أمرَ النبيِّ ﷺ ، ولا نبرحُ مكانَنا .

﴿ وَعَصَيْتُم ﴾ النبيَّ ﷺ بتركِ المركز .

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم ﴾ اللهُ .

﴿ مَّا تُحِبُّونَ ﴾ من الظفرِ والغنيمة .

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾ وهم الرماةُ الذين تركوا المركزَ وطلبوا الغنيمةَ .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ وهم مَنْ ثبتَ من الرماة في المركز عبدُ الله بنُ جُبيرٍ وأصحابُهُ .

﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ ﴾ أي : ردَّكم .

﴿ عَنْهُمْ ﴾ بالهزيمة .

﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ ليمتحِنكم .

﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ فلم تُسْتأْصَلوا على فِعْلِكم .

﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالعفوِ .

***

﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

[١٥٣] ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تُصْعِدون هاربينَ، والإصعادُ: السيرُ في مستوى الأرض.

﴿ وَلَا تَلْوُۥنَ ﴾ أي: لا تُعرِّجون ولا تُقيمون.

﴿ عَلَىٰٓ أَحَدٍ ﴾ لا يلتفتُ بعضٌ إلى بعض.

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ أي: خلفكم يقولُ: «إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، مَنْ يَكُرُّ فَلَهُ الجَنَّةُ».

﴿ فَأَثَٰبَكُمْ ﴾ جازاكم.

﴿ غَمًّۢا ﴾ إذ هُزمتم.

﴿ بِغَمٍّ ﴾ بسببِ غَمٍّ أذقتموهُ النبيَّ ﷺ حينَ عصيتموه.

﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الفتحِ والغنيمةِ.

﴿ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ ﴾ من القتلِ والجِراح وذلِّ الانهزام وما نِيل من نبيِّكم.

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ توَعُّدٌ.

* * *

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ

يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم
مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى
صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾».

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ يا معشرَ المسلمينَ.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أي: أَمْناً ﴿نُّعَاسًا يَغْشَىٰ﴾ أي: النعاسُ.

﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ﴾ وهم المؤمنون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (تُغَشِّي) بالتاء رَدّاً إلى الـ(أَمَنَةِ)، والباقون: بالياء ردّاً إلى (النعاس)(١).

قال ابن عباسٍ: «أَمَّنَهُمْ يومئذٍ بنعاسٍ يغشاهُم، إِنَّما ينعسُ مَنْ يأمنُ»(٢) والخائفُ لا ينامُ، فأرادَ الله تمييزَ المؤمنين من المنافقين، فأوقعَ النعاسَ على المؤمنينَ حتى أَمِنوا، ولم يوقعْ على المنافقين، فَبَقُوا في الخوف.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ مبتدأٌ، خبرُه:

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون، لم يكن لهم هَمٌّ بأُحُدٍ سوى أنفسِهم دونَ النبيِّ ﷺ وأصحابه.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ﴾ الظَّنِّ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤٠).

﴿ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ﴾ أي: ظناً مثلَ ظَنِّ ﴿ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ والذي ظنوه أن محمداً قُتل، أو أن الله لا ينصرُه.

﴿ يَقُولُونَ ﴾ للنبيِّ ﷺ.

﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أي: من أمرِ النصرةِ.

﴿ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (كُلُّهُ) برفع اللام على الابتداءُ وخبرُه في (لله)، والباقون: بالنصب على البدل[1].

﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ ﴾ وذلك أن المنافقين قالوا بينهم مسارِّين: لو كان لنا عقولٌ وتُرِكْنا، ما خرجْنا مع محمدٍ، ولا قُتل رؤساؤنا، فقال تعالى لنبيه ﷺ تكذيباً لهم:

﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ ﴾ مصارِعِهم. المعنى: لو قعدتُم في بيوتكم، وفيكُم من علمَ الله أنه يُقتل، لخرجَ الشخصُ المعلوم إلى مصرعِه فَقُتل؛ لأن معلومَ الله كائنٌ حتماً.

﴿ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ ﴾ أي: ليختبرَ.

﴿ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ﴾ يُخْرِجَ ويُظْهِرَ.

﴿ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ بما في القلوب من خيرٍ وشرٍّ، وقد اجتمع حروف المعجم كلها التسعةُ والعشرون في هذه الآية من

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٧).

قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ وكذا في سورة الفتح في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورةَ، وليس في القرآنِ آيتان كلُّ آية حَوَتْ حروف المعجم غيرُهما، مَنْ دعا الله بهما، استُجيبَ له.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾.

[١٥٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ﴾ يا معشرَ المسلمين؛ أي: انهزموا.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمعُ المسلمين وجمعُ المشركين يومَ أُحد، وكان قد انهزم أكثرُ المسلمين، ولم يبقَ مع النبي ﷺ إلا ثلاثةَ عشرَ رجلاً ستةٌ من المهاجرين، وهم أبو بكر، وعمرُ، وعليٌّ، وطلحةُ، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ.

﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ طلبَ زلَّتَهم بأن سَوَّلَ لهم تركَ المركز، ومخالفةَ النبيِّ ﷺ.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ بسبب بعضِ ذنوبٍ كانت منهم، ثم بعدَ توبيخهم لطفَ بهم وطَيَّبَ قلوبَهم فقال:

﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعجلُ على العُصاة؛ لأنه لا يخافُ الفوتَ.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ

﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)﴾.

[١٥٦] ثم حذَّرهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المنافقينَ عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ وأصحابَهُ.

﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الاعتقادِ.

﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لتجارةٍ أو غيرِها.

﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ أي: غزاةً جمع غازٍ.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تتشبهوا بالكافرين بالنطق واعتقاد القول.

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القولَ والظنَّ منهم.

﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في الدنيا.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَعْمَلُونَ) بالغيب على أنه وعيد للكفار، والباقون: بالخطاب[١].

* * *

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٩).

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[١٥٧] ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في العاقبة.

﴿ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من الغنائم. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (يَجْمَعُونَ) بالغيب؛ يعني: خير مما يجمعُ الناس، وقرأ الباقون: بالخطاب[1]؛ لقوله: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ ﴾.

***

﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

[١٥٨] ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ في العاقبة، فيجازيكم. قرأ نافعٌ وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (مِتُّمْ) و(مِتْنَا) و(مِتُّ) حيثُ وقعَ بكسر الميم، وافقهم في غير هذه السورة حفصٌ، وقرأ الباقون: بالضم، فمن قرأ بالضم من مات يموت، وبالكسر من مات يمات[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٠).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦١-٣٦٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٠).

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

[١٥٩] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ أي: فبرحمة.

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ و(ما) صلة؛ كقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

﴿ لِنتَ لَهُمْ ﴾ سَهَّلْتَ أخلاقَك حينَ خالفوك.

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ جافِياً.

﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ قاسِيَهُ.

﴿ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لنفروا وتفرَّقوا عنك.

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ تجاوزْ عن فِعلهم بأُحُدٍ.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ اشفعْ حتى أُشَفِّعَكَ.

﴿ وَشَاوِرْهُمْ ﴾ تطييباً لقلوبهم.

﴿ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أي: أمرِ الحربِ؛ أي: خذْ ما عندَهم من الرأي فيما عرضَ لك فيما ليس عندك فيه وحيٌ.

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ على فعلٍ بعدَ المشاورةِ، والعزمُ: هو عقدُ المرءِ على شيءٍ يريدُ كونَهُ.

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ لا على مشاورتهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فينصرهم.

* * *

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ .

[١٦٠] ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ يُعِنْكُم كيومِ بدرٍ .

﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ ﴾ كيومِ أُحد، والخِذلانُ: القعودُ عن النصرةِ .

﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ بعدَ خذلانه .

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ وحده .

﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فليخصُّوه بالتوكُّل .

عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تتوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَروحُ[١] بِطَاناً»[٢] .

***

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

[١٦١] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ أي: يخونَ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يُغَلَّ) بضم الياء

---

(١) في «ن»: «وتعود».

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، كتاب الزهد، باب: التوكل واليقين، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠).

وفتح الغين[1]؛ يعني: يُخانَ. نزلتْ في قَسْم الغنيمةِ أو سترِ شيءٍ منها.

رويَ عن عمرِو بنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّهِ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ، وأبا بكرٍ، وعمرَ رضي الله عنهما حرقوا متاعَ الغالِّ، وضربوه[2]، واستدل الإمامُ أحمدُ بذلكَ، فقال في الغالِّ، وهو الذي يكتمُ ما أخذَهُ من الغنيمة، فلا يَطَّلِعُ الإمامُ عليه، ولا يضعُه مع الغنيمة: يجبُ حرقُ رَحْلِه كلِّه، إلا السلاحَ والمصحفَ والحيوانَ ونفقتَه، ويُعَزَّرُ، ويؤخذ ما غَلَّ للمغنم، ولا يُحْرَمُ سهمَه من الغنيمةِ، وخالفه الثلاثة في ذلك، وقالوا: يعزَّرُ فقط، ولا يُحرم سهمَه.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ أي: بإثمه.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لأنه عادل.

* * *

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾.

[١٦٢] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ قرأ أبو بكرٍ: (رُضْوَانَ) بضم

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٩ـ١٨٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٣ـ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨١).

(٢) رواه أبو داود (٢٧١٥)، كتاب: الجهاد، باب: في عقوبة الغال، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٠٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

الراء[1]، والآية توقيفٌ على تَبايُن المنزلتين، وافتراقِ الحالتين.

﴿ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ متحملاً له.

﴿ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

* * *

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾.

[١٦٣] ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾ أي: هم ذوو درجات.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ المعنى: المثابون والمعاقَبون متفاوتون في المنازلِ والجزاءِ يومَ القيامة.

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيهم.

* * *

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾.

[١٦٤] ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ عربياً مثلَهم؛ ليفهموا عنه، وليَشْرُفوا به.

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ظاهر.

* * *

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان، في تفسير الآية الثانية من سورة المائدة.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾.

[١٦٥] ثم أدخلَ همزةَ الاستفهام على الواو العاطفةِ الجملةَ بعدَها على محذوف، فقال: ﴿أَوَلَمَّآ﴾ وتقديره: أفعلتم كذا، وقلتم حين ﴿أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ بأُحد بقتل سبعينَ منكم.

﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ ببدرٍ بقتلِ سبعينَ وأسرِ سبعينَ منهم.

﴿قُلۡتُمۡ﴾ تعجُّباً.

﴿أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ أي: كيف خُذلنا ونحن مؤمنون.

﴿قُلۡ هُوَ﴾ أي: الخذلانُ.

﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ لمخالفتكم النبيَّ ﷺ، وتركِ المركز.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ من النصرِ ومنعِه.

* * *

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾.

[١٦٦] ﴿وَمَآ﴾ مبتدأ؛ أي: والذي.

﴿أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ بأُحدٍ، خبرُه ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعلمِه.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

* * *

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾.

[١٦٧] ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾ المعنى: إن ما أصابهم كان بعلمِ الله، وليُظْهِرَ إيمانَ المؤمنين بثبوتهم على ما أصابهم، وليظهرَ نفاقَ المنافقين بقلَّة صبرهم.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ أي: الذين نافقوا، وهم عبدُ الله بنُ أُبيٍّ وحلفاؤه حين انخزلوا عن أُحد.

﴿ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أعداءَهُ.

﴿ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ﴾ عن حرمِكم وأهليكم إنْ لم يكن للهِ.

﴿ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ﴾ فأظهر تعالى كذبهم بقوله:

﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ لأنهم قبل ذلك لم يظهرْ منهم ما يدلُّ على كفرهم، فلما انخزلوا، ظهر.

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ يُضمرون خلافَ ما يُظهِرون من كلمةِ الإيمان.

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (أَعْلَمْ بِمَا) بإسكان الميم عندَ الباء، وتقدم ذِكْرُ ذلك.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ﴾ يعني: ابنَ أُبَيٍّ وأصحابَهُ قالوا ﴿ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ في النسبِ، لا في الدين، وهم شهداءُ أُحد.

﴿ وَقَعَدُواْ ﴾ أي: وقد قعدوا عن القتال.

﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ وانصرفوا عن محمد.

﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾ قرأ هشام: (قُتِّلُوا) بتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ فَادْرَءُواْ ﴾ فادفعوا ﴿ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ برأيكم وحِيَلِكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن الحذرَ يُنجي من القدر.

* * *

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾.

[١٦٩] ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ نزلتْ في شهداءِ بدرٍ، وقيل: في شهداءِ أُحدٍ: حمزةَ وأصحابِهِ. قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ بخلافٍ عنه (يَحْسَبَنَّ) بالغيب وفتح السين؛ أي: لا يحسبن النبي، وقرأ الباقون: بالخطابِ وكسر السينِ[2]، والمراد به النبيُّ ﷺ، وقرأ ابن عامر(قتلوا) بتشديد التاء[3].

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٢٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٤٧)، و«التيسير» =

﴿ بَلْ ﴾ هم.

﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ من الجنة، وعنه ﷺ: «أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ كَطَيْرٍ خُضْرٍ أَوْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ أَيْنَ شَاءَتْ»(١).

***

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

[١٧٠] ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ من الشهادة والكرامة والفضيلة على غيرهم؛ لأنهم أحياءٌ مقرَّبون.

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ إخوانِهم الذين بَقُوا بعدَهم ولم يُقْتلوا.

﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ المعنى: يفرحون يومَ القيامةِ بسلامةِ إخوانهم الذين بَقُوا بعدَهم حيثُ وصلوا إليهم آمنين.

***

﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾.

= للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(١) رواه الترمذي (٣٠١١)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة آل عمران، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٠١)، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

[١٧١] ثم كرَّرَ تأكيداً ﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ قرأ الكسائي: (وَإِنَّ اللهَ) بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ الباقون: بالفتح عطفاً على ﴿ بِنِعْمَةٍ ﴾[١] أي: يستبشرون بنعمة، وبأن الله ﴿ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال ﷺ: «لا يَجِدُ الشَّهيدُ أَلَمَ القَتْلِ إلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ القَرْصَةِ»[٢].

***

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

[١٧٢] ولما انصرفَ أبو سفيانَ نحو مكةَ بأصحابه، ندموا حيث لم يَسْتأصلوا النبيَّ ﷺ وأصحابَه، فأرادوا العودةَ لذلك، فأحبَّ النبي ﷺ أن يُرِيَ من نفسِه جَلَداً وقوةً، فانتدبَ أصحابَه الذين كانوا معه في القتال للخروج في طلب أبي سفيانَ، فخرج ﷺ بمَنْ معه حتى بلغ حمراءَ الأُسْدِ على ثمانيةِ أميالٍ من المدينة، فَجَبُنَ أبو سفيان عن العودِ، فقال لِنُعَيْمِ بنِ مسعودٍ الأشجعيِّ، أو لركبٍ مَرَّ به: إذا رأيتم محمداً وأصحابَه، فأخبروهم

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٤-٣٦٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٢٤٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٦٤)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

أنا قد أجمعنا على الكرة عليهم، فأخبروهم فقالوا:

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فنزل:

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] أي: أجابوهما.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ أي: نالهم الجرحُ. وتقدم اختلافُ القرَّاء في فتح القاف وضمِّها.

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بطاعتِهم للهِ ورسوله.

﴿ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟﴾ المعاصيَ.

﴿ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ و(من) في ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ للتبيين، مثلها في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلُّهم واتقوا، لا بعضُهم.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾.

[١٧٣] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ نُعيمٌ الأشجعيُّ، أو الرَّكْبُ:

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبا سفيانَ وأصحابه.

﴿ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ ليستأصِلوكم.

﴿ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ ﴾ القولُ ﴿ إِيمَٰنًا ﴾ يقيناً وقوةً؛ بأن أخلصوا النيةَ، وعزموا على الجهاد.

﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافِينا.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١٧٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٣).

﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ أي: الموكولُ إليه.

***

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾.

[١٧٤] وروي أن أبا سفيان كان واعدَ النبيَّ ﷺ أن يلقاهُ ببدرِ الصغرى، وكانت موضعَ سوقٍ لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كلِّ عام ثمانيةَ أيام، فلما كان العامُ القابل، جَبُنَ أبو سفيانَ عن الذهاب إلى بدرٍ، وذهب ﷺ بأصحابه، ومعهم تجاراتٌ، فكسبوا في[(١)] تجاراتهم، ولم يلقوا عدواً.

﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ أي: رجعوا من بدر[(٢)].

﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ بسلامةٍ وربحٍ.

﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ شيء يسوؤهم.

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ طاعةَ الله ورسولِه.

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ أعطاهم ثوابَ الغزوِ، ورضيَ عنهم.

***

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي: القائلُ لكم:

---

(١) «في» ساقطة من «ن».

(٢) «من بدر» ساقطة من «ن».

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ ترهيباً، فـ(ذلكم) مبتدأ، خبرُه:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوِّفُكم بأوليائه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي: الشيطانَ وأولياءه.

﴿وَخَافُونِ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (وَخَافُونِي) بإثباتِ الياء حالةَ الوصل، ويعقوبُ يُثْبِتُها في الحالين[1].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدِّقين؛ لأن الإيمانَ يقتضي أن يقدِّمَ خوفُ الله على غيره.

***

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ قرأ نافعٌ: بضم الياء وكسر الزاي من (أَحزنه) في جميع القرآن، إلا قولَه في الأنبياء: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الآية: ١٠٣]، وأبو جعفرٍ ضده، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي من حَزَنه يَحْزُنه[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٦).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١-٩٢)، و«النشر في القراءات=

﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ ﴾ يقعون فيه سريعاً بمظاهرة المشركين، والمراد: كفارُ قريش. المعنى: لا تحزنْ لخوفٍ يلحقُكَ بسببِ المظاهَرةِ عليك.

﴿ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: دينه.

﴿ شَيۡـًٔا ﴾ بمسارعتهم إلى الكفر.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظًّا ﴾ نصيباً.

﴿ فِي ﴾ ثواب.

﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ فلذلك خذلهم، وجعلَ وبالَ كفرِهم راجعاً عليهم.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ مع الحرمان من الثواب.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٧ ﴾.

[١٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ استبدَلُوا.

﴿ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ وإنما يضرُّون أنفسهم.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تكريرٌ للتأكيد.

* * *

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٦).

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

[١٧٨] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ قرأ حمزةُ هذا والذي بعده: بالخطاب وفتح السين، وقرأ الباقون: بالغيب وكسر السين، فمن قرأ بالغيب تقديرُه: ولا يحسبَنَّ الكفَّارُ، ومن قرأ الخطاب؛ يعني: ولا تحسبنَّ يا محمد[١].

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ أي: نُمهلُهم ونُخلِّيهم مع إرادتهم.

﴿ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ ﴾ والإملاءُ: الإمهالُ والتأخير.

﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ نمهلُهم.

﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ نزلت في مشركي مكة.

قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[٢].

***

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٣٠)، كتاب: الزهد، باب: (٢٢)، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٥٦)، عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾.

[١٧٩] ولما قال المشركون: يا محمد! تزعُم أن مَنْ خالفك فهو في النار، واللهُ عليه غضبان، وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة، واللهُ عنه راضٍ، فأخبرنا بمن يؤمنُ بكَ ومن(١) لا يؤمن بك(٢)، أنزل الله:

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾(٣) أيها المشركون من الكفر والنفاقِ.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ أي: يبينَ المنافقَ من الطيب؛ أي: المؤمِن، فبان المنافقُ يوم أُحُدُ بتخلُّفهم عن الغزو. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يُمَيِّز) بضم الياء الأولى وتشديد الثانية للمبالغة؛ من مَيَّزَ يُمَيِّزُ، وقرأ الباقون: بالفتح والتخفيف؛ من مازَ يَميزُ، وهما لغتان(٤)، وأصل المَيْز: الفصلُ بينَ المتشابهات.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ لأنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ غيرُه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ فيُطْلِعهُ على ما يشاء من غيبِهِ.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ بأن تصدِّقوهم.

---

(١) في «ت»: «وبمن».

(٢) «بك» ساقطة من «ن».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٣).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٨).

﴿ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يُقدر[1] قدرُه.

***

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

[١٨٠] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ ﴾ يعني: البخلَ.

﴿ خَيْرًا لَّهُم ﴾ والقراءة بالخطاب للنبيِّ ﷺ؛ أي: لا تحسبنَّ يا محمدُ بخلَ الذين يبخلون هو خيراً.

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ يعني: البخلَ.

﴿ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾ أي: المال الذي منعوا زكاته؛ بأن يجعل حَيَّةً تُطَوَّقُ في عنق مانعها.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ تنهشُه من قَرْنه إلى قدمِه.

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ لأنه الدائمُ الباقي بعدَ فناءِ خلقه وزوالِ أملاكهم، فيموتون ويرثُهم.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فيجازيهم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (يَعْمَلُونَ) بالغيب، وقرأ الباقونَ: بالخطابِ على الالتفات[2]، وهو أبلغ في الوعيد.

---

(١) في جميع النسخ «يقادر» والمثبت هو الصواب.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٠)، =

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾.

[١٨١] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ نزلت لما قال اليهود عند سماعهم ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]: إنَّ اللهَ فقيرٌ يستقرضُ مِنَّا، ونحن أغنياءُ، والذي قالَ هذهِ المقالةَ من اليهود فِنْحاصُ بنُ عازوراءَ. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبوجعفرٍ، وقالونُ عن نافعٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (لَقَدْ سَمِعَ) بإظهار الدال عند السين، والباقون: بالإدغام(١).

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ من الكذبِ في اللوحِ المحفوظِ، فيجازيهم عليه.

﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: النار وهو معنى المُحرِق. **قرأ** حمزةُ: (سَيُكْتَبُ) بالياء وضمِّها وفتح التاء، (وَقَتْلُهُمْ): برفع اللام، (ويَقُولُ): بالياء، **وقرأ** الباقون: (سَنَكْتُبُ) بالنون وفتحها وضم التاء، (وَقَتْلَهُمْ): بالنصب، (ونَقُولُ): بالنون(٢).

= و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٩).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٩)، =

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ﴾.

[١٨٢] فإذا أُلقوا في النار، يقال لهم: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: النازلُ بكم من العذاب.

﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ لأنه عادل لا يعاقب غير المسيء، ويثيب المحسنَ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾.

[١٨٣] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: وسمعَ اللهُ قولَ الذين قالوا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ ﴾ أمرَنا في كتبِنا.

﴿ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ ﴾ أي: لا نصدق رسولاً يزعُم أنه جاء من عند الله.

﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ ﴾ فيكونَ دليلاً على صدقه، والقربانُ كلُّ ما يتقرَّبُ به إلى الله، وكان إذا قُرِّبَ قربانٌ إن قُبِل، جاءت نارٌ بيضاءُ فأحرقته، وإن لم يُقبل، بقيَ مكانه، وسبب نزولها أن كعبَ بنَ الأشرفِ وأصحابَه أتوا النبيَّ ﷺ، فقالوا: يا محمدُ! تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً،

= و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٩-٩٠).

وأنزل عليك كتاباً، وإن الله قد عهدَ إلينا في التوراة ألاَّ نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكلُه النار، فإن جِئْتَنا به، صَدَّقناك، فأنزل الله الآية[1].

قال السُّدِّيُّ: قيل لبني إسرائيل: من جاءكم يزعمُ أنه نبيٌّ، فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكُله النار، إلا محمداً وعيسى، فإذا أتيا، فآمنوا بهما؛ فإنهما لا يأتيان بقربان، قال الله تعالى إقامةً للحجة عليهم:

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ﴾ يا معشرَ اليهود.

﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي﴾ كيحيى وزكريا.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ فقتلتموهم.

﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أي: قتلهم أسلافكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ معناه: تكذيبُهم مع علمِهم بصدقك؛ كقتل آبائهم الأنبياءَ مع إتيانهم بالقربان[2].

* * *

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾.

[١٨٤] ثم قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: الصحف، جمعُ زبور؛ كرسول.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٨٣١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٤).

(٢) في «ن»: «القربان». وانظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٥٨)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٠٩).

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ الواضحِ. قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ) بزيادة (باء)[1] بعد الواو فيهما، وافقه ابنُ ذكوان في (وبالزبر)[2]. المعنى: إن كذبوك، فقد كذبوا الأنبياء قبلك مع قيامِ المعجز، وهذا تسليةٌ له ﷺ.

* * *

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾.

[١٨٥] ثم بَشَّرَ المؤمنين، وحذَّرَ الكافرين بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ المعنى: إن النفوس تزهقُ بملابسةِ أيسرِ جزءٍ من الموت.

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ أي: جزاء أعمالكم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ إنْ خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌّ.

﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أُبْعِدَ.

﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾ ظَفِرَ بالنجاةِ، وأصلُ الفوزِ: الظَّفَرُ

---

(١) في «ت»: «ما».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٢).

بالخير معَ حصول السلامة. قرأ أبو عمرٍو (وَزُحْزِح عَّنِ) بإدغام الحاء في العين، ولم يدغمها فيها في غير ذلك[1].

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ الباطل. المعنى: الانتفاعُ بالدنيا يسيرٌ، ثم يزولُ عن قريب.

***

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٨٦) ﴾.

[١٨٦] ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ ﴾ لَتُخْتَبَرُنَّ و(اللام) للتأكيد، وفيه معنى القسم، و(النونُ) لتوكيد القسم.

﴿ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ بالجوائحِ.

﴿ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ بالموتِ والقتلِ ومفارقةِ الأهل.

﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ اليهودِ والنصارى.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ ﴾ مشركي العرب.

﴿ أَذًى كَثِيرًا ﴾ طعناً في دينكم، وسبّاً كسبِّ ابنِ الأشرفِ لكم ولنبيِّكم، وتشبيبِهِ بنسائكم.

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ الصبرَ والتقوى.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٢).

﴿ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي: من خيرِ الأمور التي يُعْزَمُ عليها، ويُبالَغُ في طلبها، والعزمُ: قَصْدُ الإمضاءِ.

* * *

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

[١٨٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي: واذكر إذ ﴿ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصم: بالغيب فيهما؛ لقوله:

﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: طرحوه وضيعوه، وقرأ الباقون: بالخطاب؛ أي: وقلنا لهم (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ)(١).

﴿ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴾ من حطامِ الدنيا.

﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ يختارون لأنفسهم. قال قتادةُ: هذا ميثاقٌ أخذَهُ الله تعالى على أهل العلم، من عَلِمَ شيئاً، فَلْيُعَلِّمْهُ، وإياكم وكتمَ العلم، قال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلجَامٍ مِنْ نَارٍ»(٢).

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٣-٩٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٨)، كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم، والترمذي =

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُوا۟ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُوا۟ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

[١٨٨] ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ أي: بما فعلوا. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامر: بالغيب؛ أي: لا يحسبنَّ الفارحونَ فرحَهم مُنْجياً لهم من العذاب، وقرأ الكوفيون، ويعقوبُ: بالخطاب؛ أي: لا تحسبَنَّ يا محمدُ الفارحين(١).

﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُوا۟ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُوا۟﴾ نزلَتْ في المنافقين الذين كانوا إذا خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الغزو، تخلَّفوا عنه، فإذا رجعَ، حلفوا له، واعتذروا إليه، وأحبُّوا أن يُحْمَدوا بما(٢) لم يَفْعلوا(٣).

﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بالغيبِ وضمِّ الباءِ [خبراً عن

= (٢٦٤٩)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم، وقال: حسن، وابن ماجه (٢٦٦)، في المقدمة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٦ـ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٧ـ٣٦٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢/ ٩٤).

(٢) في «ت»: «لما».

(٣) رواه البخاري (٤٢٩١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾، ومسلم (٢٧٧٧)، في أول كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

الفارحين؛ أي: فلا يحسبُنَّ أنفسَهم، وقرأ الباقون: بالخطاب وفتح الباء،][1] أي: فلا تحسبَّنهم يا محمدُ[2].

﴿بِمَفَازَةٍ﴾ أي: بِمَنْجاة.

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرِهم وتدليسهم.

***

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾.

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدِرُ على عقابهم.

***

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾.

[١٩٠] ثم أومأ الله تعالى إلى الاعتبار بعجيبِ الصنعِ وكمالِ القدرةِ وتنزيهِ الخالق بما رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ إذا قامَ من الليل بعدَ[3] أن يتسوَّكَ ثم ينظرَ إلى السماء: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٥).

(٣) «بعد» سقط من «ن».

﴿وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ﴾[1] لدلالات على القدرة العظيمة.

﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ذوي العقول.

***

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾.

[١٩١] ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ أي: مضطجعين. تلخيصُه: يدُيمون ذكرَهُ؛ لأن الإنسانَ غالباً يكونُ على هذه الأحوال.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يذكرونه متفكِّرين.

﴿فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وما فيهما من العجائب؛ استدلالاً على القدرةِ العظيمةِ والحكمةِ الباهرةِ، والفكرةُ تُذهب الغفلةَ، وتُحدث للقلبِ الخشيةَ، ويقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا﴾ أي: الخلقَ ﴿بَٰطِلٗا﴾ أي: عبثاً.

﴿سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ **قرأ** أبو عمرٍو: (النَّارِ) بالإمالة، ويدغمُ الراءَ في الراء التي بعدها.

***

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٧)، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه من الليل، ومسلم (٧٦٣)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ﴾ دخولَ تخليدٍ.

﴿فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ أَهنْتَهُ وفضَحْتَهُ.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ تخلِّصُهم منها.

***

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾.

[١٩٣] ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا﴾ أي: محمداً ﷺ.

﴿يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ لأنه لا شيءَ أعظمُ من النداءِ للإيمان.

﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ اقبضْ نفوسَنا واحشُرْنا في جملةِ النبيين والصالحين. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الأَبْرَارِ) بالإمالة، ورواه ورشٌ من طريق الأزرق بينَ بينَ، واختُلِفَ فيه عن حمزةَ، وابنِ ذكوانَ(١).

***

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾.

[١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ دعاء بمعنى الخبر. تلخيصُه: اغفر لنا جميعَ ذنوبنا لتؤتينا ما وعدتنا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٦).

﴿عَلَىٰ﴾ ألسنةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ من الفضلِ والرحمةِ.

﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ ولا تُهِنَّا.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابةِ المؤمنِ، وإجابةِ الداعي، وتكريرُ ﴿رَبَّنَا﴾ مبالغةٌ في التضرُّعِ والابتهال، ومؤذِنٌ بالإجابة.

وعن جعفرٍ الصادقِ: «مَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فقالَ: رَبَّنا خمسَ مرَّاتٍ، أنجاهُ اللهُ مما يخافُ، وأعطاه ما أراد، وقرأ هذهِ الآياتِ»(١).

* * *

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)﴾.

[١٩٥] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿لَا أُضِيعُ﴾ لا أُهمِلَ.

﴿عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ أيُّها المؤمنونَ.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ قالتْ أمُّ سَلَمَةَ: «يا رسولَ اللهِ! إني أسمعُ اللهَ يذكرُ الرجالَ في الهجرةِ، ولا يذكرُ النساء»، فأنزل الله هذه الآية(٢).

﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ في النُّصرةِ والموالاةِ.

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ٤٤٥): لم أقف عليه.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٢٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النساء، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢١٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٩٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٧٤).

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى ﴾ أي: ديني وطاعتي، والمرادُ: المهاجرون؛ لأنهم أُوذوا في الله، وأُخرجوا من مكة.

﴿ وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾ أي: قاتلوا العدوَّ، ثم قُتلوا. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: (وَقُتِّلُوا) بالتشديد؛ أي: قُطِّعوا في المعركة، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ بتقديم (قُتِلُوا)؛ أي: قُتِلَ بعضُهم، وقاتلَ مَنْ بقي، وقرأ الباقونَ بالوجه الذي تقدَّم تفسيرُه أولاً[1].

﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: لأثيبنَّهُمْ ثواباً.

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ على الطاعة.

***

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ ﴾.

[١٩٦] ولما قال بعض المؤمنين: إن أعداءَ الله في التجاراتِ والخيرِ، ونحن في الشدةِ، نزلَ خطاباً للنبي ﷺ، والمرادُ غيرُه: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ ﴾ قرأ رسٌ عن يعقوبَ: بتخفيف النون[2].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٧ـ١٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢ـ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٩).

﴿ تَقَلُّبُ﴾ أي: تنقُّلُ.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ بالتجاراتِ ووجوهِ المكاسبِ.

* * *

﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

[١٩٧] ﴿ مَتَٰعٌ﴾ أي: فتقلُّبهم متاعٌ ﴿ قَلِيلٌ﴾ وبُلْغةٌ يسيرةٌ في الدنيا.

﴿ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ﴾ مصيرُهم.

﴿ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفِراشُ.

* * *

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾.

[١٩٨] ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (لَكِنَّ) بتشديد النون، والباقون: بتخفيفها[١].

﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾ جزاءً وثواباً.

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ من متاعِ الدنيا.

* * *

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٣٩)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٩).

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩٩) ﴾ .

[١٩٩] ونزل في مؤمني أهل الكتاب؛ كعبدِ الله بنِ سلامٍ: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: القرآن .

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: التوراة .

﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ أي: متواضعينَ له .

﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ المكتوبةِ في التوراةِ من نعتِ النبي ﷺ .

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ ﴾ من حُطامِ الدنيا خوفاً على الرئاسة كغيرهم من اليهود .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ لا يحتاجُ إلى كَتْبِ يدٍ ولا وَعْيِ صَدْرٍ .

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ .

[٢٠٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ ﴾ على دينكم فلا تتركوه لشدةٍ ولا رَخاءٍ .

﴿ وَصَابِرُوا۟ ﴾ غالِبوا الكفارَ بالصبرِ .

﴿ وَرَابِطُوا۟ ﴾ اثبتوا في الثغور رابطينَ خيولَكُم، وأصلُ الرَّبْطِ: الشَّدُّ، ويستعملُ لكلِّ مقيمٍ في ثغرٍ يدفَع عَمَّنْ وراءه، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ خَيْلٌ .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ترَجٍّ في حقِّ البشر، قال ﷺ:

«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٧٣٥)، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، ومسلم (١٨٨١)، كتاب: الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ، وهذا لفظ البخاري.

سورة النساء

مدنيةٌ، وآيُها[1] مئةٌ وسبعون وست آيات، وحروفها ستةَ عَشَرَ ألفاً، وثلاثون حرفاً، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ وتسعُ مئةٍ وخمسٌ وأربعونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابٌ لجميع بني آدم (يا) حرفُ نداء و(أَيُّ) منادى مفَردٌ، و(ها) تنبيهٌ، و(الناسُ) نعتٌ لأيٍّ، والناسُ والمؤمنون ونحوُهما تعمُّ العبيدَ عندَ أحمدَ وأصحابِه وأكثرِ أتباع الأئمة.

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ والربُّ: المالكُ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ. قرأ أبو عمرو: (خَلَقكُّمْ) بإدغام القاف في الكاف، ولم يدغم من المتقاربين في كلمة إلا القاف في الكاف التي تكون في ضمير الجمع المذكَّرينَ إذا تحركَ ما قبلَ القافِ لا غيرُ،

---

(١) في «ت»: «وآياتها».

وذلك نحو قوله: (خَلَقكُّمْ) و(رَزَقكُّمْ) و(وَاثقَكُّم) وشبهه، وأظهرَ ما عداه مما قبلَ القاف فيه ساكنٌ، ومما ليس بعد الكاف فيه ميمٌ؛ نحو قولِه تعالى: (مِيثَاقَكُمْ) و(بِورِقِكُمْ) و(خَلَقَكَ) و(نَرْزُقُكَ) وشبهِه[1].

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: وخلق منهُ أمكم حَوَّاءَ من ضِلَعٍ من أضلاعِه اليسرى.

﴿وَبَثَّ﴾ نشرَ وأظهر.

﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ أي: نشرَ من تلكَ النفسِ والزوجِ المخلوقةِ منها بنينَ وبناتٍ كثيرةً[2].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي: تتساءلون: تقسمون. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخَلَفٌ: (تَسْأَلُونَ) بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ القرابات، **قراءةُ العامة**: بالنصب؛ أي: واتقوا الأرحامَ أَنْ تقطعوها، **وقرأ** حمزةُ: بالخفض، أي: به وبالأرحامِ، والأولى أفصحُ[3].

---

(١) انظر قراءة أبي عمرو في: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٣).

(٢) من قوله: «لا يفلح قوم شجوا...» (ص: ٢٣) من هذا الجزء، إلى هنا ساقط من «ش»، بمقدار عشر لوحات من النسخ الخطية الأخرى.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٩ـ٣٩٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، =

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ حفيظاً مطلعاً.

* * *

﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ونزل في رجل من غَطَفانَ كان معه مالٌ كثيرٌ لابنِ أخٍ له يتيمٍ، فلما بلغَ، طلبَ المالَ، فمنعَه عمُّهُ.

﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾(١) سلِّموها إليهم إذا بلَغوا، واليتامى: جمعُ يتيمٍ، وهو الذي مات أبوه؛ من اليتمِ، وهو الانفراد.

﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ ﴾ أي: الحرام.

﴿ بِٱلطَّيِّبِۖ ﴾ بالحلالِ؛ لأنهم كانوا يأخذون الجيدَ من مالِ اليتيم، وهو خبيثٌ في حَقِّهم، ويضعون مكانه الرديءَ من أموالهم، وهو طَيِّبٌ لهم.

﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾ أي: معها.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: الأكلَ.

﴿ كَانَ حُوبٗا ﴾ إثماً.

﴿ كَبِيرٗا ﴾ فلما سمعَها العمُّ، قال: «أَطَعْنا اللهَ وأطعْنا الرسولَ، نعوذُ بالله من الحُوبِ الكبير»، فدفع إليه ماله.

* * *

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٣).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧١).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) ﴾.

[٣] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ يا أولياءَ اليتامى.

﴿ أَلَّا تُقْسِطُوا ﴾ أي: لا تَعْدِلوا.

﴿ فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ إذا نكحتموهُنَّ.

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم ﴾ أي: ما حلَّ لكم غيرَهُنَّ. قرأ حمزةُ (طَابَ) بالإمالةِ(١).

﴿ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ الغرائبِ.

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ أي: تزوَّجوا إن شئتُم مَثْنى، وإن شئتم ثُلاثَ، وإن شئتم رُباعَ، أنتم مُخَيَّرون في ذلك، وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوزُ له أن يزيد على أربعِ نسوةٍ إذا كان حُرّاً، وأما العبدُ، فلا يجوز له أن يجمعَ بينَ أكثرَ من زوجتين عندَ الثلاثة، وقال مالكٌ: هو كالحرِّ في جواز جمعِ الأربعِ إليه، وكانت الزيادةُ على الأربع من خصائصِ النبيِّ ﷺ، لا يشاركه أحدٌ من الأمة فيه، روُي أن قيسَ بنَ الحارثِ كان تحتَه ثمان نسوة، فلما نزلت هذه الآيةُ، قال له رسول الله ﷺ: «طَلِّقْ أَرْبَعاً، وَأَمْسِكْ أَرْبَعاً»، قال:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ١٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٦).

فجعلتُ أقولُ للمرأة التي لم تلدْ مني: يا فلانة! أدبري، وللتي قد ولدت: يا فلانة! أقبلي[1].

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ بينَ هذه الأعداد.

﴿ فَوَٰحِدَةً ﴾ أي: فانكحوا واحدةً. قرأ أبو جعفرٍ (فَوَاحِدَةٌ) بالرفع خبرُ مبتدأ؛ أي: فالمُقنعِ واحدةٌ، وقرأ الباقون: بالنصب على المعنى الأول[2].

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ من السراري؛ لأنه لا يلزمُ فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر.

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقربُ.

﴿ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ تَجُوروا.

* * *

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾ أي: مهورَهُنَّ، جمعُ صَدُقَةٍ.

﴿ نِحْلَةً ﴾ عطيّةً عن طيبِ نفسٍ.

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ ﴾ أي: من المال؛ لأن الصدقاتِ مالٌ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير (١٨/ ٣٥٩)، والدارقطني في «سننه» (٣/ ٢٧١)، والبيهقي في «السنن الكبرى». (٧/ ١٨٣).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٧).

﴿نَفۡسٗا﴾ نصبٌ تمييز؛ أي: إذا وهبْنَكُم شيئاً عن طيب نفس.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا﴾ طيباً.

﴿مَّرِيٓـٔٗا﴾ سائغاً لا يُنغِّصُه شيء. قرأ أبو جعفرٍ (هَنِيّاً مَرِيّاً) بتشديد الياء منهما من غير همز، والباقون: بهمزهما[1].

***

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ أي: المبذِّرين من الرجال والنساء والصبيان.

﴿أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ أي: قوامَ عيشكم. قرأ أبو عمرٍو، وقالونُ، والبزيُّ: (السُّفَهَا أَمْوَالَكُمْ) بإسقاطِ الهمزةِ الأولى بلا عِوَضٍ منها، ويَهْمزون الثانية، وقرأ ورشٌ، وقنبلٌ، وأبو جعفرٍ، ورُويسٌ: بتسهيل الثانية، فيجعلونها بين الهمزة والألف، ويفتحونها شبه مدة[2]، وقرأ الباقون، وهم عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٧٥-٤٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٩٠) و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٩).

بتحقيق الهمزتين، واختلفوا في قوله: (قِيَاماً)، فقرأ نافعٌ وابنُ عامر: (قِيَماً) بغير ألف، والباقون: بالألف.

﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ﴾ أي: أطعموهم واكسوهم منها لمن يجبُ عليكم رزقُه ومؤنتُه.

﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ عِدَةً جميلةً تطيبُ بها نفوسُهم.

***

﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (٦) ﴾.

[٦] ونزل في ثابتِ بنِ رفاعةَ، وفي عمِّه، وذلك أن رفاعةَ تُوُفِّيَ وتركَ ابنَهُ ثابتاً وهو صغيرٌ، فجاء عمُّه إلى رسول الله ﷺ، وقال: إن ابن أخي يتيمٌ في حِجْري، فما يحلُّ لي من مالِهِ، وما أدفعُ إليه؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ﴾(١) أي: اختبروا.

﴿ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ في عقولهم وتصرُّفاتهم في أموالهم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ أي: صاروا أهلاً أن يَنْكِحوا أو يُنْكَحوا، ويحصلُ البلوغُ عندَ أبي حنيفةَ في حقِّ الغلامِ بالاحتلامِ والإحبالِ والإنزالِ إذا وطىء، أو إكمالِ ثماني عشرةَ سنةً، وفي حقِّ الجاريةِ بالحيضِ والاحتلامِ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٥٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٠).

والحبلِ، أو إكمالِ سبعَ عَشْرَةَ سنةً، وعندَ مالكٍ حَدُّ البلوغِ في حَقِّهما الاحتلامُ والإنباتُ والانتهاءُ من السنِّ إلى ما يُعلم بالعادة بلوغُ مَن انتهى إلى مثله، ولم يحدَّ مالكٌ فيه حداً، ويزيد الإناثُ بالحيضِ والحملِ، وعند الشافعيِّ وأحمدَ حَدُّه في حَقِّهما الاحتلامُ، أو إكمالُ خمسَ عشرةَ سنةً، وتزيدُ الجاريةُ بالحيضِ والحمل، وأما نباتُ الشعر، فعند الشافعيِّ يقتضي الحكمَ ببلوغِ الكافرِ دونَ المسلمِ، وعندَ أحمدَ يقتضي البلوغَ مطلقاً.

﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم ﴾ أي: أبصرتم.

﴿ مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ هدايةً إلى مصالحهم، والرشدُ: الصلاحُ في المال فقط عندَ الثلاثة، وعند الشافعيِّ إصلاحُ الدينِ والمال.

﴿ فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ من غير تأخير عن حدِّ البلوغ.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ ﴾ أيها الأوصياء.

﴿ إِسْرَافًا ﴾ بغير حَقٍّ.

﴿ وَبِدَارًا ﴾ إسراعاً.

﴿ أَن يَكْبَرُوا۟ ﴾ أي: لا تبادروا بالتفريط في إنفاقها قبلَ أن يكبروا حَذَراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمُها إليهم، ثم بيَّنَ حالَ الأوصياءِ فقال:

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ أي: يطلبِ العفةَ من نفسِه، ويمتنعْ عن أكلها، والعِفَّةُ: الامتناع مما لا يَحِلُّ.

﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا ﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم، وهو يحفظُه.

﴿ فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ يأخذْ قدرَ أجرته إذا عملَ.

﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ أمرُ إرشاد ليسَ بواجبٍ فيُشهدُ لتزولَ عنه التهمةُ.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ كافياً.

* * *

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] وكانوا في الجاهلية لا يورِّثون النساءَ ولا الصبيانَ، فتُوفي أوسُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ، وتركَ امرأتَه أُمَّ كُحَّةَ وثلاث بناتٍ، فأخذَ سُوَيْدُ وعَرْفَجَةُ ابنا عَمِّهِ ووصيَّاه جميعَ تركته، فنزل:

﴿ لِّلرِّجَالِ ﴾(١) أي: الذكرِ من أولادِ الميت.

﴿ نَصِيبٌ ﴾ حَظٌّ.

﴿ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ هم المتوارثون من ذوي القرابات دونَ غيرهم.

﴿ وَلِلنِّسَآءِ ﴾ أي: الوارثاتِ منهنَّ.

﴿ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ ﴾ أي: من المال.

﴿ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ حظاً مقطوعاً بوجوب تسليمِه إليهم.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨١).

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾ يعني: قسمةَ الميراثِ.

﴿ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ للميتِ ممَّنْ لا يرثُ.

﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ أي: فارْضَخُوا لهم من المال قبلَ القسمةِ، وحكمُ هذهِ الآيةِ منسوخٌ.

﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ تقدَّم تفسيره قريباً.

* * *

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ثم حضَّ على الشَّفقةِ على الأيتام فقال:

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: بعدهم.

﴿ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا ﴾ أي: أولاداً صغاراً. قرأ حمزةُ: (ضِعَافاً) بالإمالة، بخلافٍ عن خلاد[١].

﴿ خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ الفقرَ، أَمْرٌ للحاضرينَ المريضَ عندَ الإيصاء.

﴿ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في أمرِهم الميتَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٧٤-٣٧٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١١).

﴿ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ عَدْلاً ؛ بأن يأمروه بالتصدُّق بدونِ الثلث ، ويترك الباقي لولده ، ويَرْفُق باليتيم كما يرفُقُ بولده . تلخيصه : يفعلُ بالميتِ كما يحبُّ أن يُفْعلَ به لو كان هو الميتَ .

***

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ونزل في الأوصياء الذين يأكلون ما لم يُبَحْ لهم من مالِ اليتيم ، وهي تتناولُ كلَّ أَكْلٍ من أولياءِ السوءِ وقُضاتِه ، وإن لم يكنْ وَصِيّاً(١) :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ بغير حَقٍّ .

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ أي : ملءَ بطونهم .

﴿ نَارًا ﴾ ما يجرُّ إلى النار ، ويؤُول إليها .

﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ . قرأ ابنُ عامرٍ ، وأبو بكرٍ : بضم الياء ؛ أي : (يُدْخَلُونَ ناراً) مُسَعَّرَةً ، وقرأ الباقون : بالفتح من صَلِيَ النارَ يَصْلاها : إذا حَلَّها وقاساها(٢) .

---

(١) في «ن» : «ولياً» .

(٢) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٨) ، و«الحجة» لأبي زرعة (ص : ١٩١) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٢٧) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١٢٠) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٨) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨٣) ، و«الغيث» للصفاقسي (ص : ١٨٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٨٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٢) .

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١١)﴾.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ أي: يأمرُكم، ويعهدُ إليكم في شأن أولادكم إذا مِتُّمْ.

﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ إذا اجتمعَ مع الإناثِ بالاتفاق، وإلا فالذكرُ عصبةٌ منفرداً بالاتفاق، وفُضِّل الذكرُ على الأنثى في الميراث بجعلِ حظِّه مِثْلي حَظِّ الأنثى؛ لأن الذكرَ في مَظِنَّةِ الحاجةِ أكثرَ من الأنثى، فإن كلَّ واحدٍ منهما في العادة يتزوَّجُ، ويكون له الولدُ، فالذكرُ يجبُ عليه نفقةُ امرأتِهِ وأولادِه، والمرأةُ يُنْفِقُ عليها زوجُها، ولا يلزمها نفقةُ أولادِها، وقد فضل الله الذكرَ على الأنثى في الميراثِ على وَفْقِ ذلك.

﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي: المتروكاتُ.

﴿نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ أي: جماعةً.

﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ الميتُ بالاتفاق.

﴿وَإِن كَانَتۡ﴾ الوارثة.

﴿وَٰحِدَةٗ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ (وَاحِدَةٌ) بالرفع على معنى: إن وقعتْ

واحدةٌ، وقرأ الباقون: بالنصب على خبر كان[1] ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ﴾ بالاتفاق.

﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ يعني: لأبوي الميت.

﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ﴾ أرادَ: أن الأبَ والأمَّ يكون لكلِّ واحدٍ سدسُ الميراثِ عندَ وجود الولد، أو ولدِ الابن، بالاتفاق، والأبُ يكونُ صاحبَ فرضٍ.

﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ من جميع الميراث، إلا أن يكون مع الأبوين زوجٌ أو زوجةٌ، فللأم ثلثُ ما يبقى بالاتفاق.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعداً، ذكوراً أو إناثاً.

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ والباقي للأب إن كان معها أبٌ، فالإخوة لا ميراثَ لهم مع الأب، ولكنهم يحجُبون الأمَّ من الثلثِ إلى السدس، سواءٌ كانوا أشقاءَ، أو لأبٍ، أو لأمٍّ، بالاتفاق. قال قتادةُ: وإنما أخذهُ الأبُ دونَهم؛ لأنه يمونُهم، ويلي نكاحَهم والنفقةَ عليهم. قال ابنُ عطية: هذا في الأغلب[2]. وعن ابن عباسٍ: أن الإخوة يأخذون السدسَ الذي حجبوا الأمَّ عنه[3]. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (فَلِإِمِّهِ) بكسر الهمزة في الحرفين استثقالاً

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٩٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٣).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٧).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٨٩)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ٧٢).

للضمة بعدَ الكسرة، وقرأ الآخرون: بالضمِّ على الأصل(١).

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ﴾ الميتُ.

﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يُوصَى) بفتح الصاد على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وكذلك الحرفُ الآتي، ووافق حفصٌ في الثاني، وقرأ الباقون: بكسر الصاد فيهما.

ثم حضَّ على تنفيذ وصايا الميت، وقضاء ديونه بقوله: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ الذين يرثونكم.

﴿لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ في الدِّينِ والدنيا والآخرة. المعنى: منكم من يَظُنَّ أن ابنَهُ أنفعُ له بأنْ يبادرَ إلى مصالحِهِ وقضاءِ ديونه، فيكونُ الأبُ أنفعَ، وبالعكس، وأنا العالمُ بمن أنفعُ لكم، وقد دبَّرْتُ أمرَكم على ما فيه المصلحةُ، فاتبعوه. ورُوي أنَّ الولدَ إن كانَ أرفعَ درجةً في الجنة، رُفع إليه والداه(٢)، وإن كان الوالدُ أرفَع درجةً، رُفع إليه ولدُه؛ لتقرَّ بذلك أعينُهم.

﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: فرضَ الله الميراث فريضةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ أي: لم يَزَلْ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٩_٤٠٠) و«الحجة»، لأبي زرعة (ص: ١٩٢_١٩٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٩_٣٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٤).

(٢) في «ن»: «والده».

﴿عَلِيمًا﴾ بأمور العباد.

﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضى وقَدَّرَ، فلا يُقْسَمُ إرثٌ إلا بعدَ قضاءِ دَيْنِ الميتِ، وإخراجِ ما أوصى به، بالاتفاق.

***

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)﴾.

[١٢] ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم، أو من غيرِكم.

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ هذا في ميراثِ الأزواجِ.

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ هذا في ميراث الزوجات، للواحدةِ الربعُ أو الثمنُ، وإن كنَّ أكثرَ من واحدة، اشتركْنَ فيه، والحكم في ذلك كلِّه متفقٌ عليه.

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ ﴾ أي: الميتُ، وهو اسمُ (كان).

﴿ يُورَثُ ﴾ أي موروثٌ منه.

﴿ كَلَٰلَةً ﴾ خبرُها، والكلالةُ: مَنْ لا ولدَ لهُ ولا والدَ، فالأبُ والابنُ طرفان للرجل، فإذا ذهبا، تَكَلَّلَهُ النسبُ؛ لأنَّ الورثةَ من جميع الإخوة وغيرِهم يحيطونَ بالميت كالإكليل يحيطُ بالرأسِ من جميعِ جوانبِه، وأعلاه وأسفلُه خاليان.

﴿ أَوِ ٱمْرَأَةٌ ﴾ عطفٌ على (رجلٌ).

﴿ وَلَهُۥ ﴾ الضميرُ عائد على الرجل، واكتفى بإعادته عليه دون المرأة إذ المعنى فيهما واحدٌ، والحكمُ قد ضبطه العطفُ الأول.

﴿ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ أي: من الأم.

﴿ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ بالاتفاق.

﴿ فَإِن كَانُوٓاْ ﴾ أي: أولادُ الأم.

﴿ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ أي: من واحد.

﴿ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾ بالسوية، لا يزيدُ نصيبُ ذكرِهم على أنثاهم، بالاتفاق.

﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾ أي: مُدْخِلِ الضررَ على ورثته بمجاوزةِ الثلثِ، ونصب (غير) على الحال، وتقدَّم خلاف القراء في قولِه: (يوصي) في الحرفِ المتقدِّم[1].

﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ أي: يوصيكم الله وصيةً.

---

(١) في الآية رقم (١١) من هذه السورة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاجِلُ بعقوبته. قال قتادة: كرِهَ اللهُ الضِّرارَ في الحياةِ وعندَ المماتِ، ونهى عنه[(١)].

***

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿تِلْكَ﴾ أي: الفروضُ المذكورةُ.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعهُ التي كالحدود المحدودة.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

***

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بكفره.

﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ جمَعَ خالدين، وأفرد خالداً؛ نظراً إلى معنى (مَنْ) ولفظِها، ونصبَهُما على الحال. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (نُدْخِلْهُ) في الحرفين بالنون، والباقون: بالياء[(٢)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، =

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم خاطب الحكام فقال: ﴿ وَٱلَّٰتِي ﴾ مبتدأ.

﴿ يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ أي: الزنا.

﴿ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ وخبرُ اللاتي:

﴿ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾ من المسلمين، وفيه بيانُ أن الزنا لا يثبتُ إلا بأربعةٍ من الشهودِ، بالاتفاق، فيسألُهم الحاكمُ عن ماهيته، وكيفيته، ومكانه، وزمانه، والمزنيِّ بها، فإن بينوه وقالوا: رأيناه وَطِئَها كالميلِ في المكحلةِ، وعُدِّلوا سرّاً وجهراً، حكم به بالاتفاق، ويُشترط عند أبي حنيفةَ ومالكٍ حضورُهم للشهادة مجتمعين غيرَ مفترقين، فإن افترقوا في الشهادة، كانوا قَذَفَةً.

قال أبو حنيفة: إلا أن يكونَ في مجلسٍ واحدٍ في ساعةٍ واحدةٍ. وعندَ الشافعيِّ: تصحُّ شهادتهم متفرقين؛ كما في سائر الحقوق؛ لإطلاق الآية. وعند أحمدَ: يشترط مجيئُهم في مجلس واحد، سواءٌ جاؤوا متفرقين، أو مجتمعين، فإن جاء بعضُهم بعدَ أن قام الحاكم، أو شهد ثلاثةٌ وامتنع الرابعُ، أو لم يكمِلْها، فهم قذفةٌ، وعليهم الحد.

﴿ فَإِن شَهِدُواْ ﴾ عليهنَّ بالزنا.

= و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٧).

﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ ﴾ أي: احبسوهن.

﴿ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ أي: ملائكةُ الموت[1].

﴿ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾ طريقاً في النكاح المغني عن السفاح، ثم نُسخ ذلك بنزول الحدِّ، وهو في حقِّ البِكر جَلْدُ مئةٍ، وفي حَقِّ الثيِّبِ الجلدُ، والرجمُ، ثم نُسخ الجلدُ، وبقي الرجمُ، واختلف الأئمةُ في تغريبِ البكرِ الحرِّ بعدَ الجلد، فقال أبو حنيفة: لا يُغرَّبُ إلا أن يرى الإمامُ ذلك مصلحةً، فيغربُه على قدرِ ما يرى، وقال مالك: يُغَرَّبُ الرجلُ دونَ المرأة وتغريبهُ أن ينفَى سنةً إلى غيرِ بلده، فيُحْبس فيه، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُجمع في حق الزانيينِ البكرينِ بينَ الجلدِ والتغريبِ سنةً إلى مسافةِ قصرٍ، وتُغرَّبُ المرأةُ مع مَحْرَمٍ، فإن امتنعَ، لم يُجبر.

وأما ثبوتُ الزنا بالإقرار، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ لا يثبتُ حتى يقرَّ أربعَ مراتٍ، فأبو حنيفة يشترطُ أن يكونَ الإقرارُ في أربعةِ مجالسَ، وأحمدُ لا يشترطُ المجالس، فلو أقرَّ أربعاً في مجلس واحد، أو مجالسَ، ثبتَ عليه، وعندَ مالكٍ والشافعيِّ يثبتُ بإقراره مرةً واحدة، وإذا أقرَّ بالزنا ثم رجعَ عنه، قُبِلَ رجوعُه، وسقطَ الحدُّ عندَ الثلاثة، وقال مالكٌ: إن رجعَ بشبهةٍ يُعْذَرُ بها؛ كقولِه: وطئتُ في نكاحٍ فاسدٍ ونحوِه، قُبِلَ وسقطَ عنه الحدُّ، وإن لم يرجعْ إلى شبهة، فعنه روايتان.

واختلفوا في اللوطيِّ، فقال أبو حنيفة: يُعَزَّرُ، ولا حدَّ عليه؛ خلافاً لصاحبيه، وقال مالكٌ: يجبُ على الفاعلِ والمفعولِ به الرجمُ، أحصنا أو لم يُحصنا، وعند الشافعيِّ وأحمدَ: حكمُه حكمُ الزاني على ما تقدَّم.

---

(١) في «ت»: «العذاب».

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾ أي: الرجلُ والمرأةُ. قرأ ابنُ كثيرٍ: (وَاللَّذَانِّ) و(اللَّذَيْنِّ) و(هَاذَانِّ) و(هَاذَيْنِّ): مشدَّدَةَ النونِ للتأكيد[١].

﴿ يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ أي: الفاحشةَ.

﴿ مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ عَيِّروهما باللسان. قال ابنُ عباسٍ: سُبُّوهُما، وقال: يُؤْذَى بالتعييرِ وضَرْبِ النِّعال[٢]، ذكر في الأولى الحبس، وهنا الإيذاء، قالوا: لأنَّ الأُولى في النساء، وهذه في الرجال.

﴿ فَإِن تَابَا﴾ من الفاحشة.

﴿ وَأَصۡلَحَا﴾ العملَ.

﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ ﴾ لا تُؤْذوهما ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ .

وهذا كلُّه قبلَ نزولِ الحدود، فَنُسِخَتْ بالجلدِ والرَّجْمِ، فالجلدُ في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾ [النور: ٢]، والرجمُ في السنةِ وردَ به الحديثُ الصحيحُ عن النبي ﷺ أنه قَضَى به، ويأتي الكلام على الجلد والرجم، وحكمُه، واختلافُ الأئمة فيه في أول سورة النور إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٨).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢١١).

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ ﴾ أي: قبولُ التوبةِ.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: من الله.

﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ أي: جاهلين سفهاً. قالوا: وأجمعتِ[١] الصحابة أن كلَّ ما عُصِيَ اللهُ تعالى به فهو جهالةٌ، عَمْداً كان أو سَهْواً، وكلُّ من عصى الله فهو جاهلٌ.

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أي: زمان قريب قبلَ مرضِ موته، قال ﷺ: «إنَّ اللهَ يَقبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[٢].

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ ﴾ تأكيداً لقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ ﴾.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ يعلمُ إخلاصَ التائب، ولا يعاقبهُ.

* * *

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾.

---

(١) في «ن»: «واجتمعت».

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٢٥٣)، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٢)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

[١٨] ثم فسرَ القريبَ بقوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المعاصيَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: وقعَ في النَّزْعِ.

﴿قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ وهي حالةُ السوق؛ يعني: تُساقُ رُوحُه، لا يُقبلُ من كافر إيمانٌ، ولا من عاصٍ توبةٌ.

﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ سَوَّى بينَ مُسَوِّفي التوبةِ إلى حضورِ الموت، وبينَ الكفار؛ تغليظاً.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيَّأْنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] كانوا في الجاهليةِ وفي أولِ الإسلام إذا ماتَ الرجلُ وله امرأةٌ، جاء ابنُه من غيرِها، أو قريبُهُ من عَصَبَةٍ، فألقى ثوبه عليها، وقال: أنا أحقُّ بها، ثم إن شاءَ تزوَّجَها بصداقِها الأولِ، وإن شاءَ زوَّجَها غيرَهُ وأخذَ صداقَها، وإن شاءَ عَضَلَها؛ لتفتديَ بما ورِثَتْ من زوجِها، وكان الزوجُ أيضاً يُضارُّ زوجَتَهُ إذا كَرِهَها لتفتديَ منه، فنزل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ﴾(١) قرأ حمزةُ،

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٧)، =

والكسائيُّ، وخلفٌ: (كُرْهاً) بضمِّ الكاف، والباقون: بالفتح[١]، قال الفَرَّاءُ: الكَرْهُ بالفتح: ما أُكْرِهَ عليه، وبالضمِّ: ما كانَ من قِبَلِ نفسِه من المشَقَّةِ.

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي: لا يحلُّ لكم أن ترثوا النساءَ، ولا أن تمنعوهنَّ عما يحلُّ لهنَّ.

﴿ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ من الصَّداقِ وغيرِه.

﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ أي: لا تعضلوهن لعلَّة من العِلل إلا لعلَّةِ إتيانهنَّ بالفاحشة[٢]، وهي النشوزُ، أو الزنا. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها[٣].

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بالإجمال في القول، والمبيت، والنفقة.

﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ المعنى: فإن كرهتموهنَّ، فاصبروا عليهنَّ، فلعلَّ كراهَتَكُم لهنَّ مع الصبرِ عليهنَّ يُحْدِثُ بينكم ولداً صالحاً، أو ألفةً ومحبةً.

* * *

= و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٤٩).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٩).

(٢) في «ن»: «الفاحشة».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨-٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٠).

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ونزل فيمنْ كان إذا رأى امرأةً فأعجبَتْهُ، قذفَ التي تحتَهُ؛ ليستبدِلَها بها.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ وأرادَ بالزوجِ: الزوجةَ، ولم يكن من قبلِها نشوزٌ ولا فاحشةٌ.

﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾ أعطيتم.

﴿إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ مالاً كثيراً صَداقاً.

﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: القنطار.

﴿شَيْـًٔا﴾ ثم بَشَّعَ الأخذَ فقال:

﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾ استفهامُ نهيٍ وتوبيخٍ.

﴿بُهْتَٰنًا﴾ هو أن يَبْهَتَها بأمرٍ قبيحٍ يقذِفُها به.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ تقديرُه: تُصيبون في أَخْذِه بهتاناً وإثماً.

* * *

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ثم استفهم منكراً فقال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ كناية عن الجِماع، والإفضاءُ: الوصول إلى الشيء من غير واسطة.

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ عهداً وثيقاً، وهو حقُّ الصحبة والممازجة.

***

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ونزل نهياً عن نكاحِ نساءِ الآباء ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكنْ ما قد سَلَفَ؛ أي: مضى في الجاهلية، فإنه معفوٌّ عنه. وتقدَّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في سورة البقرة عند تفسير قوله: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا ﴾ في الموضعين، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن ﴾ [الشعراء: ١٨٧] و﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ ﴾ [سبأ: ٤٠] وشبهه حيثُ وقعَ.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: نكاحَ زوجةِ الأبِ.

﴿ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ أقبحَ المعاصي.

﴿ وَمَقْتًا ﴾ أي: بغضاً؛ لأنه يورِثُ بغضَ الله تعالى، والمقتُ: أشدُّ البغضِ، وكانوا يسمونه: نكاحَ المقتِ، وإذا وُلد لرجلٍ من امرأةِ أبيهِ يقالُ للمولود: المَقْتِيُّ.

﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ قَبُحَ طريقاً، فتحرُمُ زوجةُ الأبِ على ابنِه بمجرَّدِ العَقْد، بالاتفاق.

***

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣) ﴾.

[٢٣] ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ أي: نكاحُهن؛ لقوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ [النساء: ٢٢]، وهي جمعُ أُمٍّ(١)، فيدخل فيهنَّ الجدَّاتُ من قِبَلِ الأمِّ والأبِ وإنْ عَلَوْنَ.

﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ جمعُ بِنْتٍ، فيدخل فيهنَّ بناتُ الأولادِ وإن سَفُلْنَ.

﴿ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾ جمعُ أختٍ، سواءٌ كانت من قِبَلِ الأبِ والأمِّ، أو من قبل أحدِهما.

﴿ وَعَمَّٰتُكُمْ ﴾ جمعُ عَمَّةٍ، فيدخل فيهنَّ أخواتُ الآباء والأجداد وإن علونَ.

﴿ وَخَٰلَٰتُكُمْ ﴾ جمعُ خالَةٍ، فيدخل فيهنَّ جميعُ أخواتِ الأمهاتِ والجدَّاتِ.

﴿ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾ يدخلُ فيهنَّ بناتُ أولادِ الأخِ والأختِ وإن

(١) «جمع أم» ساقطة من «ن».

سفلْنَ، فهؤلاء المذكوراتُ محرَّماتٌ بالنسبِ بالاتفاق، وما بقيَ محرَّماتٌ بالسَّبَبِ، وهي:

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ وتحريمُ الرَّضاعِ كتحريمِ النسبِ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلاَدَةِ»[1]، ولا تثبتُ الحرمةُ بالرضاعِ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ إلا أن يرتضع[2] قبلَ استكمالِ الحولينِ؛ لقوله تعالى: ﴿۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فلو ارتضعَ بعدَهما بلحظةٍ، لم تثبتْ[3]، وعددُ الرضاعِ المحرِّمِ عندَهما خمسُ رضعاتٍ متفرقاتٍ، وعندَ أبي حنيفةَ مدةُ الرضاعِ ثلاثون شهراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وعند مالكٍ تحريمُ الرضاعِ في الحولينِ وما قاربَهما، وعندَهما كثيرُ الرضاعِ وقليلُه محرِّمٌ.

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ فكلُّ مَنْ عقدَ النكاحَ على امرأةٍ حرمَتْ عليه أمهاتُها وجدّاتُها من الرضاعِ والنسبِ بنفسِ العقدِ بالاتفاق.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع رَبيبة، وهي بنتُ المرأة؛ لأن زوجَ الأمِّ يُرَبِّيها غالباً.

﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ جمعُ حِجْرٍ، والمرادُ: البيوتُ؛ لأنها بمثابة الولد في التربية غالباً.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤١)، كتاب: النكاح، باب: ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع، ومسلم (١٤٤٤)، كتاب: الرضاع، باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) في «ن»: «ترضع».

(٣) في «ن»: «يثبت».

﴿ مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ أي: جامعتموهن.

﴿ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ في نكاح بناتِهِنَّ إذا فارقتموهُنَّ، أو مُتْنَ فلا تحرمُ الربيبةُ عليه إلا بالدخولِ بأُمِّها بالاتفاق.

﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ﴾ جمعُ حليلةٍ، والذَّكَرُ حليلٌ؛ لأن كلَّ واحدٍ حلالٌ لصاحبه، يعني: أزواجُ أبنائكم.

﴿ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ أي: ظهوركم، فتحرمُ زوجةُ الابنِ على أبيه بمجرَّدِ العقدِ بالاتفاق، وقولُه: ﴿ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ ليعلم أن حليلةَ المتبنَّى لا تحرُمُ على الذي تبناه بالاتفاق؛ لأن النبي ﷺ تزوَّجَ امرأةَ زيدٍ، وكان قد تبَنَّاه، وكلُّ امرأةٍ تحرمُ بعقدِ النكاح فتحرمُ بالوطءِ في ملكِ اليمين، والوطءِ بشبهةِ النكاح، فيحرُمُ على الواطىء أمُّ الموطوءة وابنتُها، وتحرُمُ الموطوءةُ على أبي الواطىء وابنِهِ بالاتفاق.

واختلفَ الأئمةُ في إثباتِ تحريمِ المصاهرةِ بالزنا المحرَّمِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يثبتُ تحريمُ المصاهرةِ، فلا يحلُّ للرجلِ أن يتزوجَ امرأةً زنى بها ابنُه، أو أبوه، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يثبتُ التحريمُ.

واختلفوا في إثباتِ التحريمِ باللِّواطِ، فقالَ الثلاثةُ: لا يثبتُ التحريمُ، وقال أحمد: يثبته، فمن تلَوَّطَ بغلامٍ، حرمَ على كلِّ واحدٍ منهما أمُّ الآخرِ وابنتُه.

واختلفوا في المخلوقة من ماءِ الزنا، هل يجوزُ لمن خُلقت من مائِه أن يتزوَّجَها؟ فقال الشافعي: يجوزُ، وقال الثلاثة: لا يجوز.

﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ ﴾ أي: وحرم عليكم الجمعُ.

﴿ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ فلا يجوزُ للرجل الجمعُ بينَ الأُختينِ من نسبٍ أو رَضاع، ولا بينَ المرأةِ وعَمَّتِها، ولا بينها وبينَ خالتِها بالاتفاق؛ لقوله ﷺ: «لا تَجْمَعْ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا»(١).

واختلفَ الأئمةُ هل يجوزُ للرجلِ أن يتزوَّجَ امرأةً والرابعةُ من نسائِه في عِدَّتِهِ من طلاقٍ بائنٍ، أو يتزوَّجَ الأختَ وأختُها في عِدَّته من طلاقٍ بائنٍ، أو يتزوَّجَ بكلِّ واحدةٍ ممن يحرُمُ عليه الجمعُ بينها وبينَ الثانيةِ وهي في العِدَّة، فقالَ مالكٌ والشافعيُّ: يجوز، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يجوزُ.

وأما إذا كان الطلاقُ رجعياً، فلا يجوزُ باتفاقهم، وكذلك لو ملكَ أُختين لا يجوز له أن يجمعَ بينَهما في الوطء، فإذا وَطِئَ إحداهُما، لم يحلَّ له وطءُ الأخرى حتى يحرِّمَ الأولى على نفسِه بإخراجٍ عن ملكِه، أو تزويجٍ، بالاتفاق.

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنْ ما مضى في الجاهلية، فإنه معفوٌّ عنه؛ لأنهم كانوا يفعلونه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

***

﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢٠)، كتاب: النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، ومسلم (١٤٠٨)، كتاب: النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ونزلَ في نساءٍ كُنَّ يُهاجرْنَ إلى رسولِ الله ﷺ ولهنَّ أزواجٌ، فيتزوَّجُهُنَّ بعضُ المسلمين، ثم يقدُمُ أزواجُهُنَّ مُهاجرينَ: ﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ عطفٌ على ﴿أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ يعني: الحرائرَ المزوَّجاتِ؛ لأن الزوجَ قد أحصنَهُنَّ، لا يحلُّ للغيرِ نكاحُهن قبلَ مفارقةِ الأزواجِ، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ يعني: السبايا اللواتي سُبين ولهنَّ أزواجٌ في دار الحرب، فيحلُّ لمالِكِهِنَّ وَطْؤُهُنَّ بعد الاستبراء؛ لأن بالسبي يرتفعُ النكاح بينَها وبينَ زوجها، بالاتفاق، وتقدَّم التنبيهُ على اختلافِ القراء في قوله: ﴿ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ عند قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ [النساء: ٢٢].

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ أي: كتبَ اللهُ ما حَرَّمَ عليكم كِتاباً، وفَرَضَهُ فَرْضاً.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (وَأُحِلَّ) بضم الألف وكسر الحاء؛ لقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾، وقرأ الباقون: بالنصب(١)؛ يعني: أَحَلَّ اللهُ لكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٣).

﴿ مَا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات.

﴿ أَن تَبْتَغُوا ﴾ أي: تطلبوا النساءَ.

﴿ بِأَمْوَٰلِكُم ﴾ أي: تنكحوا بصداقِكم، أو تشتروا بثمنٍ.

﴿ مُّحْصِنِينَ ﴾ متزوِّجينَ، وأصلُ الإحصانِ: الحفظُ، والمرادُ هنا: العِفَّةُ عن الوقوعِ في الحرامِ.

﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ أي: زانِينَ، مأخوذٌ من سفحَ الماءَ وصَبَّهُ، وهو المنيُّ.

﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ أي: فالذي انتفعتم به من النساء بالنكاح الصحيح.

﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: مهورهُنَّ على الاستمتاع.

﴿ فَرِيضَةً ﴾ نصبٌ على المصدر في موضع الحال.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ ﴾ بأن تهبَ المرأةُ جميعَ مهرِها أو بعضَه لزوجِها، أو يزيدُها الزوجُ على أكثرَ منه.

﴿ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ المفروضةِ للزوجةِ.

واختلف الأئمة في الزيادة على الصَّداق المسمَّى بعدَ العقد، فقال أحمد: حكمُها حكمُ الأصل، تلحق به فيما يقرره وينصفه، وتُملك من حينها، واستدلَّ بهذه الآية، وقال أبو حنيفة: هي ثابتة إن دخل بها، أو مات عنها، فإن طلَّقها قبلَ الدخول، أو ماتتْ هي قبلَ الدخول والقبضِ، سقطت، وخالفه أبو يوسفَ، فقال كقول أحمد، وقال مالك: تستقرُّ بالدخول، وتتشطَّر بالطلاق قبلَه، فإن مات أحدُهما قبل القبض، سقطت؛

لأنها هبةٌ لم تُقبض حتى مات الواهبُ أو الموهوبُ له، وقال الشافعي: هي هبة مستأنفة، إن قبضتْها، لم تسقطْ بالطلاق قبلَ الدخول، ولا بعدَه، ولا بالموت، وإن لم تُقبض، فلا شيءَ لها مطلقاً.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فيما شرعَ من الأحكام. وأما تقديرُ الصَّداق فلا حدَّ لأكثره؛ لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٢٠]، وكان صداق أزواج النبيِّ ﷺ خمسَ مئة درهمٍ، وبناتِه أربعَ مئةٍ، فيسنُّ أن يكونَ من أربعِ مئةٍ إلى خمسِ مئةٍ، وإن زادَه، فلا بأسَ، وإن النجاشي أصدقَ أُمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيانَ عن النبيِّ ﷺ أربعَ مئةِ دينارٍ.

واختلفَ الأئمةُ في أقلِّه، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا حدَّ لأقلِّه، فكلُّ ما جاز أن يكونَ ثمناً، جاز أن يكون صَداقاً، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يتقدَّرُ بنصاب السرقة، واختلفا في قدره، فعندَ أبي حنيفةَ: عشرةُ دراهمَ، أو ما قيمتُه عشرةُ دراهمَ، وعند مالكٍ: ربعُ دينار من الذهب، أو ثلاثةُ دراهمَ من الوَرِق، أو عرضٌ يساوي أحدَهما.

واختلفوا في تعليم القرآن هل يجوز أن يكون صَداقاً؟ فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يجوزُ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: يجوزُ

واختلفوا في منافعِ الحر، فقال أبو حنيفة: لا يجوز أن تكونَ صداقاً، وقال الثلاثة: يجوزُ، إلا أن مالكاً يكرهُه.

***

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ

مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾.

[٢٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ فضلاً وسَعَةً.

﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائرَ.

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قرأ الكسائيُّ (المُحْصِنَاتِ) و(مُحْصِنَاتٍ) بكسر الصاد حيثُ وقع، سوى (وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) في هذه السورة، وقرأ الباقون: بفتح جميعها، فالقراءة بكسر الصاد؛ أي: أَحْصَنَّ أنفسَهُنَّ بالحريَّة، وبالفتح؛ أي: أحصنَهُنَّ غيرهن من زوجٍ أو وليٍّ(١).

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ إمائكم.

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المعنى: من لم يجدْ طولَ حرةٍ، فليتزوج أمةً مؤمنةً، وفيه دليل على أنه لا يجوز للحرِّ نكاحُ الأمةِ إلا بشرطين:

أحدُهما: ألاَّ يجد طَوْلاً لنكاح حرة.

والثاني: أن يخاف على نفسِهِ العَنَتَ، وهو الزنا؛ لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ﴾ وهو مذهبُ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ.

وجَوَّزَ أبو حنيفةَ للحرِّ نكاحَ الأمة، إلا أن يكونَ في نكاحه أو عِدَّتِهِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٢-١٢٤).

حُرَّةٌ، أما العبدُ فيجوزُ له نكاحُ الأمة، وإن كانَ في نكاحِه حُرَّةٌ أو أمةٌ عندَ الثلاثة، وعندَ أبي حنيفة لا يجوزُ إذا كان تحته حرَّةٌ، وفي الآية دليلٌ على أنه لا يجوز للمسلم نكاحُ الأمَةِ الكتابية؛ لأنه قال:

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وإليه ذهبَ الأئمةُ الثلاثة، وجَوَّزَ أبو حنيفةَ للمسلمِ نكاحَ الأمةِ الكتابيةِ، واتفقوا على إباحةِ وطئها بملكِ اليمين، وتقدَّمَ الحكمُ في نكاح الوثنيات والمجوسيات[1] وغيرِهنَّ من أنواعِ المشركات في سورة البقرة.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهرِ الإيمان؛ فإنه العالمُ بالسرائرِ، والمرادُ: تأنيسُهُمْ بنكاح الإماء، ومنعُهم عن الاستنكاف منه، ثم نفى التفاخر فقال:

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ كلكم ولدُ آدمَ، ودينُكم الإسلام؛ أي: هنَّ مثلُكم.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: مَواليهِنَّ.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهُنَّ.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ من غيرِ مطْلٍ.

﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائفَ بالنكاحِ.

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أي: زانياتٍ جهراً.

﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أي: أحبابٍ يزنون بهنَّ في السرِّ.

﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ أي: زُوِّجْنَ. وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ،

---

(١) في «ن»: «المجوسيات والوثنيات».

وخلفٌ: (أَحْصَنَّ) بفتح الألف والصاد؛ أي: حَفِظْنَ فروجَهُنَّ[1].

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ أي: زَنَيْنَ.

﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائرِ الأبكارِ إذا زنين.

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الحدِّ، فيُجلد الرقيقُ خمسينَ جلدة ولو لم يكنْ تزوَّجَ، ذكراً كان أو أنثى، ولا يُرجَمُ بالاتفاق، وهل يُغرَّبُ؟ قال الشافعي: يغرَّبُ نصفَ سنةٍ، وقال الثلاثة: لا يغرَّبُ. فإن كان بعضُه حراً، فقال أحمد: يجلَدُ ويغرَّبُ بحسابه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الأمة.

﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ﴾ أي: الزنا.

﴿مِنكُمْ﴾ بغلبةِ الشهوةِ، وأصلُ العَنَتِ: الضيقُ والمشقَّةُ.

﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن النساء متعفِّفينَ.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نكاحِ الإماء؛ لئلا يخلقَ الولدُ رقيقاً.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن رَخَّصَ له.

***

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)﴾.

[٢٦] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بما شرعَ من التحليل والتحريم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٥).

﴿ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ أي: يوضِّحَ لكم شرائعَ الإسلام.

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ يُرشدَكم.

﴿ سُنَنَ ﴾ شرائعَ.

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ من الأنبياء في تحريم الأمهاتِ والبناتِ والأخواتِ، فإنها كانت محرمةً على مَنْ قبلكم.

﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ يُوفِّقَكم للتوبة، ويتجاوزَ عنكم إن تبتم.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بمصالح عباده.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما دبَّرَ من أمورهم.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ إن وقع منكم تقصيرٌ.

﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ هم الزُّناةُ والكفارُ.

﴿ أَن تَمِيلُوا۟ ﴾ عن الحقِّ.

﴿ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ بإتيانِكم ما حُرِّمَ عليكم.

* * *

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ ﴾ بنكاحِ الإماءِ واتِّباعِ الشريعةِ السمحةِ السهلةِ.

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ لا يصبرُ عن الشهوات، ولا يتحمَّلُ مَشاقَّ الطاعات.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾؛ أي: الحرامِ؛ كالقمارِ والسرقةِ ونحوِهما.

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، ولكنْ تكونُ تجارةً عن تراضٍ منكم غير منهي عنه. قرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ: (تِجَارَةً) بالنصب على خبر كان؛ أي: إلا أن تكونَ الأموالُ تجارةً، وقرأ الباقون: بالرفع؛ أي: إلا أن تقعَ تجارةٌ عن تراضٍ منكم؛ أي: بطيبةِ[١] نفسِ كلِّ واحدٍ منكم[٢]، ورُوي عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياء على (تَرَاضِي)، والتراضي عندَ الشافعيِّ وأحمدَ: الافتراقُ عن مجلسِ البيعِ بتمامِه، فلكلِّ واحدٍ منهما الخيارُ ما داما في المجلس، وعند أبي حنيفةَ ومالكٍ: هو رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه، فإذا وجبَ البيعُ

---

(١) في «ن»: «بطيب».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٦).

بينهما، فليس لأحدِهما الخيار، وإن كانا في المجلس، وخَصَّ التجارةَ بالذِّكْر؛ لأنها أغلبُ أسبابِ المكاسبِ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ﴾ أي: لا[1] تهلكوا.

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بأكل الأموالِ بالباطل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ﴾ يا أمةَ محمدٍ.

﴿رَحِيمًا﴾ لِما أمرَ بني إسرائيل بقتلِ الأنفس، ونهاكم عنه.

***

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما حُرِّمَ قبلُ.

﴿عُدْوَٰنًا﴾ تجاوزاً للحد.

﴿وَظُلْمًا﴾ وهو وضعُ الشيءِ في غيرِ محلِّه.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ أي: نُدخله.

﴿نَارًا﴾ ليحترقَ.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا عسرَ فيه.

***

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) «لا» زيادة من «ت».

[٣١] ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الكبيرةُ: كلُّ ذنبٍ رتَّبَ الشارعُ عليه حَدّاً، أو صَرَّحَ بالوعيد فيه، وعن النبيِّ ﷺ أنها سبعٌ: «الإِشْرَاكُ باللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، والرِّبَا، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»[١]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ: «الكبائرُ إلى سبعِ مئةٍ أقربُ منها إلى سبعٍ»[٢].

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ نغفرْ لكم صغائركم.

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ هو الجنةُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (مَدْخَلاً) بفتح الميم، وهو موضعُ الدخول، وقرأ الباقون: بالضم، بمعنى: الإدخال[٣].

* * *

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ونزل نهياً عن التحاسُد: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٥)، كتاب: المحاربين من أهل الكفر، باب: رمي المحصنات، ومسلم (٨٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٨)، وذُكر في «المعجم» أنَّ قراءة «قدْ خلا» قرأ بها ـ أيضاً ـ أبو بكر وعاصم.

﴿بَعۡضٖۚ﴾ من الأمور الدنيوية؛ كالجاه والمال، فلعلَّ عدمَه خيرٌ؛ أي: لا يحسدْ أحدٌ أحداً على ما آتاه الله تعالى؛ فإنه:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ فلا يعاقَبُ أحدٌ إلا بعمله، ولا يُجازى أحد[1] إلا به، فنهى الله عن التمني؛ لما فيه من دواعي الحسد.

﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: رزقه. **قرأ** ابن كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَسَلُوا الله) و(سَلْهُمْ) (فَسَلِ الَّذِينَ) وشبهَه إذا كان أمراً مواجَهاً به، وقبلَ السينِ واو أو فاء: بغير همزٍ، ونقل حركة الهمز إلى السين، والباقون: بسكون السين مهموزاً[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ فهو يعلمُ ما يستحقُّه كلُّ إنسانٍ فيفضِّلُ عن علمٍ وتبيان. يسكتُ حمزةُ في (شَيْءٌ) و(شَيْءٍ) و(شَيْئاً) حيثُ وقعَ.

* * *

﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَلِكُلّٖ﴾ أي: لكلِّ مالٍ.

---

(١) «أحد» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٨).

﴿ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ أي: وُرّاثاً، جمعُ مولى، وهو من يواليك.

﴿ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ أي: ولكلِّ تركةٍ جعلنا ورّاثاً يلونها ويحرزونها.

﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ أي: عاهدت أيديكم. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (عَقَدَتْ) بغير ألف[1]؛ أي: عقدَتْ لهم أيمانكم، والمعاقدةُ: المحالفة، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يتحالفون، فيكون للحليف السدسُ من مال الحليف، وكان ذلك ثابتاً في ابتداء الإسلام، فذلك قوله تعالى:

﴿ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ أي: حظَّهم من الميراث، ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ أي: عالماً، وهو تهديدٌ على من منعَ نصيبهم.

* * *

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٩).

[٣٤] ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ مسلَّطون على تأديبهنَّ.

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ بتفضيلِ اللهِ.

﴿بَعْضَهُمْ﴾ أي: الرجالَ.

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ على النساء؛ بكمالِ العقل، وحسنِ التدبير، ومزيدِ القوة في الأعمال والطاعات.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ في نكاحهنَّ؛ كالمهر والنفقة.

روي أن سعدَ بنَ الربيعِ أحدَ نُقباءِ الأنصار نَشَزَتْ عليه امرأتُه حبيبةُ بنتُ زيدِ بنِ أبي زهير، فلطمَها، فانطلقَ بها أبوها إلى رسول الله ﷺ، فشكا، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لِيُقْتَصَّ مِنْهُ»، فنزلت، فقال: «أَرَدْنَا أَمْراً، وَأَرَادَ اللهُ أَمْراً، وَالَّذِي أَرَادَ اللهُ خَيْرٌ»(١).

وعنه ﷺ أنه قال: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(٢).

---

(١) قال الحافظ الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣١٢): غريب بهذا اللفظ، وأقرب ما وجدته ما رواه ابن مردويه في «تفسيره» عن علي قال: أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له فقال: يا رسول الله! إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري، وإنه ضربها فأثر في وجهها، فقال عليه السلام: «ليس له ذلك» فنزلت ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فقال عليه السلام: «أردت أمراً، وأراد الله غيره». وذكره الثعلبي في «تفسيره»، والواحدي في «أسباب النزول» من قول مقاتل.

(٢) رواه الترمذي (١١٥٩)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وقال: حسن غريب. ورواه ابن ماجه (١٨٥٢)، كتاب: النكاح، باب: حق الزوج على المرأة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ مطيعاتٌ لأزواجهنَّ.

﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ أي: لفروجهنَّ وأموالِ أزواجهنَّ في غَيْبَتِهم.

﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي: بحفظِه. قرأ أبو جعفرٍ (بِمَا حَفِظَ اللهَ) بالنصب؛ أي: بحفظهنَّ اللهَ في الطاعة، وقراءةُ العامة بالرفعِ[1].

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ عِصيانهنَّ، وأصلُ النشوزِ: التكبُّرُ والارتفاعُ.

﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ بالتخويفِ من الله.

﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ اجتنبوهنَّ.

﴿ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ المراقدِ، والمرادُ: المجامعة.

﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾ إن لم يرجعْنَ ضرباً غيرَ مُبَرِّحٍ، أي: شديد.

﴿ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ ﴾ لا تطلبوا عليهنَّ طريقاً بالتوبيخِ والإيذاءِ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ فاحذَروه؛ فإنه أقدرُ عليكم منكم على مَنْ تحتَ أيديكم.

***

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا ﴾ خلافاً بينَ المرأةِ وزوجِها.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٠).

﴿ فَٱبۡعَثُواْ﴾ أيها الحكامُ متى اشتبهَ عليكم حالُهما ليتبيَّن الأمرُ.

﴿ حَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [الحَكَمُ: القَيِّمُ بما يُسْنَدُ إليه، وخُصَّ الحكمُ بالأهل؛ لأن الأقارب أَعْرَفُ بأغراضِ][1] أقاربهم، وأنصحُ لهم، وهذا على وجهِ الاستحباب، فلو نُصبا من الأجانب، جاز.

﴿ إِن يُرِيدَآ﴾ يعني: الحكمينِ.

﴿ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ بينَ الزوجينِ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ بالظواهرِ والبواطنِ.

وهل يجوزُ بعثُ الحكمينِ بغير رِضا الزوجين؟ قال أبو حنيفةَ والشافعيُّ وأحمدُ: لا يجوز إلا برضاهما، فليس لحكمِ الزوجِ أن يطلِّقَ إلا بإذنه، ولا لحكمِ الزوجة أن يختلعَ على مالِها إلاَّ بإذنِها، وقال مالك: يجوزُ بغيرِ رِضاهما؛ كالحاكمِ يحكمُ بين الخصمينِ، وإن لم يكنْ على وفْقِ مُرادِهما، فيطلِّقُ حكمُ الزوجِ بغير إذنِه، ويختلعُ حكمُ الزوجةِ بغير إذنها.

* * *

﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا (٣٦)﴾.

[٣٦] ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدوهُ، والعبادةُ هي الطاعةُ عندَ الشافعيةِ والمالكيةِ والحنابلةِ، وعند الحنفية بشرطِ الأمر.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

﴿ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ صَنَماً أو غيرَه.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ بِرّاً بهما، وعَطْفاً عليهما.

﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: أَحْسِنوا بذي القربى.

﴿ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: ذي القرابةِ.

﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ القريبِ المنزلِ منك. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (القُرْبَى واليَتَامَى) بالإمالة، وقرأ ورشٌ، والدوريُّ عن الكسائيِّ: (وَالْجَارِ) بالإمالة، بخلافٍ عن ورشٍ[1].

﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ هي الزوجةُ، أو الرفيقُ في السفر. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (وَالصَّاحِب بِّالْجَنْبِ) بإدغام الباء الأولى في الثانية[2].

﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ هو الضيفُ في قولِ الأكثر، وقيل: المسافر.

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ ﴾ من الرقيقِ، أحسنوا إلى جميع المذكورين تُثابوا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ تيّاهاً متكبراً.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣١).

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [٣٧].

[٣٧] ونزلَ في اليهودِ، وهم: حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ وأصحابُه حيثُ كانوا يبخلونَ، ويأمرون الصحابةَ بالبخل.

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ بما مُنِحُوا به.

﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ به، قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (بِالْبَخَلِ) بفتح الباء والخاء[1]، والبخلُ في كلام العربِ: منعُ السائل من فضلِ ما لديه، وفي الشرعِ: منعُ الواجب.

﴿ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ من صفةِ النبيِّ ﷺ، أو العلم.

﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ شديداً يُهانون به.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴾ [٣٨].

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: مُرائينَ، عطفٌ على ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (رِيَا النَّاسِ) بفتح الياء بغيرِ همزٍ[2].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٢٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٣).

﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ نزلَتْ في المشركينَ المتفقينَ على عداوةِ النبيِّ ﷺ.

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا ﴾ صاحِباً وخَليلاً.

﴿ فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ المعنى: فبئسَ الشيطانُ صاحباً؛ لأنه هو حملَهم على البُخل والرياء وكلِّ شرّ.

***

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: وما الذي عليهم.

﴿ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ تلخيصُه: لو آمنوا واتقوا، لم يضرَّهم ذلك.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ وعيدٌ لهم.

***

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ ﴾ أي: وزنَ ذَرَّةٍ، والذَّرَّةُ: هي النملةُ الحمراءُ الصغيرةُ.

﴿ وَإِن تَكُ ﴾ مثقال ذرةٍ.

﴿ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ اللهُ، يجعلها أضعافاً كثيرة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ،

وابنُ كثيرٍ: (حَسَنَةٌ) بالرفع، والباقون: بالنصب[1]، وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (يُضَعِّفْهَا) بالتشديد مع حذفِ الألف في جميع القرآن[2]، وقرأ الباقون: بالإثبات والتخفيف، وحذفت النون من (تَكُ) تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال.

﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ ﴾ أي: من عندِه على سبيل التفضُّل.

﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لا يقدِّرُ قدرَهُ غيرُ الله تعالى؛ لكثرتِهِ.

***

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) ﴾.

[٤١] ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يصنعُ الكفارُ.

﴿ إِذَا جِئْنَا ﴾ المعنى: كيف يصنعونَ وقتَ مجيئنا.

﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ عليها، وهو نبيُّها.

﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ المذكورينَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٢٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٤).

﴿شَهِيدًا﴾ شاهداً على جميع الأمم.

ولما بلغَ ابنُ مسعودٍ في قراءتِهِ على النبيِّ ﷺ من أولِ السورةِ إلى هنا، بكى، وقال: «حَسْبُكَ»(١).

***

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ القيامةِ.

﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ المعنى: يودُّون أن دُفنوا فتُسَوَّى بهم الأرضُ كالموتى، وأصلُ التسويةِ: المعادلةُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ (تَسَّوَى) بفتح التاء وتشديد السين على معنى: تتَسَّوى، فأُدغمت التاءُ الثانية في السين، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتح التاء وتخفيف السين على حذف إحدى التاءين؛ كقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥] وقرؤوا بإمالة الواو، وقرأ الباقون: بضم التاء وتخفيف السين على المجهول(٢).

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٣)، كتاب: فضائل القرآن، باب: قول المقرىء للقارى: حسبك، ومسلم (٨٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٢٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٠ـ٣٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٤ـ١٣٥).

﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ أي: يودون أن يُدفنوا، وأنَّهم لم يكونوا كَتَموا أمرَ محمدٍ ﷺ ولا نَعْتَهُ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: لا تصلوا ﴿ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (سُكَارَى) بالإمالة، بخلافٍ عنه(١)، واتفقَ الأئمةُ على أن السكرانَ الذي يُمَيِّزُ مُكَلَّفٌ، وكذا من لا يميز عندَ الثلاثة، خلافاً لمالكٍ، والمراد: السكرُ من الخمرِ عندَ الأكثر.

سببُ نزولها: أن عبدَ الرحمنِ بن عوفٍ صنعَ طعاماً، وجمعَ عليه جماعةً من الصحابة، فأكلوا وشربوا الخمرَ قبلَ تحريمها، فأخذَتْ منهم، فقدَّموا واحداً منهم، فصلَّى بهم المغربَ، فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبدُ ما تعبدون، بحذفِ (لا) إلى آخرها، فصاروا يجتنبون السكرَ وقتَ الصلاة حتى نزلَ تحريمُ الخمر(٢).

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٥).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧١)، كتاب: الأشربة، باب: في تحريم الخمر، والترمذي (٣٠٢٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النساء، وقال: حسن صحيح غريب، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾ نصبٌ على الحال، يستوي فيه الواحدُ والجمعُ، والذكرُ والأنثى، وأصلُ الجنابةِ: البعد، وسُمِّي جُنباً؛ لأنه يجتنبُ موضعَ الصلاة.

﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ مجتازي سبيلٍ.

﴿ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ أي: لا تقربوا الصلاةَ في حالِ سكرٍ ولا جنابةٍ إلا في حالِ السفرِ عُبوراً في المسجدِ، وذلك إذا لم يجد الماء، وتيمم، وقيل معناهُ: لا تقربوا المسجدَ وأنتمْ جنبٌ إلا مجتازينَ فيه للخروجِ منه.

واختلفَ الأئمةُ فيه، فأباح الشافعيُّ وأحمدُ المرورَ فيه، ومنع منه أبو حنيفةَ ومالكٌ، وقال أبو حنيفةَ: إنِ احتاجَ إلى ذلك تَيَمَّمَ، ودخلَ، وأما اللبثُ فيه، فلا يجوزُ عند الثلاثة، وعندَ أحمد إذا توضأ جازَ له اللبثُ، فلو تعذَّرَ، واحتاجَ إليه، جازَ من غير تيممٍ، ويتيممُ لأجل لبثهِ للغسل.

وحكمُ الخلافِ في الحائضِ والنفساءِ كالجنبِ في ذلك، إلا أن الشافعيَّ لا يُبيح للحائض دخولَ المسجد إلا إذا أَمِنَتْ تلويثَهُ، وأحمدُ لا يبيح للحائض والنفساء اللبثَ فيه إذا توضَّأَتا إلا بعد انقطاعِ دَمِهما.

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ ﴾ مرضاً يضرُّهُ مَسُّ الماء، أو يُخشى منه زيادةُ الألم، أو تطاولُه.

واختلف الأئمة فيمن بعضُ بدنه صحيحٌ، والبعضُ جريحٌ، فقال أبو حنيفةَ: الاعتبارُ بالأكثر، فإن كان هو الصحيحَ، غسله فقط، وسقطَ حكم الجريح إلا أنه يُستحبُّ مسحُه، وإن كان الأكثرُ جريحاً، اقتصرَ على التيمم، وسقطَ الغسلُ، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يغسلُ الصحيحَ، ويتيمم للجريح، وقال مالكٌ: يغسل الصحيحَ، ويمسح الجريحَ، ولا يتيمم.

﴿ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ طويلاً كان السفرُ أو قصيراً، فيتيمم عندَ فقدِ الماء،

ولا إعادةَ عليه، بالاتفاق، وأما إذا لم يكن مريضاً، ولا في سفر، لكنه عدمَ الماءَ في موضعٍ لا يعدمُ فيه غالباً؛ كقريةٍ انقطعَ ماؤها، فإنه يصلِّي بالتيمم، ثم يعيدُ عند الشافعيِّ، وعند مالكٍ وأحمدَ لا إعادةَ عليه، وعندَ أبي حنيفةَ يؤخِّرُ الصلاة حتى يجدَ الماءَ.

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي: الحَدَثِ، والغائطُ: المكان[1] المُطْمَئِنُّ من الأرضِ، وكانت عادةُ العربِ إتيانَ الغائطِ للحدث، فكنى به عن الحدث. وتقدَّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾.

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لَمَسْتُمْ) بغيرِ ألفٍ بعدَ اللام، وقرأ الباقون: بالألف[2]، واللمسُ والملامسةُ واحدٌ، وهو عبارةٌ عن الجماعِ عندَ بعضِهم، وقال بعضُهم: هو التقاءُ البشرتين بِجماعٍ أو غيرِه.

واختلفَ الأئمةُ في نقضِ الوضوءِ بملاقاةِ بَشَرَتي الرجلِ والمرأةِ من غيرِ حائلٍ، فقال أبو حنيفةَ: لا ينتقضُ، وقال الشافعيُّ: ينتقضُ بلمسِ غيرِ المحارمِ، وقال مالكٌ وأحمدُ: إن كان اللمسُ بشهوةٍ، نقضَ، وإلاَّ فلا.

وهل ينتقضُ وضوءُ الملموس؟ قال مالكٌ والشافعيُّ: حكمُه حكمُ

---

(١) «المكان» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٧).

اللامسِ، وقال أحمدُ: لا ينتقض، ولو وجد منه شهوة، وأما الصغيرةُ، فلا ينقضُ[1] لمسُها بالاتفاق.

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ فلم تتمكَّنوا من استعمالِه إِذِ الممنوعُ عنه كالمفقودِ.

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ اقصدوا.

﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهِراً، والتيمُّمُ من خصائصِ هذه الأمة، وهو مبيحٌ للمحدِثِ والجنبِ بالاتفاق.

واختلف الأئمةُ فيما يجوزُ به التيممُ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يجوز بسائر أنواعِ الأرضِ؛ من ترابِها وحجرِها ورملِها ومَدَرِها وحَصَائِها، وما ينطبعُ؛ كالنُّورَةِ والجِصِّ والزِّرْنيخِ وغيرِها من طبقاتِ الأرضِ، وقالا: الصعيدُ: وجهُ الأرض، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا يجوزُ التيمم إلا بترابٍ طهورٍ له غبارٌ يعلَقُ باليد، فإن خالطه ذو غبار؛ كالجصِّ ونحوه لم يجزِ التيممُ به.

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ أي: فامسحوا وجوهَكم وأيديَكم منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ واختلفوا في صفةِ التيمُّمِ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعيُّ: يضربُ بيديه على الصعيدِ ضربتين: إحداهما للوجهِ، والأخرى لليدين إلى المرفقين، والاستيعابُ شرطٌ، حتى يخلل أصابعَهُ، وقال أحمدُ: السنةُ في التيمُّمِ أن ينويَ، ثم يسمِّيَ، ويضربَ بيديه مُفَرَّجَتي الأصابعِ ضربةً واحدةً على التراب، فيمسحَ وجهَهُ بباطنِ أصابعه، وكَفَّيه براحتيهِ، وخالفه القاضي من أصحابه، فوافقَ الجماعةَ.

---

(١) في «ن» و«ت»: «ينتقض».

ولا يصحُّ التيممُ لصلاةٍ إلا بعدَ دخولِ وقتها، ولا يجمعُ بينَ فريضتين بتيمُّمٍ واحدٍ عند الثلاثةِ، وقال أبو حنيفة: التيممُ كالطهارةِ بالماء يجوزُ تقديمُه على وقتِ الصلاةِ، وأَن يصلِّي به ما شاءَ من الفرائض[1].

واتفقوا على أنه يجوزُ أن يصلِّي بتيمُّمٍ واحدٍ مع الفريضة ما شاء من النوافل، وأن يقرأَ القرآن إن كانَ جنباً.

واختلفوا في طلبِ الماء هل هو شرط؟ فقال الثلاثة: هو شرطٌ، وقال أبو حنيفة: ليسَ بشرطٍ، فيجوزُ التيممُ قبلَ الطلب؛ لأنه عادمٌ حقيقةً، إلا إذا غلب على ظنه أن بقربه ماءً، فلا يجوز ما لم يطلبْهُ.

واختلفوا فيمن عدمَ الماءَ والترابَ، فقال أحمد: يصلِّي، ولا إعادةَ عليه، وعن مالكٍ أربعُ روايات: إحداهنَّ كمذهب أحمدَ، والثانيةُ: لا يصلِّي حتى يجدَ الماءَ أو الصعيدَ، وهو مذهبُ أبي حنيفة، والثالثة: يصلِّي ويعيد، وهو مذهبُ الشافعي، والرابعة: لا يصلي، ولا إعادةَ عليه، وجزم به الشيخُ خليلٌ في «مختصره»، فقال: وتسقطُ صلاةٌ وقضاؤها بعدمِ ماءٍ وصعيدٍ[2]، ونقل القرطبيُّ في «تفسيره» أن هذا الصحيحُ من مذهب مالك، ثم نَقَل عن أبي عمرَ بنِ عبدِ البرِّ إنكارَه[3].

واتفقوا على أن النيةَ في التيمم واجبةٌ.

واختلفوا في التسمية فيه، فقال أحمدُ: هي واجبةٌ، وتسقط سهواً، وقال الثلاثةُ: هي غيرُ واجبةٍ.

---

(١) في «ت» «النوافل».

(٢) انظر: «مختصر الشيخ خليل» (ص: ٢٠).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٣٧).

واختلفوا في الترتيب والموالاة، فقال أحمد: هما واجبان[1]، وقال مالك: الموالاةُ واجبةٌ، والترتيب سنة، وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: لا يجبانِ، فلو ضربَ بيديه ومسحَ بيمينِه وَجْهَهُ، وبيسارِهِ يمينَهُ، جاز.

***

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم يَنْتَهِ علمك.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم اليهودُ، أُعطوا حظاً من التوراة.

﴿يَشْتَرُونَ﴾ يستبدِلون.

﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ يعني: بالهدى.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ تُخْطِئُوا طريقَ السعادة أيُّها المؤمنون.

***

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم.

﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ فاحذَروهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمرَكُمْ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ يُعينكم.

***

---

(١) في «ن»: «واجبتان».

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قومٌ.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ أي: يُميلونه.

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعَهُ الله فيها، وهو تغييرُهم صفةَ محمدٍ ﷺ في التوراة.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولَكَ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمْرَكَ.

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: اسمعْ مِنَّا ولا نسمعُ منكَ، أي: غير[1] مُجابٍ إلى ما تدعو إليه.

﴿وَرَٰعِنَا﴾ يريدون نسبتَهُ ﷺ إلى الرُّعونةِ.

﴿لَيًّۢا﴾ تحريفاً ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ استهزاءً به.

﴿وَطَعْنًا﴾ قَدْحاً.

﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ لأن قول راعِنا من المراعاة، وهم يحرِّفونه فيريدونَ الرُّعونةَ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بدلَ ذلكَ[2].

---

(١) «غير» ساقطة من «ن».

(٢) في «ت»: «بذلك».

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا ﴾ أي: انظر إلينا رحمةً لنا.

﴿ لَكَانَ ﴾ ذلكَ القولُ.

﴿ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ أي: أعدلَ.

﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: خذَلهم وأبْعَدهم.

﴿ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم؛ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ولما كَلَّمَ النبيُّ ﷺ أحبارَ اليهود عبدَ اللهِ بنَ صوريا، وكعبَ بنَ أَسَدٍ، فقال: «يا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! اتقُوا اللهَ، وَأَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إِنَّ الَّذي جِئْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ» قالوا: ما نعرفُ ذلك، وأَصَرُّوا على الكفرِ، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾(١) أي: القرآنِ.

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ أي: التوراةِ.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ فنجعَلَها كَخُفِّ البعيرِ بلا أَنْفٍ ولا عينٍ ولا حاجبٍ كالأقفاء، وهذا معنى:

﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ وأصلُ الطَّمْسِ: إزالةُ الأثرِ بالمحوِ. فإنْ قيلَ: قد أوعدَهُمُ اللهُ بالطَّمسِ إنْ لم يؤمنوا، ثم لم يؤمنوا، ولم يفعلْ بهم ذلك،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

قيل: هذا الوعيدُ باقٍ، ويكونُ طمسُ مسخٍ في اليهود قبلَ قيامِ الساعة، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ فنجعلَهم قردةً وخنازيرَ، وتقدَّمَ خبرُ أصحاب السبت في سورة البقرة عندَ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الآية: ٦٥].

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: قضاؤه.

﴿مَفْعُولًا﴾ نافذاً.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ولما أحبَّ وَحْشِيٌّ التوبةَ بعدَ قتله حمزة رضي الله عنه يومَ أحدُ، نزلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ مع التوبةِ، فبعثَ بها رسولُ الله ﷺ إلى وحشيٍّ بمكَّةَ، فقالَ وحشيٌّ: لعلِّي مِمَّنْ لَمْ يَشَأِ اللهُ، فنزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣]، فبعثَ بها إليه، فدخلَ في الإسلام، ورجعَ إلى النبيِّ ﷺ، فقبلَ منه، ثم قال له: «أَخْبِرْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ» فلما أخبره، قال: «وَيْحَكَ غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي»(١) فلحقَ بالشام، فكانَ بها إلى أن ماتَ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٠٠). وانظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٥٦٤_١٥٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤٤).

ثم تهدَّد المشركينَ فقالَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ قال ﷺ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شيئاً دَخلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيئاً، دَخلَ النَّارَ»(١).

***

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ونزلَ فيمن زَكَّى نَفْسَه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ فأنكرَ ذلكَ عليهم بصيغةِ الإضرابِ فقالَ:

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى﴾ أي: يطهِّرُ.

﴿مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو ما في شِقِّ النَّواةِ طُولاً.

***

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمدُ.

﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ﴾ يختلقون.

﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بتغييرهم كتابَهُ.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ أي: بالكذب.

﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ لا يخفى كونُه مأثماً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ،

---

(١) رواه مسلم (٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

والكسائيُّ، وهشامٌ، وخلفٌ: (فَتِيلاً انْظُرْ) و(مُبِينٍ اقْتُلُوا) وشبهَهُ بضمِّ التنوين في الوصل حيثُ وقع.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ولما خرج حُيَيُّ بنُ أخطبَ مع أصحابه إلى قريش ليحالفَهم على النبيِّ ﷺ، فقالوا: لا نفعلُ حتى تسجُدوا لِصَنَمينا، فسجدوا، فنزل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[١] هما الصنمانِ المذكوران.

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ وهم قريشٌ.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعنون: أبا سفيانَ وأصحابَه.

﴿ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يعنون: محمداً ﷺ وأصحابَه.

﴿ سَبِيلًا ﴾ ديناً. وتقدَّمَ اختلافُ القُرَّاء في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وكذلك اختلافَهم في قوله: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ ﴾.

* * *

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤٦).

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ يمنعُ العذابَ عنه .

***

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ أَمْ لَهُمْ ﴾ يعني : أَلَهُمْ ﴿ نَصِيبٌ ﴾ أي : حَظٌّ .

﴿ مِّنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ وهذا على وجهِ الإنكار، يعني : ليسَ لهم من الملكِ شيءٌ، ولو كانَ لهم حظٌّ مما يُمْلَكُ ﴿ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي : أحداً منهم .

﴿ نَقِيرًا ﴾ لحسدِهِمْ وبخلِهم، والنقيرُ : هو النقطةُ التي تكونُ على ظهرِ النواةِ، ومنها تنبتُ النخلة، ويأتي تفسيرُ القِطْمير في سورةِ فاطر إن شاء الله تعالى ـ .

***

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ﴾ أي : اليهودُ .

﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ العربَ، والنبيَّ ﷺ .

﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ من النبوةِ والإسلامِ والتقدُّمِ عليهم، فقال : ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ داودَ وسليمانَ ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ المنزلَ عليهما .

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ النبوة .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ فلا يبعدُ أن يؤتي اللهُ محمداً مثلَ ما آتاهم .

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ فَمِنْهُم ﴾ أي: اليهودِ.

﴿ مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ بمحمدٍ ﷺ، وهم عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ وأصحابُه.

﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ ﴾ أي: أعرض.

﴿ عَنْهُۚ ﴾ ولم يؤمنْ به.

﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ أي: ناراً مُسعَّرةً يُعذَّبون بها.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ﴾ نُدْخِلُهم.

﴿ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ ﴾ احترقَتْ.

﴿ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ بأنْ يعُاد ذلكَ الجلدُ بعينِهِ على صورةٍ أخرى. قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وقالونُ، وورشٌ من طريقِ الأصبهانيِّ، وابنُ عامرٍ: (نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) بإظهارِ التاءِ عندَ الجيم، والباقون: بالإدغام(١).

﴿ لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ ﴾ أي: ليدومَ بهم ذوقُه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا ﴾ شديدَ النِّقْمَةِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٢)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٠).

﴿حَكِيمًا﴾ يعاقِبُ على وَفْقِ حكمته.

عنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنه قالَ: قُرِىء عندَ عمرَ قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، فقال معاذٌ: عندي تفسيرُها: تُبَدَّلُ في كلِّ ساعةٍ مئةَ مرة، فقال عمر: هكذا سمعتُها من رسولِ الله ﷺ(١).

***

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، خبرُه ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الأقذارِ.

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ كثيفاً، لا تنسخُهُ الشمسُ، ولا يُؤْذيهم بردٌ ولا حر. قرأ أبو عمرٍو: (الصَّالِحَات سَّنُدْخِلُهُمْ) بإدغام التاء في السين.

***

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قرأ أبو عمرٍو: (يَأْمُرُكُمْ) باختلاسِ الحركةِ من طريقِ البغداديين، ورُوي عنهُ من طريق

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٤٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥١٧).

العراقيين[١] وغيرِهم: بإسكان الراء، والباقون: يشبعون الحركةَ[٢]. نزلت في عثمانَ بنِ طلحةَ الحَجَبيِّ من بني عبدِ الدار، وكان سادنَ[٣] الكعبة، فلما دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ يومَ الفتح، أغلقَ بابَ الكعبة، وأبى أن يدفعَ له المفتاحَ ليدخلَ فيها، وقال: لو علمتُ أنه رسولُ الله، لم أمنعْه، فمدَّ عليٌّ يدَه وأخذَه منه، وفتح، فدخلَ رسولُ الله ﷺ، وصلَّى ركعتين، فلما خرجَ، سأله العباسُ أن يعطى المفتاحَ، ويجمعَ له السقايةَ والسدانةَ، فأمر اللهُ أَنْ يُرَدَّ إليه، فأمر علياً بأن يردَّ المفتاحَ إلى عثمانَ، ويعتذر إليه، فكان ذلكَ سبباً لإسلامه، فلما ماتَ، دفعه إلى أخيهِ شيبةَ، فالمفتاحُ والسدانةُ في أولادِهم إلى يومِ القيامة[٤].

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ أي: نعمَ الشيءُ الذي.

﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (نِعِمَّا) في سورةِ البقرة عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ

---

(١) في جميع النسخ «الرقيين»، والصواب ما أثبت، والله أعلم.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤١).

(٣) في «ت»: «سادان».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٥٠)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٩٣).

عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَاباً إِمَامٌ جَائِرٌ»(1).

وقال ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارِ، فَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي، فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَالثَّلاَثَةُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لاَ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ مِنْ مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ» أخرجه الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه(2).

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أي: الولاة.

﴿ مِنكُمۡۖ ﴾ إذا أمروا بطاعةِ اللهِ.

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ ﴾ اختلفتم أنتم وأمراءُ العدلِ.

﴿ فِي شَيۡءٖ ﴾ من أمرِ دينِكم، والتنازُعُ: اختلافُ الآراءِ.

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى كتابه.

---

(1) رواه الترمذي (١٣٢٩)، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الإمام العادل، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٦)، وغيرهم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مدةَ حياتِه، وبعدَ وفاتِه إلى سُنَّتِهِ.

﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: الردُّ إلى الكتابِ والسنَّةِ.

﴿خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ مآلاً وعاقبةً.

***

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ هو كعبُ بنُ الأشرفِ، سُمِّيَ به؛ لإفراطِه في الطغيانِ.

﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ﴾ أي: بالطاغوت.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ لا غايةَ له، فلا يهتدون. نزلت في بشر المنافقِ ويهوديٍّ كان بينَهما حكومةٌ، فطلبَ المنافقُ الحكومةَ إلى ابنِ الأشرفِ، فطلبَ اليهوديُّ الحكومةَ إلى النبيِّ ﷺ، فحكم ﷺ على المنافقِ، فلم يرضَ، فأتيا عمرَ رضي الله عنه، فقال اليهوديُّ: إن النبيَّ حكمَ لي، فلم يرضَ، قال عمرُ للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقتله عمرُ، فقال: هكذا أفعلُ بمن لم يرضَ بقضاءِ اللهِ وقضاءِ رسوله، فنزلت الآيةُ، وقال جبريل عليه السلام: «إن عمرَ فرقَ بينَ الحقِّ والباطلِ»، فسمِّي الفاروقَ[١].

---

(١) انظر: «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (١/ ٢٣٢)، و«أسباب النزول» =

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ للتحاكُم.

﴿ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ أي: يُعرِضون عنك إعراضاً. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ، ورُويس: (قِيلَ) بإشمام القافِ الضمَّ[١].

* * *

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يكونُ حالُهم.

﴿ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ من قتلِ عمرَ للمنافق.

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من التحاكُم إلى غيرِك، واتهامِكَ في الحكم.

﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ أي: يجيئونك يطلبونَ ديةَ المقتول، ثم:

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ ﴾ بالمحاكمة إلى عمرَ.

﴿ إِلَّآ إِحْسَٰنًا ﴾ في القولِ.

﴿ وَتَوْفِيقًا ﴾ بين الخصمين، ولم نردْ مخالفتَكَ.

* * *

= للواحدي (ص:٨٩)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٩٠٣ـ ٩٠٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٥٨٥ـ٥٨٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٢).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ثم أومأ تعالى إلى كذبهم بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ من النفاق.

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ لا تعاقِبْهم.

﴿ وَعِظۡهُمۡ ﴾ بينَ الناسِ ليتوبوا.

﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: في الخلاء.

﴿ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم، وهو التخويف بالله تعالى، وتوعدهم بالقتل إن لم يؤمنوا.

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ يعني: بتيسيره وقضائِه؛ أي: وما أرسلْنا رسولاً قطُّ إلا ليُطاع، وبطاعتِه يُطاعُ اللهُ.

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بالتحاكُم إلى الطاغوت.

﴿ جَآءُوكَ ﴾ معتذرينَ.

﴿ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ من نفاقِهم.

﴿ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ يقبلُ توبةَ التائبينَ.

* * *

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ أي: فَوَرَبِّكَ، و(لا) مزيدةٌ لتوكيدِ القسمِ.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ أي: يجعلوكَ حَكَماً.

﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: اختلفَ، وأصلُ التشاجرِ: الاختلاط والتنازعُ.

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ ضِيقاً.

﴿ مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أي: لا تضيقُ صدورُهم بحكمِك.

﴿ وَيُسَلِّمُوا ﴾ ينقادوا.

﴿ تَسْلِيمًا ﴾ بطيبِ نفسٍ.

***

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا ﴾ أَوْجَبْنا.

﴿ عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ كما قُتِل بنو إسرائيلَ.

﴿ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم ﴾ كما أَمَرْنا بني إسرائيلَ بالخروجِ من مصرَ. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (أنِ اقْتُلُوا) بكسر النونِ على أصل التحريك، (أَوُ اخْرُجُوا) بضمِّ الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ﴿ وَلَا تَنسَوُا

﴿ٱلْفَضْلَ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ بكسرهما، والباقون: بضمهما[١].

﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوبَ عليهم.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (إلاَّ قَلِيلاً) بالنصبِ على أصلِ الاستثناء، وكذلك هو في مُصحفِ أهل الشام، وقرأ الباقون: بالرفع على ضمير الفاعل في قوله: (فعلوه) تقديره: إلا نفرٌ قليلٌ فعلوه[٢]، والقليلُ جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: عمر، وعمارُ بنُ ياسر، وعبدُ الله بنُ مسعود، وثابتُ بنُ قيسٍ، قالوا: واللهِ لو أمرَنا محمدٌ بذلكَ، لفعلنا، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي رِجَالاً، الإِيمَانُ أَثْبَتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي»[٣].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي: ما يؤمرونَ به من طاعةِ الرسولِ.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في عاجِلهم وآجِلهم ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ تحقيقاً لإيمانِهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر»، للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٢-١٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٦٠)، عن أبي إسحاق السبيعي. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٥)، عن الحسن البصري.

﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] و﴿ وَإِذًا ﴾ جوابُ سؤالٍ مقدَّرٍ تقديرُه: ماذا يكونُ لهم بعدَ التثبيت؟ فقال: وإذاً لو ثبتوا.

﴿ لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ثواباً وافراً؛ لأن (إذاً) جوابٌ وجزاء.

* * *

﴿ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

[٦٨] ﴿ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ وَفَّقْناهم لازديادِ الخيراتِ.

* * *

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٩] ونزلَ في ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ، وكانَ شديدَ الحبِّ له حينَ قالَ للنبيِّ ﷺ: «إنِّي أخشى ألاَّ أراكَ يومَ القيامةِ لِعُلُوِّ منزلتِكَ»[١]:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ ﴾ في أداءِ الفرائضِ ﴿ وَٱلرَّسُولَ ﴾ في السُّنَنِ.

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ أي: لا تفوتُهم رؤيةُ الأنبياءِ ومجالستُهم.

﴿ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ هم أفاضلُ الصحابةِ المبالِغينَ في الصِّدقِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:٩١)، و«تفسير البغوي» (١/٥٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١/١٧٤).

﴿ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ هم شهداءُ أُحُدٍ.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ سائرِ الصحابةِ، واللفظُ يعمُّ كلَّ صالحٍ وشهيدٍ، والله أعلم. قال ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(١).

﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ أي: ما أحسنَ أولئكَ رفقاءَ في الجنةِ بأن يُستمتَعَ فيها برؤيتِهم وزيارتِهم والحضورِ معهم، وإن كانَ مقرُّهم في درجاتٍ عاليةٍ بالنسبةِ إلى غيرِهم، ومن فضلِ الله تعالى على غيرِهم أنَّه قد رُزِقَ الرِّضا بحالِه، وذهبَ عنه أن يعتقدَ أنه مفضولٌ؛ انتفاءً للحسرةِ في الجنةِ التي تختلفُ المراتبُ فيها على قَدْرِ الأعمالِ، وعلى قدرِ فضلِ الله على مَنْ يشاء.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما للمطيعينَ من الأجرِ.

﴿ ٱلْفَضْلُ﴾ صفتُهُ.

﴿ مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرُهُ.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ بجزاءِ مَنْ أطاعَهُ، فإنَّهُ يعطيهم ما عَلِمَهُ لهم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٨١٦)، كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في الله عز وجل، ومسلم (٢٦٤٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ أي: تيقَّظوا لعدوِّكم، والحِذْرُ والحَذَرُ واحدٌ، وهو الاحترازُ.

﴿ فَٱنفِرُواْ ﴾ فاخرُجوا.

﴿ ثُبَاتٍ ﴾ سرايا متفرِّقينَ.

﴿ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾ كلُّكم مع نبيِّكم ﷺ، وأصلُ النَّفرِ: الانزعاجُ من الشيءِ أو إلى الشيءِ.

* * *

﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ واللام في (ليبطئنَّ) لامُ القسم، والتبطئةُ: التأخُّرُ عن الأمر، والخطابُ لعسكرِ النبيِّ ﷺ. المعنى: وإن منكم؛ أي: عبدَ اللهِ بنَ أُبي وأصحابه ليتأخَّرَنَّ عن الغزو تثاقُلاً. قرأ أبو جعفرٍ: (لَيُبَطِّيَنَّ) بفتح الياء بغير همز، والباقون: بالهمز.

﴿ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ﴾ قتلٌ أو هزيمةٌ.

﴿ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ ﴾ بالقعودِ.

﴿ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ حاضراً، فيصيبني ما أصابَهُمْ.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ سلامةٌ وغنيمةٌ.

﴿ لَيَقُولَنَّ ﴾ هذا المنافقُ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ متصلٌ بقوله: ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ تقديره: فإن أصابتكم مصيبةٌ، قال: قد أنعمَ الله عليَّ إذ لم أكنْ معهم شهيداً؛ كأن لم تكنْ بينكم وبينَهم مودة؛ أي: معرفة. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ، ورويسٌ: (تَكُنْ) بالتاءِ، والباقون: بالياء[1]، ولئن أصابكم فضلٌ من الله ليقولن:

﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ ﴾ في تلكَ الغَزاةِ.

﴿ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ آخذَ نصيباً وافراً من الغنيمةِ (فأفوزَ) نُصب على جوابِ التمنيِّ.

***

﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٥).

[٧٤] ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ﴾ أي: يشترون.

﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ ومعناه: آمِنوا أيُّها المنافقونَ، وجاهِدوا في سبيلِ الله. وقيل: نزلَتْ في المؤمنين، فيكونُ معناه: فليقاتلْ في سبيلِ اللهِ الذين يختارونَ الأُخرى على الدنيا.

﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ ﴾ يُسْتَشْهَدْ.

﴿ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ يظفرْ بعدوِّه.

﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ في كِلا الحالتين. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلادٌ: (يَغْلِب فَّسَوْفَ) و(تَعْجَب فَّعَجَبٌ) وشبهَه حيثُ وقعَ بإدغامِ الباءِ في الفاء، والباقون: بالإظهار(١).

***

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾.

[٧٥] ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في طاعةِ اللهِ، استفهامُ توبيخٍ على تركِ الجهادِ.

﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ أي: وفي سبيل المستضعفين.

﴿ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ ﴾ بمكةَ، صَدَّهم المشركونَ عن الهجرة وآذَوْهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٦).

﴿ يَقُولُونَ ﴾ داعِينَ.

﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ هي مكةُ.

﴿ ٱلظَّالِمِ ﴾ أي: التي ظلمَ.

﴿ أَهۡلُهَا ﴾ بكفرِهم وصَدِّهم المسلمينَ عن الهجرةِ.

﴿ وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ أي: ارزقنا مَنْ يتولى أمرَنا.

﴿ وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ ينصرُنا على أعدائنا، فاستجابَ اللهُ دعاءَهم، فلما فُتحت مكةُ، ولَّى النبيُّ ﷺ عليهم عَتَّابَ بنَ أُسيد، فكان ينصفُ المظلومينَ من الظالمين.

***

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾.

[٧٦] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: طاعته.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ الشيطانِ والأصنامِ.

﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ ﴾ أيُّها المؤمنونَ.

﴿ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ ﴾ جنودَه، وهم الكفارُ.

﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ مكرَه.

﴿ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ واهِناً لا يثبتُ للحقِّ(١).

---

(١) من قوله «﴿ وَإِذَا ﴾ جواب سؤال...» (ص: ١٥١) من هذا الجزء إلى هنا سقط من «ن»، وهو بمقدار لوحة من النسخ الخطية الأخرى.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ عن القتالِ. نزلتْ في جماعةٍ من الصحابةِ كانوا يَلْقَوْنَ من المشركينَ بمكة أذًى كثيراً قبلَ الهجرة، فقالوا: يا رسول الله! ائذنْ لنا في قتالِهم؛ فإنهم قد آذَوْنا، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِهِمْ»[١].

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فلما هاجروا إلى المدينة، وأمرهم الله بقتالِ المشركينَ، شَقَّ ذلك على بعضِهم، قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ ﴾ أي: فُرِض.

﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني: مشركي مكةَ.

﴿ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي: كخشيتِهم منَ اللهِ.

﴿ أَوْ أَشَدَّ ﴾ أكبرَ.

﴿ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾ الجهاد.

﴿ لَوْلَآ ﴾ أي: هَلاَّ.

﴿ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ ﴾ إلى أن نجدَ من نستنصرُ به.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦٣)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٩١٨).

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: منفعتُها والاستمتاعُ بها.

﴿قَلِيلٌ﴾ سريعُ التَّقَضِّي.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي: وثوابُ الآخرةِ.

﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشركَ.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو ما في شقِّ النواةِ طولاً، وتقدمَ تفسيرُه. المعنى: لا يقعُ نقصٌ في شيءٍ من الحسناتِ ثَمَّ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وروحٌ: (يُظْلَمُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1].

***

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)﴾.

[٧٨] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: ينزلْ بكمُ الموتُ. نزلت في المنافقينَ الذين قالوا في قَتْلَى أُحد: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فردَّ الله عليهم، وأخبرَ أنَّ الحذرَ لا يُنجي من القَدَرِ.

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ﴾ حُصونٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٦).

﴿ مُشَيَّدَةٍ ﴾ مرتفعةٍ.

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ أي: المنافقينَ ومَنْ جرى مجراهُمْ.

﴿ حَسَنَةٌ ﴾ خصبٌ وظفرٌ يومَ بدرٍ.

﴿ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لنا.

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ جَدْبٌ وهزيمةٌ يومَ أُحُدٍ.

﴿ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ يا محمدُ؛ أي: بسبب شُؤْمِكَ، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ كُلٌّ ﴾ الحسنة والسيئة.

﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ بقضائه وقَدَرِه، ثم عَيَّرَهم بالجهلِ فقال:

﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ يعني: المنافقين.

﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ والفقهُ لغةً: الفَهْمُ. وقف أبو عمروٍ، والكسائيُّ بخلافٍ عنه على الألف دونَ اللام من قوله (فَمَالِ هَؤُلَاءِ)[1]، و(مَالِ هذَا الكِتَابِ) في سورةِ الكهفِ، و(مَالِ هَذَا الرَّسُولِ) في الفرقان، (فَمَالِ الَّذِينَ) في سألَ، ووقف الباقون (فمال) على اللام اتباعاً للخطِّ، بخلافٍ عن الكسائيِّ، قالَ ابنُ عطية: ومنعه قومٌ جملةً؛ لأنها حرف جر، فهي بعضُ المجرور، وهذا كله بحسب ضرورةٍ أو[2] انقطاعِ نفسٍ، وأما أن يختارَ أحدٌ الوقفَ فيما ذكرناه ابتداءً، فلا، انتهى[3].

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٧).

(٢) في «ظ»: «و».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٨١).

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ثم خاطب النبيَّ ﷺ، والمرادُ غيرُه فقال:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾ يا إنسانُ.

﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ خيرٍ ونعمةٍ.

﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ تفضُّلاً.

﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ بَلِيَّةٍ.

﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أي: بذنبك؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وتعلَّق القدريَّةُ بظاهرِ هذه الآيةِ، فقالوا: نفى الله عز وجل السيئةَ عن نفسه، ونسبهَا إلى العبدِ، ولا متعلَّقَ لهم فيه؛ بدليل قوله تعالى:

﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ غيرَ أن الحسنةَ إحسانٌ وامتحانٌ، والسيئة مجازاةٌ وانتقامٌ.

عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ نَصَبٌ وَلاَ وَصَبٌ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا الْعَبْدُ، وَحَتَّى انْقِطَاعُ شِسْعِ نَعْلِهِ، إلاَّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللهُ أَكْثَرُ»(١).

---

(١) روى البخاري (٥٣١٧)، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المريض، ومسلم (٢٥٧٢)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، بلفظ: «ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كفر بها عنه، حتى الشوكة يشاكها». وروى البخاري (٥٣١٨)، كتاب: المرض، =

﴿وَأَرْسَلْنَكَ﴾ يا محمدُ.

﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حالٌ مؤكِّدَةٌ، أي: ذا رسالةٍ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتِك وصدقِك.

* * *

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أَمَرَ به.

﴿فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ كانَ ﷺ يقولُ: «مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّنِي، فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ»، فقال بعضُ اليهود: ما يريدُ محمدٌ إلا أنْ يُتَّخَذَ رَبّاً، فنزلتِ الآية(١).

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرضَ عن طاعتِه.

﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: حافظاً ورقيباً، بلْ كِلْ أمورَهُم إلى الله، قيل: نُسخ هذا بآيةِ السيف.

= باب: ما جاء في كفارة المريض، ومسلم (٢٥٧٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة بلفظ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه».

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٣٦): غريب جداً، ونقل المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٥٠٤) عن الولي العراقي أنه قال: لم أقف عليه هكذا، وعن ابن حجر: لم أجده.

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ يعني: المنافقينَ، يُظهرونَ أنهم يطيعونَكَ.

﴿ فَإِذَا بَرَزُوا ﴾ خرجوا.

﴿ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ ﴾ أي: دبَّرَ ليلاً.

﴿ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ (بَيَّت طَّائِفَةٌ) بسكونِ التاء وإدغامِها في الطاء، والباقون: بإظهار التاءِ مفتوحةً[١]. المعنى: جماعةُ المنافقينَ تُظهر في حضورِكَ خِلافَ ما تُضْمِرُ، وتقولُ في غَيْبَتِكَ قولاً.

﴿ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ في مجلسِك.

﴿ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ ﴾ يُثبِتُ في صحائِفِهم للمجازاةِ.

﴿ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ يُزَوِّرونَ.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ لا تُعاقِبْهم.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: اتَّخِذْهُ وكيلاً، فهو كافيكَ.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ناصِراً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٨/٢).

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

[٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يتأمَّلون القرآنَ؛ أي: لو اعتبروا القرآن، لتيقنوا أنه من عندِ الله؛ لعدمِ تناقضِه.

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا ﴾ تناقُضاً.

﴿ كَثِيرًا ﴾ .

***

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ونزل فيمن كان يُفْشي ما يسمعُ؛ ليضعفَ قلوبَ المؤمنينَ:

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ ﴾ يعني: المنافقينَ.

﴿ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ ﴾ من الفتحِ والغنيمةِ.

﴿ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾ القتلِ والهزيمةِ.

﴿ أَذَاعُوا۟ بِهِۦۖ ﴾ أَفْشَوْهُ.

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ ﴾ أي: الخبرَ.

﴿ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: لو لم يحدِّثوا به حتى يكونَ النبيُّ ﷺ هو الذي يحدّثُ به.

﴿ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ أصحابِ الرأيِ من الصحابةِ.

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ يستخرجونَه، وهم العلماءُ؛ أي: لوردُّوا ما يسمعونَ من الخبرِ إلى هؤلاء، لعلموا ما يُفْشى فيُفشى، وما يُكْتَمُ فيكتمُ.

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بالإسلامِ.

﴿ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ بالقرآنِ.

﴿ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ ﴾ أي: لضللتم باتباعِه.

﴿ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ منكم، والمرادُ: الذين اهتدَوْا قبلَ مجيءِ النبيِّ ﷺ؛ كزيدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ، ووَرَقَة بنِ نَوْفَلٍ، أو: إلاَّ اتبّاعاً قليلاً.

***

﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] وكان النبيُّ ﷺ وعدَ أبا سفيان بعدَ حربِ أُحُدٍ موسمَ بدرٍ الصُّغرى في ذي القعدةِ، فلما بلغَ الميعاد، دعا الناسَ إلى الخروجِ، فكرهَهُ بعضُهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ ﴾(١) أي: قاتلِ المشركينَ، وانصرِ المستضعفينَ بمكَّةَ، ولو وحدَكَ؛ فإنَّكَ موعودٌ بالنصرِ.

﴿ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ حُثَّهم على الجهاد، فخرجَ رسولُ الله ﷺ في سبعينَ راكباً، فكفاهُمُ اللهُ القتالَ، فقال جل ذكرُه:

﴿ عَسَى ٱللَّهُ ﴾ أي: لعلَ اللهَ ﴿ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ﴾ صولةَ وحربَ.

---

(١) عزاه المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٥٠٤) إلى ابن جرير في «تفسيره» من حديث ابن عباس، ولم أره فيه.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ وقد كفى بتخلفِ أبي سفيانَ عن الخروج إلى بدرٍ الصغرى تلكَ السنةَ .

﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا ﴾ صولةً وأعظمُ سلطاناً من قريشٍ .

﴿ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ عقوبةً ، وهو تقريعٌ وتهديدٌ لمن لم يتبعْه .

***

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾ هي الإصلاحُ بينَ الناسِ .

﴿ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ وهو ثوابُ الشفاعةِ .

﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً ﴾ هيَ المشيُ بالنميمةِ بينَ الناسِ .

﴿ يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ أي : نصيبٌ من وِزْرِها ، والكِفْل : الضِّعْفُ من الشيء ، واشتقاقُه من الكَفَلِ ؛ لمشقَّةِ الركوبِ عليه .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ مجازِياً .

***

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ إذا قال : السلامُ عليكم ، فقلْ : وعليكُمُ السلامُ ورحمةُ اللهِ ، وإذا قال : السلامُ عليكم ورحمةُ الله ، فقلْ : وعليكم السلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه ، وإذا قال : السلامُ عليكم

ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، فَرُدَّ مثلَها، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: «انتهى السلامُ إلى البركةِ»(١).

﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أي: رُدُّوا مثلَها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ محاسباً على السلام وغيره، والسلامُ سنةٌ على الكِفاية مرغَّبٌ فيها، وإذا سلَّم واحدٌ من الجماعةِ، أجزأَهم، بالاتفاق، والردُّ فرضٌ على الكفايةِ عندَ الثلاثةِ، وذهبَ أبو حنيفةَ إلى أنَّ ردَّ السلامِ من الفروضِ المتعيِّنَةِ، قالَ: والسلامُ خِلافُ الردِّ، لأنَّ الابتداءَ به تطوُّع، وردَّه فَريضةٌ، فإذا ردَّ واحدٌ من جماعةٍ، سقطَ عن الباقينَ باتفاقهم.

ويحرمُ بداءةُ أهلِ الذمَّةِ بالسَّلامِ عندَ مالكٍ والشافعيِّ، وعندَ أبي حنيفةَ يُكْرَه؛ لما فيه منْ تعظيمِهم، فإنْ سلَّمَ على ذميٍّ جاهلاً أو ناسياً، ثم علمَ، فمذهبُ مالكٍ لا يستقيلُه، واختارَ ابنُ عطيةَ المالكيُّ أن يستقيلَه سلامَه، ومذهبُ الشافعيِّ يقولُ: استرجَعْتُ سلامي تحقيراً له، ومذهبُ أحمدَ يُسَنُّ قولُه: رُدَّ عَلَيَّ سلامي، وإذا سَلَّم ذميٌّ على مسلمٍ، فعندَ أحمدَ وأبي حنيفةَ يقولُ في الرد: وعليكم، وعندَ الشافعيِّ يقول: وعليكَ، وعند مالكٍ يقول: عليكَ، بغير واو، واختارَ بعضُ أصحابه السِّلام بكسرِ السين؛ يعني به الحجارةَ.

* * *

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾.

[٨٧] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللامُ في (ليجمعنكم) لامُ القسم، تقديره: اللهُ واللهِ ليحشرنَّكم.

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٩).

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: القيام من القبورِ إلى الحسابِ.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ في ذلك اليوم[1].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: لا حديثَ أصدقُ من حديثِ الله؛ لأنه سبحانه منزَّهٌ عن الكذب. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ورويسٌ بخلاف عنه: (أَصْدَقُ) و(يَصْدِفونَ) و(تَصْدِيَةً) و(تَصْدِيق) و(فَاصْدَعْ) بإشمام الصاد الزاي حيثُ وقعَ، والباقون بالصادِ الخالصةِ[2].

***

﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ونزل فيمن أسلمَ، ثم ندمَ، ثم ارتدَّ:

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين.

﴿فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ أي: اختلفْتُم فافترقْتُم فرقتينِ، ولم تقطعوا جميعاً بكفرِهم.

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ نَكَّسَهُمْ وردَّهم إلى الكفرِ، وأصلُ الركْسِ: ردُّ الشيءِ مقلوباً.

﴿بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ بسببِ كسبِهم، وهو ارتدادُهم عن الإسلام.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أتطلبون هدايةَ مَنْ أضلَّ اللهُ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى.

---

(١) «اليوم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٠)، و«النشر في القراءات العشر»، لابن الجزري (٢/ ٢٥٠-٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٠).

﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ طريقاً إلى الحقِّ.

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ وَدُّواْ ﴾ تمنوا؛ يعني: أولئكَ الذين[١] رَجَعوا عن الدين.

﴿ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ ﴾ عطفٌ على ﴿تكْفرونَ﴾.

﴿ سَوَآءً ﴾ أي: مستوينَ أنتمْ وهُمْ في الكفرِ.

﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ وإنْ أظهروا الإيمانَ.

﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هجرةً للهِ ورسولِه، لا لأغراضِ الدنيا.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أعرَضُوا عن الإيمانِ والهجرةِ.

﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ أُسارى، ومنهُ يُقال للأسير: أَخيذٌ.

﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ في الحلِّ والحرمِ.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ أي: لا تقبلوا منهم ولايةً ونصرةً.

***

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾.

---

(١) «الذين» ساقطة من «ن».

[٩٠] ثم استثنى من القتل، لا من الموالاة، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ ينتسبونَ ويلتجئونَ بالحِلْفِ.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهدٌ، وهم قيل[1] قومُ هلالِ بنِ عويمرٍ الأسلميِّ، كان قد وادعَهُ النبيُّ ﷺ قبلَ خروجِه إلى مكةَ ألا يُعينَه ولا يُعينَ عليه، ومن وصلَ إلى هلالٍ من قومِه وغيرِهم فلهُ من الجوارِ مثل ما لهلالٍ.

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ أي: يَتَّصلونَ بقومٍ جاؤوكم.

﴿حَصِرَتْ﴾ ضاقَتْ.

﴿صُدُورُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، وقالونُ، وورشٌ، وهشامٌ: (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) بإظهار التاء عند الصاد، والباقون: بالإدغام، وقرأ يعقوبُ: (حَصِرَةً) بالفتح والتنوين؛ أي: ضَيِّقَةً صدورُهم[2].

﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ أي: ضاقت قلوبُهم عن قتالِكم وقتالِ قومِهم، وهم الذين عاهدوا النبيَّ ﷺ. تلخيصُه: إن لم يأتوا بالإسلامِ كما ينبغي، فاقتلوهم، واجتنبوهم، إلا المتَّصفينَ بهذهِ الصفاتِ، فاتركوهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ لِحكَمٍ يعلَمُها.

﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ مع قومِهم، ولم يكفُّوا عنكم.

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ ولم يتعرَّضوا لكم.

---

(١) «قيل» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥١-١٥٢).

﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ الصلحَ والانقيادَ.

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالقتل.

* * *

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ونزل في أُسْدٍ وغَطفانَ ومَنْ جرى مجراهم حيثُ أظهروا الإيمانَ وهم غيرُ مؤمنين، فلما رجعوا إلى قومهم، كفروا:

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بقولِهم لكم: آمنَّا.

﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بكفرِهم عندَ عودِهم إليهم.

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ دُعوا إلى الكفرِ و(١) إلى قتالكم.

﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ عادُوا إلى الشِّركِ.

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ حتى يسيروا إلى مكةَ.

﴿وَيُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: الصلحَ.

﴿وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالِكم.

﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ تمكَّنْتُم من قتلِهم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حجةً ظاهرةً بالقتل.

---

(١) «و» ساقطة من «ت».

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ونزل في عَيَّاشِ بنِ أبي[١] ربيعةَ أخي أبي جهلٍ من الأمِّ لما لقيَ حارثَ بنَ زيدٍ في طريقٍ، وكانَ قد أسلمَ، ولم يشعرْ به عياشٌ، فقتلَه:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾[٢] أي: ما ينبغي لمؤمنٍ.

﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ استثناءٌ منقطعٌ، معناه: لكنْ إن وقعَ خطأٌ، فتحريرُ رقبةٍ، والخطأُ: ما لم يتعمَّدِ الإنسانُ.

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ﴾ أي: فالواجبُ على القاتل عتقُ.

﴿رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ كفارةً باتفاقِ الأئمةِ إذا كان المقتول حُرّاً مسلماً، فإن كان المقتولُ ذِمِّياً أو عبداً، قال أبو حنيفةَ والشافعيُّ وأحمدُ: تجبُ الكفارةُ في قتلِه كوجوبِها في حقِّ الحرِّ المسلمِ، وقال مالكٌ: لا تجبُ بقتلِ عبدٍ ولا كافرٍ، فإن كانَ القتلُ عمداً، فقال الشافعيُّ: تجبُ الكفارة، وقال الثلاثة: لا تجبُ، وإذا قتلَ الكافرُ مسلِماً خطأً، فقال الشافعيُّ وأحمدُ:

---

(١) «أبي» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢١٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٥).

تجبُ عليه الكفارة، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا كفارةَ عليه.

﴿وَدِيَةٌ﴾ هي المالُ المؤدَّى إلى مَجْنِيٍّ عليه، أو وليِّه بسببِ جنايةٍ[1].

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مُؤَدَّاةٌ.

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ إلى وَرَثَةِ القتيلِ بدلَ النفسِ، والرقبةُ في مالِ القاتلِ، والديةُ على عاقلتِه، فإن لم يكن له ورثةٌ، فلبيتِ المال.

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يعفوا ويتركوا الديةَ.

﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتولُ.

﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ أي: حربٍ للمسلمين، لا عهدَ بينكم وبينَهم.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ محكومٍ بإسلامِها، وإن كانتْ صغيرةً، ولا ديةَ فيه بالاتفاق؛ إذ لا وراثةَ بينَه وبينَ أهله؛ لأنهم كفارٌ محاربون.

﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ذمياً، أو معاهداً.

﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ لأن حكمَهُ حكمُ المسلمِ بالاتفاق.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: لم[2] يملكِ الرقبةَ، ولا يقدرُ على تحصيلِها.

﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيامُ.

﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: جعل اللهُ ذلكَ توبةً لقاتلِ الخطأ.

---

(١) في «ن»: «جنايته».

(٢) «لم» ساقطة من «ن».

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمن قتل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما أمرَ في شأنه .

واعلمْ أن القتلَ على ثلاثةِ أقسامٍ :

عَمْدٌ محضٌ : وهو أن يقتلَه بما يغلبُ على الظنِّ موته به ؛ كالسيفِ ونحوِه ، ففيه القصاصُ بشروطِه ، أو الديةُ بالاتفاقِ .

وشِبْهُ عمدٍ : وهو أن يقصدَ الجنايةَ بما لا يقتُلُ غالباً ؛ كالحجرِ والعصا ونحوِهما ، ففيهِ الديةُ دونَ القصاصِ عندَ الثلاثةِ ، ومالكٌ رحمه الله لا يرى شبهَ العمد ، ولا يقولُ به في شيء ، وإنما القتلُ عندَه عمدٌ أو خطأٌ ، لا غيرُ ، فإذا أصابَه بما لا يقتلُ غالباً ، فماتَ ، فعندَه يجبُ فيه القصاصُ .

وخطأ : وهو أن يرمي شخصاً يظنُّه صيداً أو حربيّاً ، فإذا هو مسلمٌ ، ففيه الديةُ ، ولا قصاصَ فيه بالاتفاق .

وأما قدرُ ديةِ الحرِّ المسلمِ ، فعند أبي حنيفةَ مئةٌ من الإبل ، فالمغلَّظَةُ : وهي التي بسببِ العمدِ المحضِ وشبهِ العمدِ تجبُ أرباعاً : خمساً وعشرينَ بنتَ مخاضٍ ، وهي التي طعنَتْ في السنة الثانية ، وخمساً وعشرين بنتَ لَبونٍ ، وهي التي طعنت في السنةِ الثالثة ، وخمساً وعشرين حِقَّةً ، وهي التي طعنتْ في السنةِ الرابعة ، وخمساً وعشرين جَذَعَةً ، وهي التي طعنت في السنة الخامسة ، والمخفَّفَةُ : وهي التي بسبب قتلِ الخطأ تجبُ أخماساً : عشرينَ ابنَ مخاضٍ ، ومثلُها بناتُ مخاض ، وبناتُ لَبون ، وحقاقٌ ، وجذعٌ ، أو ألفُ دينار ، أو عشرةُ آلافِ درهم ، كلُّ عشرةٍ وزنُ سبعةِ مثاقيلَ .

وديةُ العمدِ المحضِ في مال القاتل مؤجَّلَةٌ في ثلاثِ سنينَ ، وديةُ شبهِ العمدِ والخطأ على العاقلةِ مؤجلةٌ كذلك .

وعند مالكٍ إن كان الجاني من أهل البادية ، فالدية مئةٌ من الإبل تجبُ

في العمدِ أرباعاً، وفي الخطأ أخماساً، كقول أبي حنيفةَ، إلا أنه جعلَ في الأخماسِ مكانَ ابنِ مخاضٍ ابنَ لبونٍ، والديةُ في التغليظ عندَه تجبُ أثلاثاً: ثلاثينَ حقةً، وثلاثين جذعةً، وأربعينَ خلفةً، وهي التي في بطونها أولادُها غيرَ محدودةٍ أسنانُها، والتغليظُ عنده في قتلِ أحدِ الوالدين ولدَه على وجهٍ تقارنه الشبهةُ، وإن كانَ من أهلِ الذَّهَبِ، وهم أهلُ مصرَ والشامِ والمغربِ، فهي ألفُ دينارٍ، وإن كان من أهلِ الوَرِقِ، وهم أهلُ العراقِ وفارسَ وخراسانَ، فهي اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ، وديةُ العمدِ على القاتلِ في ماله مؤجَّلَةٌ في ثلاثِ سنينَ كقولِ أبي حنيفة، وقيل: حَالَّةٌ، وديةُ الخطأ على العاقلةِ مؤجَّلَةٌ كذلك.

وعندَ الشافعيِّ مئةُ بعيرٍ مثلثةٌ في العمدِ وشبهِه؛ كقولِ مالكٍ في التغليظ، وفي الخطأ مخمسةٌ كقول مالكٍ، فلو عُدمَتْ، فالقديمُ من مذهبه ألفُ دينارٍ، أو اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ، والجديدُ قيمتُها بنقدِ بلدِه، وديةُ العمدِ على الجاني معجَّلَةٌ، وشبهِ العمدِ والخطأ على العاقلةِ مؤجَّلَةٌ.

وعندَ أحمدَ مئةٌ من الإبلِ، أو مئتا بقرةٍ، أو ألفا شاةٍ، أو ألفُ مثقالٍ ذهباً، أو اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ فضةً، فهذه الخمسُ أصولٌ في الدية، إذا أحضرَ(١) مَنْ عليه الديةُ شيئاً منها، لزمَ قبولُه، وتجبُ الإبلُ في العمدِ وشبهِه أرباعاً، وفي الخطأ أخماساً كقولِ أبي حنيفةَ، ويؤخذ في البقر النصفُ مُسِنَّاتٌ، وهي التي لها سنتانِ، والنصفُ أَتْبِعَةٌ، وهي التي لها سنةٌ، وفي الغنم النصفُ ثَنايا، وهي التي لها سنةٌ، والنصفُ جذعَةٌ، وهي التي لها ستة أشهر، ولا تعتبرُ القيمةُ في شيء من ذلك بعدَ أن يكون سليماً من العيب، وديةُ العمدِ المحضِ في مال الجاني حالَّةٌ، وشبهِ العمدِ والخطأ

---

(١) في «ن»: «حضر».

على عاقلتِهِ في ثلاثِ سنينَ، وديةُ المرأةِ نصفُ دية الرجل باتفاقهم.

واختلفوا في ديةِ الذمِّيِّ والمجوسيِّ، فقال أبو حنيفةَ: هي كديةِ المسلم سواء، وقال مالكٌ وأحمدُ: ديةُ الذميِّ نصفُ ديةِ المسلم، والمجوسيِّ ثمانُ مئةِ درهمٍ، وقال الشافعيُّ: ديةُ اليهوديِّ والنصرانيِّ ثلثُ ديةِ مسلمٍ، والمجوسيِّ ثلثا عُشْرِ دية[1] مسلمٍ، وديات نسائِهم نصفُ دياتِ رجالِهم بالاتفاق.

وديةُ العبدِ والأمةِ قيمتُهما بالغةً ما بلغَتْ عندَ الثلاثة، وقال أبو حنيفةَ: من قتلَ عبداً خطَأً، فعليه قيمتُه، لا يُزاد على عشرةِ آلافٍ إلا عشرةٌ، وفي الأمةِ خمسةُ آلافٍ إلا عشرةً، وإن كانَ أقلَّ من ذلك، فعليه قيمتُه، وخالفه أبو يوسفَ، فوافق الجماعةَ.

واختلفوا في العاقلة، فقال الثلاثة: هم العصبة قَرُبوا أو بَعُدوا، ومنهم الأصولُ والفروعُ، وقال الشافعيُّ: هم عصبتُهُ إلا الأصلَ والفرعَ، يقدَّمُ الأقربُ فالأقربُ.

ولا عقلَ على الصبيانِ والنساءِ بالاتفاقِ.

فإن فُقِدَ العاقلُ، عقلَ بيتُ المالِ عن المسلمِ، فإن فُقِدَ، فكلُّ الديةِ على الجاني بالاتفاق.

***

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأنْ يقصدَ قتلَه بنيتِهِ وفعلِه مع علمِه بإيمانِه.

---

(١) «دية»: زيادة من «ن».

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ نزلَتْ في مِقْيَسِ بنِ صبابةَ، وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار، ولم يظهرْ قاتله، فأمرَهُم رسولُ الله ﷺ أن يدفعوا إليه ديتَهُ، فدفعوا إليه، ثم حملَ على مسلمٍ فقتلَه، ورجعَ إلى مكةَ مرتدّاً[1].

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ طردَهُ عن الرحمةِ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

واختلفَ في قبولِ توبةِ القاتلِ، فجماعةٌ على أن لا تقبلَ توبتُه، والذي عليه الجمهورُ، وهو مذهبُ أهلِ السنَّةِ: أنَّ قاتلَ المسلمِ عمداً توبتُه مقبولةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً، دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2]، ويحملون الآيةَ على من قَتَلَ مؤمناً مستحِلاً لقتلِه ولم يتبْ.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢١٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ١٠٣٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٢٣).

(٢) تقدم تخريجه.

[٩٤] ونزل في أسامةَ بنِ زيدٍ لما وُجِّهَ في سريَّةٍ، فسمعَ رجلاً يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، السلامُ عليكم، فقتلَهُ واستاقَ غنمَهُ، ورجعَ إلى النبيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ﴾(١) سافرتُم للجهادِ.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ تأمَّلُوا. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَتَثَبَّتُوا) في الحرفين؛ من الثباتِ والتأنِّي، وقرأ الباقون: [بالياء والنون من التبيُّن، وهو التأمُّلُ(٢).

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ وهو تحية الإسلام. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ: (السَّلَمَ) بغير ألفٍ، وهو المفاداةُ، وهو قولُ لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله. وقرأ الباقونَ](٣) بالأول(٤)؛ أي: إذا رأيتم أَمارةً ظاهرةً على إسلامِ شخصٍ، فلا تقتلوه، ولا تقولوا:

﴿لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ إنما تفعلُ هذا تقيَّةً لحفظِ مالك ونفسِكَ. قرأ أبو جعفر بخلافٍ عنه (مُوْمِناً) بإسكانِ الواو بغير همز(٥).

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٣١٥)، و«صحيح مسلم» (٣٠٢٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٤-٣٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٤).

(٣) من قوله: «بالياء والنون» إلى قوله: «وقرأ الباقون» ساقط من «ت».

(٤) المصادر السابقة.

(٥) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٩١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٥).

﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ منافعَها.

﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي: غنائمُ.

﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ تكتمون إيمانكم من المشركين.

﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالهدايةِ وإظهارِ الإسلام، ورُوِيَ أنه ﷺ قال: «أَقَتَلْتُمُوهُ إِرَادَةَ مَا مَعَهُ؟»، ووجدَ عليه، فقالَ أسامة: استغفرْ لي يا رسولَ الله، فقال: «فكيفَ بلا إلهَ إلا اللهُ؟» مراراً، قال أسامة: فوددْتُ أني لم أكنْ أسلمتُ إلا يومئذٍ»[(١)]. قرأ أبو عمرٍو: (كَذَلِك كُّنْتُمْ) بإدغام الكاف في الكاف.

﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ أن تقتلوا مؤمناً خطأً، كرَّرها تأكيداً وزجراً عن الإقدامِ على القتل.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ عالماً به، فلا تُقدموا على القتلِ، واحتاطوا فيه.

* * *

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ عن الجهادِ. نزلتْ في فضلِ

---

(١) رواه مسلم (٩٧)، كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.

الجهادِ والحثِّ عليه، فلما سمعَ ابنُ أمِّ مكتومٍ ـ وكانَ أعمى ـ النبيَّ ﷺ يُمليها على زيدِ بنِ ثابتٍ قال: «يا رسولَ اللهِ! لو استطعتُ الجهادَ لجاهدْتُ» فنزل:

﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[1] أي: المرض؛ من عمًى وغيره. قرأ نافعٌ وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ (غَيْرَ) بنصبِ الراء؛ أي: إلا أولي الضرر، وقرأ الباقون: برفع الراء على نعتِ (القاعِدون)[2]، يريدُ: لا يستوي القاعدونَ الذين هم غيرُ أولي الضرر.

﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي: لا مساواةَ بينهم وبينَ من قعدَ عن الجهاد من غيرِ عذرٍ.

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ للعذرِ.

﴿دَرَجَةً﴾ فضيلةً؛ لأن المجاهدَ مباشِرٌ مع النية، والقاعدَ له نيةٌ، ولكن لم يباشرْ، فنزلوا عنهم بدرجةٍ.

﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنةُ.

﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ مطلقاً.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . .﴾ عن سهل بن سعد، ومسلم (١٨٩٨)، كتاب: الإمارة، باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، عن البراء.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٥).

﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ بعذرٍ وغيره.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: أَجَرهم أجراً عظيماً.

***

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ نصبٌ بدلٌ من ﴿أجراً﴾.

﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ عطفٌ على درجات.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَا أَبَا سَعِيدٍ! مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» فعجبَ بها أبو سعيدٍ، قال: أَعِدْها عليَّ يا رسولَ اللهِ، ففعلَ، قالَ رسول الله ﷺ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا الْعَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَابَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» فقال: وما هي يا رسولَ الله؟ قال: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِما(٢) عساه يفرطُ منهم.

﴿رَّحِيمًا﴾ بما وعدَ لهم.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٤)، كتاب: الإمارة، باب: بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات.

(٢) في «ن»: «لمن».

مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧)﴾.

[٩٧] ونزلَ في أُناسٍ من مكةَ أسلموا ولم يهاجروا حينَ كانتِ الهجرةُ واجبةً، فلما خرجَ المشركونَ إلى بدرٍ، خرجوا معهم، فقُتلوا مع الكفار:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: ملكُ الموتِ وأعوانهُ.

﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بتركِ الهجرةِ وموافقةِ الكفرةِ. قرأ أبو عمرٍو: (الملائكَة ظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بإدغام التاء في الظاء[1]، وقرأ البزي: (إِنَّ الَّذِين تَّوَفَّاهُمُ) بتشديد التاء حالةَ الوصل[2].

﴿قَالُوا﴾ أي: الملائكةُ توبيخاً لهم:

﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أيِّ شيءٍ كنتُم من أمرِ دينِكم.

﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزينَ عن الهجرةِ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مكةَ.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكةُ؛ تكذيباً[3] لهم.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ في الرزقِ.

﴿فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ إلى قطر آخرَ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٦).

(٢) وهي قراءة البزي، كما في «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٦).

(٣) في «ن»: «توبيخاً».

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ لتركِهم الواجبَ.

﴿ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي: بئسَ المصيرُ إلى جهنمَ.

* * *

﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ثم استثنى أهلَ العذرِ منهم فقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ أي: هم عاجزون[١] عن الهجرةِ؛ لضعفِهم وفقرِهم ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج.

* * *

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ و(عسى) من اللهِ واجب؛ لأنه للإطماع.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: كنتُ أنا وأُمي ممَّنْ عذرَ اللهُ[٢]؛ يعني: من المستضعفينَ، وكانَ رسولُ اللهِ يدعو لهؤلاءِ المستضعفينَ في الصلاة.

* * *

---

(١) في «ن»: «حاجزين».

(٢) رواه البخاري (٤٣١١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ..﴾.

﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا ﴾ مُتحَوَّلاً و مُهاجَراً.

﴿ كَثِيرًا ﴾ المعنى: مكاناً يتحول به على رغمِ أنفِهم، وأصلُ الرَّغْمِ: لصوقُ الأنفِ بالرّغامِ ذُلاًّ، وهو الترابُ.

﴿ وَسَعَةً ﴾ في الرزقِ، فلما سمعَ جُنْدَعُ بنُ ضَمْرةَ هذه الآيةَ، وكان شيخاً كبيراً، خرجَ من مكةَ محمولاً على سريرِه مهاجِراً إلى المدينة، فماتَ في الطريقِ، فقالَ بعضُ المسلمينَ: لو وصلَ إلى المدينةِ، لكانَ أتمَّ أجراً، وضحكَ المشركون، وقالوا: ما أدركَ هذا ما طلبَ، فنزل:

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾[١] قبلَ بلوغِه مُهاجَرَهُ.

﴿ فَقَدْ وَقَعَ ﴾ أي: وجبَ.

﴿ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بإيجابِه على نفسِه فضلاً منه سبحانه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لِما كانَ منه في الشِّركِ.

﴿ رَّحِيمًا ﴾ حينَ قبلَ توبتَهُ؛ فعندَ الإمامِ أحمدَ والأكثر: لا يجبُ على اللهِ شيءٌ، لا عقلاً، ولا شرعاً، وقال جمعٌ: يجبُ عليه شرعاً بفضلِه وكرمِه، وحكي عن أهلِ السُّنةِ، وعندَ المعتزلة يجبُ عليه رعايةُ الأصلحِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٨)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (١/ ٥١٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٥٣).

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافَرْتُم.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سفراً يبيحُ القصرَ، وهو مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ بسيرِ الإبلِ ومشيِ الأقدام عند أبي حنيفةَ، ومسيرةُ يومين قاصِدَينِ، وهو ستةَ عشرَ فرسخاً أربعةُ بُرُدٍ عندَ الثلاثةِ.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرجٌ ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ بأن تردُّوها من أربعٍ إلى اثنتين، وذلك في الظهرِ والعصرِ والعشاءِ، وهو عزيمةٌ عندَ أبي حنيفةَ، وشدَّد فيه حتى قَال: إذا صلَّى الظهرَ أربعاً، ولم يجلسْ بعدَ الركعتين، بطلَ ظُهره، وإن قعدَ(١) في الثانية، أجزأتْهُ اثنتانِ عن الفرضِ، وركعتانِ عن النافلةِ، وقال الثلاثةُ: هو رخصةٌ، واتفقوا على أن القصرَ أفضلُ من الإتمام، وعلى أن المغربَ والصبحَ لا يقصران، واختلفوا في سفرِ المعصيةِ هل يبيحُ الرخصَ الشرعيةَ من القصرِ وغيرِه؟(٢) فقال أبو حنيفةَ: يبيحُ، وقال الثلاثة: لا يبيحُ، وتقدَّم نظيرُ ذلك في سورة البقرة عندَ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: ١٧٣].

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: يقتلَكُم وينالَكم بما تكرهونَ.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فظاهرُ الآيةِ: لا يجوزُ القصرُ إلا عندَ الخوفِ، وليسَ كذلكَ، بل الصحيحُ أن الخوفَ ليسَ بشرطٍ بالاتفاق؛ لأن النبيَّ ﷺ سافرَ

---

(١) في «ن»: «قعده».

(٢) «من القصر وغيره» ساقطة من «ت».

بينَ مكةَ والمدينةِ لا يخافُ إلا اللهَ، فكان يصلِّي ركعتين، وقد سألَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه النبيَّ ﷺ عن قولِه تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فقدْ أَمِنَ الناسُ، فقال ﷺ: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا[1] عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»[2].

﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

***

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢)﴾.

[١٠٢] عن ابنِ عباسٍ وجابرٍ: أنَّ المشركينَ لما رأَوا رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه قامُوا إلى الظُّهرِ يصلُّونَ جميعاً، ندموا ألاَّ كانوا أَكَبُّوا عليهم، فقالَ بعضُهم لبعضٍ: دَعوهُم؛ فإنَّ لهم بعدَها صلاةً هي أحبُّ إليهم من آبائِهم وأبنائِهم، يعني: صلاةَ العصر، فإذا قاموا إليها، فشدُّوا عليهم فاقتلوهم،

---

(١) في «ن»: «تصدق بها الله».

(٢) رواه مسلم (٦٨٦)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة المسافرين وقصرها.

فنزلَ جبريلُ عليه السلام فقالَ: يا محمدُ! إنها صلاةُ الخوفِ، وإن الله[1] عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فعلَّمه صلاةَ الخوفِ، وكان نزولُ الآيةِ بينَ الظهرِ والعصرِ[2].

قال الإمامُ أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه: صحَّ عن النبيِّ ﷺ صلاةُ الخوفِ من خمسةِ أوجهٍ أو ستةٍ، كلُّ ذلك جائزٌ لمنْ فعَلَهُ[3]، فمنْ ذلكَ:

إذا كان العدوُّ في جهةِ القِبلَةِ، صَفَّ الإمامُ المسلمينَ خلفَه صَفَّينِ، فصلَّى بهم جميعاً إلى أن يسجدَ، فيسجدُ معه الصفُّ الذي يليه، ويحرسُ الآخَرُ حتى يقومَ الإمامُ إلى الثانيةِ، فيسجدُ ويلحقُه، فإذا سجدَ في الثانيةِ، سجدَ معه الصفُّ الذي حرسَ أولاً[4]، وحرسَ الآخرُ حتى يجلسَ في التشهُّدِ، فيسجدُ ويلحقُه، فيتشهَّدُ ويسلِّمُ بهم، وهذهِ صلاةُ رسولِ اللهِ ﷺ بعسفانَ.

الوجه الثاني: إذا كانَ العدوُّ في غيرِ جهةِ القبلةِ، جعلَ طائفةً حذاءَ العدوِّ، وطائفةً تصلِّي معه ركعةً، فإذا قاموا إلى الثانيةِ، ثبتَ قائماً، وأتمتْ لأنفسِها أخرى، وسلمتْ ومضت إلى العدو، وجاءت الطائفةُ الأخرى

---

(١) في «ن»: «إن ربك».

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (٨٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٨٨).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (٢/ ١٣٨).

(٤) «أولاً»: زيادة من «ن».

فصلَّت معه الركعةَ الثانيةَ، فإذا جلسَ للتشهدِ، أتمت لأنفسِها أخرى، وتشهدتْ، وسلَّم بهم.

فإن كانت الصلاةُ مغرِباً صلَّى بالأولى ركعتين، وبالثانيةِ ركعةً، وإن كانت رباعيةً غيرَ مقصورةٍ، صلَّى بكلِّ طائفةٍ ركعتين، وأتمتِ الأولى بالحمدُ لله في كلِّ ركعةٍ، والأخرى تتمُّ بالحمدُ لله وسورةٍ، وتفارقُه الأولى عندَ فراغِ التشهدِ، وينتظر الإمامُ الطائفةَ الثانيةَ جالساً، يكررُ التشهدَ، فإذا أتتْ، قامَ، وهذه صلاةُ رسولِ الله ﷺ بذاتِ الرقاع، وهي عندَ الشافعيِّ أفضلُ من صلاتِه ببطنِ نَخْلٍ على ما يأتي، وإلى هذا الوجهِ ذهبَ مالكٌ.

الوجه الثالث: أن يصلِّي بطائفةٍ ركعةً، ثم تمضي إلى العدو، وتأتي الأخرى فيصلِّي بها ركعةً، ويسلِّم وحدَه، وتمضي هي، ثم تأتي الأولى فتتمُّ صلاتَها، ثم تأتي الأخرى فتممُّ صلاتها، وهذا الوجهُ مذهبُ أبي حنيفة.

الوجه الرابع: أن يصلي بكلِّ طائفةٍ صلاةً، ويسلِّم بها، وهذه صلاةُ رسولِ الله ﷺ ببطنِ نخلٍ.

الوجه الخامس: أن يصلي الرباعيةَ المقصورةَ تامةً، وتصلي معه كلُّ طائفة ركعتين، ولا تقضي شيئاً، فتكون له تامةً، ولهم مقصورةً.

واتفقوا على أن صلاةَ الخوفِ في الحضر أربعُ ركعاتٍ غير مقصورة، وفي السفر ركعتان إذا كانت رباعيةً، وغيرُ الرباعية على عددها، لا يختلف حكمُها حضراً ولا سفراً ولا خوفاً.

فإذا اشتدَّ الخوفُ، صلَّوا رجالاً وركباناً، إلى القبلةِ وغيرها يومئون بالركوعِ والسجودِ على قدرِ الطاقةِ، ويجعلون السجودَ أخفضَ من الركوع،

وبذلكَ قالَ الأئمةُ الثلاثةُ، وقال أبو حنيفةَ: لا يصلي ماشياً ولا مُسايِفاً إذا لم يمكن الوقوفُ، ووافقهم على جواز الصلاةِ راكباً، والإيماءِ إلى أيِّ جهةٍ قدرَ.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ يا محمدُ حاضراً في أصحابك.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تقدَّمَ مذهبُ ورشٍ في تغليظِ لامِ (الصَّلاَة).

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ مصليةً، وطائفةٌ وِجاهَ العدوِّ.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟﴾ أي: غيرُ المصلين.

﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ وقيل: المرادُ: المصلُّونَ والآيةُ تتناول الكلَّ، ولكنَّ سلاحَ المصلِّين ما خفَّ مما لا يشغلُه عن الصلاة.

﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ أي: المصلُّون معك.

﴿فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ مكانَ الذين هم وِجاهَ العدوِّ.

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟﴾ وهمُ الذين في وجهِ العدوِّ.

﴿فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟﴾ أي: الآتون، وقيل: المصلُّون.

﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعلَ الحذرَ آلةً يتحصَّنُ بها الغازي مع الأسلحةِ.

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يتمنى الكفارُ.

﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ فيقصدونَكُم، ويحملونَ عليكم حملةً واحدةً، ورَخَّصَ لهم في تركِ السلاحِ للعذر فقال:

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثمَ.

﴿ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ﴾ لأن السلاحَ يثقلُ حملُه في هاتين الحالتينِ.

﴿ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ﴾ كيلا يهجُم عليكم العدوُّ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ يُهانون فيه.

* * *

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فَرَغتم من صلاةِ الخوفِ.

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بالتسبيحِ والتهليلِ.

﴿ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ أي: اذكروه في هذهِ الأحوالِ.

﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ ﴾ أي: أَمِنْتُمْ.

﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ﴾ أَتِمُّوها بأركانِها وشروطِها.

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ واجباً مفروضاً.

* * *

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ولما رجعَ أبو سفيانَ وأصحابُه يومَ أُحدٍ بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ

طائفةٌ في آثارهم، فشَكَوا ألمَ الجراحاتِ، فنزل قولُه تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ ﴾[1] تَضْعُفوا في.

﴿ ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ في طلبِ الكفارِ.

﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ ﴾ تتوجَّعونَ من الجراحِ.

﴿ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ أي: ذلكَ مشترَكٌ بينكم وبينهم.

﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من الثوابَ.

﴿ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ لأنهم لا يؤمنونَ بالبعثِ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بأعمالِكم.

﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما يأمر وينهى.

* * *

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالحدودِ والأحكامِ.

﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ بما علَّمك وأوحى إليك. نزلتْ هذه الآيةُ في طُعْمَةَ بنِ أُبَيْرِقٍ الأنصاريِّ، سرقَ درعاً من قَتَادَةَ بنِ النعمان، وخبأَها عندَ زيدٍ السَّمينِ اليهوديِّ، ثم حلفَ أنه ما سرقَ شيئاً، وظهرتِ الدرعُ عند اليهوديِّ، فقال اليهوديُّ: دفعها إليَّ طعمةُ، فهمَّ النبيُّ ﷺ أن يقطعَ يدَ اليهوديِّ، فنزلت الآية[2].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٦٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٦٧)، و«المستدرك» للحاكم (٤/ ٤٢٧)، و«أسباب=

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ طعمةَ وكلِّ خائنٍ .

﴿خَصِيمًا﴾ مخاصِماً عنهم .

* * *

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ .

[١٠٦] ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممتَ به من معاقبةِ اليهوديِّ .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لمن يستغفرُه .

* * *

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ .

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ﴾ تخاصِمْ .

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ هم طعمةُ وقومُه .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ في الدرع .

﴿أَثِيمًا﴾ في رميهِ اليهوديَّ ، والخطابُ مع النبيِّ ﷺ والمرادُ غيرُه .

* * *

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ .

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترونَ حياء .

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وأصلُه : طلبُ الخفاءِ .

= النزول» للواحدي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩٥).

﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ لعلمِه لا يخفى عليه سرُّهم.

﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾ يُدبِّرون ليلاً.

﴿ مَا لَا يَرْضَىٰ ﴾ اللهُ.

﴿ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وهو حَلْفُ طعمةَ أنه ما سرقَ شيئاً، وذلك أنَّ قومَ طعمةَ قالوا فيما بينَهم: نرفعُ الأمرَ إلى النبيِّ ﷺ، فإنه يسمعُ[1] قولَه ويمينه؛ لأنه مُسلمٌ، ولا يسمعُ من اليهوديِّ؛ لأنه كافرٌ، فلم يرضَ الله تعالى منه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ لا يفوتُ عنه شيء.

* * *

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ يا قومَ طعمةَ مبتدأ، خبرُه:

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وتقدم في سورة آل عمران اختلافُ القراء[2] في قولِه تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾.

﴿ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ خاصمتُم عن الخائنين.

﴿ فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ﴾ إذا عُذِّبوا.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ محامياً عنهم.

* * *

---

(١) في «ن»: «يستمع».

(٢) «القراء» ساقطة من «ن».

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ يعني: السرقةَ.

﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ بما يختصُّ به ولا يتعدَّاهُ بما دونَ الشِّركِ.

﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ يتوبُ إليه.

﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فيه حثٌّ لطعمةَ وقومِه على التوبةِ والاستغفارِ.

***

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ ﴾ فلا يتعداهُ وبالُهُ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بفعلِهِ.

﴿ حَكِيمًا ﴾ في مجازاتِه.

***

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾ هي سرقةُ الدرعِ.

﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾ ذنباً، وهو يمينُه الكاذبةُ.

﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ ﴾ أي: بالإثمِ.

﴿ بَرِيٓـًٔا ﴾ وهو نسبةُ السرقةِ لليهوديِّ .

﴿ فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ ﴾ أي : تحمل .

﴿ بُهۡتَٰنٗا ﴾ أصلُه كلُّ ما يَبْهَتُ له الإنسانُ من ذنبٍ وغيره .

﴿ وَإِثۡمٗا ﴾ ذنباً .

﴿ مُّبِينٗا ﴾ ظاهراً .

* * *

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾ .

[١١٣] ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ يا محمدُ؛ بإعلامِ ما هم عليه بالوحي .

﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ يعني : قومَ طعمةَ .

﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن الحقِّ ، مع علمِهم بالحال .

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ لأن وبالَ أفعالِهم راجعٌ عليهم .

﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ لأن الله يعصمُك منهم .

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ .

﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ القضاءَ بالوحي .

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ من الأحكامِ والغيبِ[1].

﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ إذ لا فضلَ أعظمُ من النبوَّةِ.

***

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴾.

[١١٤] ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ أي: تَناجِيهم فيما يديرونه بينهم. قرأ حمزةُ: (لا خَيْرَ) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغ الإشباعَ.

﴿ إِلَّا ﴾ أي: إلا نجوى.

﴿ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ أي: حثَّ عليها إن لم يكنْ له مالٌ.

﴿ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ وهو كلُّ ما يستحسنُه الشرعُ، ولا ينكرُه العقلُ، وجميعُ أعمالِ البرِّ معروف.

﴿ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ قال ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ؟»، قيل: بلى، قال: «إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»[2] الَّتِي تَحْلِقُ الدِّينَ لاَ الشَّعْرَ.

---

(١) في «ن»: «بالغيب».

(٢) رواه أبو داود (٤٩١٩)، كتاب: الأدب، باب: في إصلاح ذات البين، والترمذي (٢٥٠٩)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٥٦)، وقال: صحيح، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورَ.

﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾ أي: طلبَ.

﴿ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: رضاه. قرأ الكسائيُّ (مَرْضَاتِ) بالإمالة، ووقف عليها بالهاء حيثُ وقع[1].

﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ (يُؤْتِيهِ) بالياء؛ يعني: يؤتيهِ اللهُ، وقرأ الباقونَ: (نُؤْتِيهِ) بالنون[2].

***

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾.

[١١٥] ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ﴾ أي: يخالفِ[3].

﴿ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ من بعد وضوحِ الدليلِ.

﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ﴾ أي: طريقِ.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهو الإسلامُ.

﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ نَكِلْهُ إلى ما اختارَ من الكفرِ في الدنيا. قرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، وحمزةُ: (نُوَلِّهْ) و(نُصْلِهْ) بسكون الهاء، واختلفَ عن

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦١).

(٣) «أي: يخالف» ساقطة من «ن».

أبي جعفرٍ، وقرأ[1] قالونُ، ويعقوبُ: بكسر الهاء من غير صلتِها، واختلفَ عن هشامٍ وأبي جعفرٍ، والباقونَ: بصلتها بخلافٍ عن هشامٍ[2].

﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ في العُقْبى.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ نزلتْ في طعمةَ، وذلك أنه لما ظهرتْ عليه السرقةُ، خافَ من قطعِ اليدِ والفضيحةِ، فهربَ إلى مكةَ وارتدَّ، ونقبَ حائطاً بها ليسرقَ أهلَها، فسقطَ الحائطُ عليه فقتلَه.

***

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ بَعُدَتْ غايتُه عن كلِّ خيرٍ، فلا يُرجى له الفلاحُ.

عن ابن عباسٍ: «أنَّ هذهِ الآيةَ نزلتْ في شيخٍ من الأحزابِ جاء إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله! إني شيخٌ منهمكٌ في الذنوب، إلا أني لا أشركُ بالله شيئاً منذُ عرفتُه وآمنتُ به، ولم أتخذْ من دونِه أولياءَ، ولم أواقعِ المعاصيَ جرأةً على الله، وما توهَّمْتُ طرفةَ عينٍ أني أُعجِزُ الله هَرَباً،

---

(١) «وقرأ» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٢)، و «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٢).

وإني لنادمٌ تائبٌ مستغفرٌ، فما حالي، فأنزلَ الله الآيةَ»[1].

* * *

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ونزلَ في أهلِ مكَّةَ.

﴿إِن يَدْعُونَ﴾ أي: ما يعبدون.

﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: من دون الله.

﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ يعني: الأوثانَ، وكانوا يسمُّونها باسمِ الإناثِ، كمناةَ واللاتِ والعُزَّى.

﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ خارجاً عن الطاعةِ، وهو إبليسُ.

* * *

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾.

[١١٨] ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده اللهُ من رحمتِه.

﴿وَقَالَ﴾ إبليسُ.

﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أي: حظاً معلوماً؛ أي: طائفةً أنهم يطيعوني.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٩٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣٦٠).

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ عن الحقِّ.

﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أُلقي في أمانيّهم ركوبَ الأهواء.

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ﴾ يقطِّعُنَّ.

﴿ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ يعني: البَحائرَ؛ لأنهم كانوا يشقُّون آذنَ الناقةِ إذا ولدَتْ خمسةَ أَبْطُنٍ، وجاء الخامسُ ذكراً، ويحرِّمونَ الانتفاع بها.

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ ﴾ ليبدِّلُنَّ.

﴿ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ بالخِصاءِ ونتفِ اللحيةِ والوَشْم ونحوِها.

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا ﴾ أي: رباً.

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يطيعُه.

﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ أي: نقصَ نفسَه، وعيَّبَها؛ بأن أعطى الشيطانَ حقَّ اللهِ تعالى فيه، وتركَه من أجلِه.

* * *

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ يَعِدُهُمْ ﴾ ما لا ينجزُ، وهو طولُ العمرِ.

﴿ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ ﴾ ما لا ينالونَ من الدنيا.

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطلاً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ١٢١﴾ .

[١٢١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ مفرّاً .

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ١٢٢﴾ .

[١٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت غرفِها ومساكِنها.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصبٌ مصدرٌ مؤكَّدٌ.

﴿حَقًّا﴾ حالٌ من (وعد الله).

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

* * *

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٢٣﴾ .

[١٢٣] ولما افتخرَ اليهودُ والنصارى، وقالوا للمسلمين: نبيُّنا قبلَ نبيِّكم، وكتابُنا قبلَ كتابِكم، فنحن أَوْلى بالله منكم، فقال المسلمون: نبيُّنا خاتمُ الأنبياء، وكتابنا يقضي على الكتبِ، وقد آمنَّا بكتابِكم، ولم تؤمنوا بكتابِنا، فنحن أَوْلى بالله منكم، فنزل قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾(١) أيُّها المسلمونَ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/٢٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٠)، =

﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ والأمانيُّ: هي ما يَتَشهَّاهُ المرءُ ويُطمِعُ نفسَه فيه؛ أي: ثوابُ الله لا يُنال بالأماني، وإنما الأمرُ بالعمل الصالح. قرأ أبو جعفرٍ: (بِأَمَانِيكُمْ وَلاَ أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ) بسكونِ الياءِ من غيرِ تشديد[1].

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا﴾ مبتدأٌ، وهو شرطٌ جوابُه:

﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾ عاجلاً أو آجلاً.

وهذه الآية عامة في حقِّ كلِّ عاملٍ، فأما مجازاةُ الكافرِ، فالنارُ، وأما المؤمنُ، فنكباتُ الدنيا، قال أبو بكر رضي الله عنه: لما نزلَتْ ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ قلتُ: يا رسولَ الله! ما أشدَّ هذهِ الآيةَ! فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! أَمَا تَحْزَنُ، أَمَا تَمْرَضُ، أَمَا تُصِيبُكَ اللأْوَاءُ؟ فَهَذَا بِذَلِكَ»[2].

﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ يواليه.

﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ ينصُره في دفعِ العذابِ.

وفي قولِه تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: ما تَزْرَعْ تَحْصُدْ.

* * *

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦٠١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٩٤).

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧-٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٥٠).

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾.

[١٢٤] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بعضها وشيئاً منها، فإن كلَّ أحدٍ لا يتمكَّن من كلِّها، وليس مكلَّفاً بها.

﴿ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ، ورَوْحٌ: (يُدْخَلُونَ) بضمِّ الياءِ وفتحِ الخاء، وقرأ الباقونَ: بفتح الياء وضمِّ الخاء[1].

﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: لا ينقصُ شيءٌ من ثوابِهم.

﴿ نَقِيرًا ﴾ هو النقطةُ التي تكونُ على ظهر النواةِ، ومنها تنبتُ النخلةُ.

* * *

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

[١٢٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ ﴾ أي: أحكمُ.

﴿ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي: أخلصَ عملَه لله.

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ موحِّدٌ.

﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ دينَهُ.

﴿ حَنِيفًا ﴾ حالٌ مِنْ ﴿ وَٱتَّبَعَ ﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٦).

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشامٌ: (أبراهامَ) بالألفِ في الحرفينِ[1].

﴿ خَلِيلًا ﴾ والخليلُ: الذي ليسَ في محبته خَلَلٌ، والخُلَّةُ: الصداقةُ؛ لأن الله أحبَّه واصطفاه، قال ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً، لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّ أَبا بَكْرٍ أَخِي، وَصَاحِبِي، وَلَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً»[2].

***

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾.

[١٢٦] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ خلْقاً ومُلْكاً، يختارُ منها من يشاءُ وما يشاءُ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ مُّحِيطًا ﴾ إحاطةَ علمٍ وقدرةٍ.

***

﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾ يستخبرونَكَ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١، ٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٦).

(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ قرأ يعقوبُ: (فِيهُنَّ) بضمِّ الهاء.

﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ويُفتيكم فيما يُتلى عليكم.

﴿ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ أي: تعطوهُنَّ.

﴿ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الصَّداقِ والميراثِ.

﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ أي: عن أن تنكحوهنَّ؛ فإن أولياءَ اليتامى كانوا يرغبون فيهنَّ إنْ كُنَّ جميلاتٍ، ويأكلونَ مالهنَّ، وإن كانتْ مرغوبةً عنها في قلةِ المالِ والجمالِ، تركَها، وفي رواية: «هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ قَدْ شركَتْهُ في مالِهِ، فَيَرْغَبُ عَنْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا لِدَمَامَتِهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا غَيْرَهُ، فَيَدْخُلَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، فَيَحْبِسُهَا حَتَّى تَمُوتَ، فَيَرِثُهَا»، فنهاهم اللهُ عن ذلك(١).

﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: ويفتيكُم في المستضعفينَ.

﴿ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ أن تعطوهُم حقَّهم، وكانوا لا يُوَرِّثون إلا الرجالَ دون النساءِ والأطفالِ.

﴿ وَأَن تَقُومُوا۟﴾ أي: ويُفتيكم أن تقوموا.

﴿ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ﴾ بالعدلِ في إيتائهنَّ مهورَهُنَّ.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ يجازيكم عليه.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٨)، كتاب: النكاح، باب: إذا كان الولي هو الخاطب، ومسلم (٣٠١٨)، في أول كتاب: التفسير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.

[١٢٨] ونزلَ في أمرِ المرأةِ التي تكونُ ذاتَ سِنٍّ وذمامةٍ، أو نحو ذلك مما يرغِّبُ زوجَها، عنها فيذهبُ الزوجُ إلى طلاقِها، أو[1] إلى إيثارِ شابَّةٍ عليها، ونحو هذا مما يقصدُ به صلاحَ نفسِه، ولا يضرُّها هي ضِراراً يلزمُه إياها، بل يعرضُ عليها الفُرقةَ، أو الصبرَ على الأثرةِ، فتريدُ هي بقاءَ العصمةِ، فهذه التي أباحَ اللهُ تعالى بينَهما الصلحَ، ورفع الجناحَ فيه؛ إذ الجناحُ في كلِّ صلحٍ يكونُ عن ضررٍ من الزوجِ يفعلُه حتى تصالحَهُ، وأباحَ اللهُ الصلحَ مع الخوفِ وظُهورِ علاماتِ النشوزِ والإعراضِ، وهو مع وقوعِها مباحٌ أيضاً، فقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ﴾[2] توقَّعْت.

﴿مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ بُغْضاً.

﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بوجْهِهِ وقلةِ نفقتِه والتفاتِه إليها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا﴾. قرأ حمزةُ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يُصْلِحَا) بضمِّ الياء وكسر اللام مخفَّفاً من أصلحَ، وقرأ الباقون: بفتحِ الياء وتشديدِ الصاد مع فتحها، وبعد الصاد ألفٌ بعدَها لامٌ مفتوحة[3].

---

(١) في «ن»: «و».

(٢) رواه البخاري (٢٣١٨)، كتاب: المظالم، باب: إذا حلله من ظلمه فلا رجوع فيه، ومسلم (٣٠٢١)، في أول كتاب: التفسير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٠٦).

﴿ بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ مصدرٌ[1]، واصطلاحُهما: أن يتوافقَا على ما تطيبُ بها أنفسُهما؛ بأن يتركَ أحدُهما شيئاً مما يستحقُّه على صاحبِه؛ طلباً لصحبتِه.

﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ من الفُرقةِ والنشوز.

﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ المعنى: إن النفوسَ قد جُبلت على الشحِّ، فهي حاضرتُه لا تفارقُه أبداً؛ لأن كلَّ واحدٍ من الزوجين يُغَلِّبُ ما فيه راحتُه، والشحُّ: الإفراطُ في البخلِ.

﴿ وَإِن تُحْسِنُوا۟ ﴾ العشرةَ.

﴿ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ الفُرقةَ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من الإحسانِ بالخصومةِ.

﴿ خَبِيرًا ﴾ عليماً به، والصلحُ: هو التوفيقُ والسَّلْمُ، فيكون بين مسلمينَ وأهلِ حربٍ، وبين أهلِ بغيٍ وعدلٍ، وبين زوجين إذا خيفَ الشقاقُ بينهما، أو خافتِ امرأةٌ إعراضَ زوجِها عنها، وبين متخاصِمَيْنِ في غيرِ مالٍ، وفي مال عبارةٌ عن معاقدةٍ يُتَوَصَّلُ بها إلى موافقةٍ بين مختلفين، وهو عقدٌ يرفعُ النزاعَ، وأصلُه من الصَّلاحِ، وهو ضِدُّ الفسادِ، ومعناه دالٌّ على حسنِهِ الذاتيِّ؛ بدليلِ ما نطقَ به الكتابُ العزيزُ.

واختلفَ الأئمةُ في حكمِه بينَ متخاصِمَيْنِ في مالٍ، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يصحُّ مع الإقرارِ والإنكارِ والسكوتِ، وعند مالكٍ يصحُّ مع الإنكارِ والسكوتِ، ويجوز على الافتداءِ من اليمينِ بمالٍ، وعند الشافعيِّ يصحُّ مع الإقرارِ فقط.

---

(١) في «ن»: «مصدراً».

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾.

[١٢٩] ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ في القَسْمِ والنفقةِ وميلِ القلبِ.

﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ على العدلِ، والحرصُ: شدةُ الإرادةِ.

﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ ﴾ إلى التي تحبونها.

﴿ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ في القسمةِ والنفقةِ باتِّباع أهوائِكم.

﴿ فَتَذَرُوهَا ﴾ أي: فتدعُوا الأخرى.

﴿ كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ التي ليستْ أيِّماً، ولا ذاتَ بعلٍ، كان ﷺ يقسمُ بينَ نسائه ويقول: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ»(١) يعني: حبَّهُ عائشةَ رضي الله عنها، وقال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢١٣٤)، كتاب: النكاح، باب: في القسم بين النساء، والنسائي (٣٨٤٣)، كتاب: عشرة النساء، باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، والترمذي (١١٤٠)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، وابن ماجه (١٩٧١)، كتاب: النكاح، باب: القسمة بين النساء، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٣)، كتاب: النكاح، باب، في القسم بين النساء، والترمذي (١١٤١)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ ما مضى من الميلِ عنها.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجوْرَ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفرُ لكم ما مضى من مَيْلكم.

***

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ١٣٠﴾.

[١٣٠] ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزوجانِ.

﴿يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ أي: كلَّ واحدٍ منهما.

﴿مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾ رزقِهِ؛ بأن تتزوَّجَ غيرَه، ويتزوَّجَ غيرَها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ أي: واسعَ الفضلِ.

﴿حَكِيمًا﴾ في القولِ والفعلِ.

ويجبُ على الرجلِ التسويةُ في القَسْمِ والنفقةِ، ويعصي بتركِه، وعليهِ القضاءُ للمظلومةِ، ولا يلزمُ التسويةُ في الجِماع، بالاتفاق؛ لأنه يدورُ على النشاط، وليسَ ذلكَ إليه، وإذا كان في نكاحه حرةٌ وأمةٌ، قسمَ للحرةِ ليلتينِ، وللأمةِ ليلةً عندَ الثلاثة، وقال مالكٌ في المشهور عنه: القسمُ بينَهما سواء، وإذا تزوَّجَ بِكْراً وله نساءٌ سواها، أقامَ عندَها سَبْعاً، ثم دارَ، وإن كانتْ ثيِّباً، أقامَ ثلاثاً، وبه قالَ الأئمةُ الثلاثةُ، وقال أبو حنيفةَ: لا يفضِّلُ الجديدةَ في القسم، بل يسوِّي بينَها وبينَ مَنْ عندَه.

***

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) ﴾ .

[١٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ تنبيهٌ على كمالِ سَعَته وقدرتِه.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني: التوراةَ والإنجيلَ وسائرَ الكتبِ المتقدمةِ في كتبِهم.

﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ يا أهلَ القرآنِ في كتابِكم.

﴿ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ أطيعوه.

﴿ وَإِن تَكْفُرُواْ ﴾ بما وُصِّيتُم به.

﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ من الملائكةِ وغيرِهم، فهم أطوعُ منكم.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا ﴾ عن الخلقِ وعبادتِهم ﴿ حَمِيدًا ﴾ محموداً على نِعَمِهِ.

***

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) ﴾ .

[١٣٢] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مُجيراً، فلا تتوكَّلوا على غيرِه.

***

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

[١٣٣] ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي : يُعْدِمْكم ، تهديدٌ للكفارِ .

﴿ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴾ يوجِدْ غيرَكم أطوعَ له منكُم .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ على الإعدامِ والإيجادِ .

﴿ قَدِيرًا ﴾ لا يُعجِزه مُرادٌ .

***

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

[١٣٤] ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ حُطامُها .

﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ فمَنْ أرادَ بعملِه عَرَضاً من الدنيا، آتاه اللهُ ما أراد، وليس له في الآخرة من ثوابٍ، ومن أرادَ ثوابَ الآخرةِ، آتاه اللهُ ما أحبَّ من الدنيا، وجزاؤهُ الجنةَ في الآخرة .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ عالماً بالأغراضِ، فيجازي كلاًّ بحسبِ قصدِه .

***

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا

تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

[١٣٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ مجتهدينَ في إقامةِ العدلِ.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ تُقيمون شهادَتَكم بالحقِّ لوجهِ الله.

﴿وَلَوْ﴾ كانتِ الشهادةُ.

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بأن تُقِرُّوا عليها.

﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ﴾ ولو على والدِيكم وأقارِبِكم.

﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهودُ له أو عليه.

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فأقيموها، ولا تُحابُوا غنياً لغناه، ولا ترحموا فقيراً لفقره. اتفقَ القراءُ سوى أبي جعفرٍ على إظهارِ النونِ عندَ الغينِ والخاء نحو (مِنْ غِلٍّ) و(مِنْ خَيْرٍ) وشبهِه، وقرأ أبو جعفرٍ: بإخفاءِ النونِ عندَهما، واستثنى بعضُ أهلِ الأداءِ عنه: (إِنَ يَكُنْ غَنِيّاً) (والْمُنْخَنِقَةُ) في المائدة، (فَسَيُنْغِضُونَ) في الإسراء، فأظهرَ النونَ عنه في هذهِ الثلاثةِ، وروي عنه الإخفاءُ فيها أيضاً، والاستثناءُ أظهرُ، وعدمُه أقيسُ.

﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ منكم، فكِلُوا أمرَهما إليه.

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ إرادةَ.

﴿أَن تَعْدِلُواْۚ﴾عن الحق من العدولِ.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ تحرفُوا الشهادةَ. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ: (تَلُوْا) بضم اللام وواو ساكنة؛ من الولاية؛ أي: تَلُوا أمرَ الناس، وقرأ الباقون: بإسكان

اللام، وبعدَها واوان، أولاهما مضمومة، والأخرى ساكنة، من لَوى يَلْوي: حرَّفَ[1].

﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ عن أدائِها فتكتُموها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ فيجازيكم به.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾.

[١٣٦] ثم خاطبَ مؤمني أهلِ الكتابِ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بموسى وعيسى عليهما السلام.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ القرآنِ.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ المرادُ جنسُ الكتبِ المنزلةَ؛ أي: اثبتوا على الإيمان بذلك. قرأ ابن كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو (نُزِّلَ) و(أُنْزِلَ) بضم النون في الحرف الأول، وضم الهمزة في الثاني، وكسر الزاي فيهما، وقرأ الباقون: بفتح النون والهمزة والزاي فيهما؛ أي: أنزلَ الله[2]، ثم قال متهدداً:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٠-٦١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، =

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ أي: ومن يكفرْ بشيءٍ من ذلك.

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الهداية. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وابنُ عامرٍ، وخلفٌ (فَقَد ضَّلَّ) وشبهه بإدغام الدال في الضاد، والباقون: بالإظهار[1].

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾.

[١٣٧] ثم تهدَّد المتلعِّبين بالدِّين فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى عليه السلام، وهم اليهود.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعبادتِهم العجلَ.

﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بالتوراةِ.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى عليه السلام.

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمدٍ ﷺ.

﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا على ذلكَ.

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ طريقاً إلى الحقِّ.

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٠).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧١).

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] ﴿ بَشِّرِ ﴾ أي: أخبرْ يا محمدُ.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ والبشارةُ: كلُّ خبرٍ تتغيرُ به بشرةُ الوجهِ، سارّاً كانَ أو غيرَ سارٍّ.

***

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾.

[١٣٩] ثم وصفَ المنافقين فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: اليهودَ والنصارى.

﴿ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ أي: يتخذونهم أنصاراً وبطانةً.

﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ يطلبونَ منهم المعونةَ والظهورَ على محمدٍ ﷺ وأصحابِه.

﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ ﴾ أي: القوةَ والغلبةَ والقدرةَ.

﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لا يتعزَّزُ إلا من أعزَّه.

***

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾.

[١٤٠] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ ﴾ قرأ عاصمٌ، ويعقوبُ: بفتح النون والزاي؛ أي:

نزلَ اللهُ، وقرأ الباقون: بضمِّ النونِ وكسرِ الزاي[1]، والكسائيُّ يُميل الزاي من (العِزَّة) حيثُ وقفَ على هاء التأنيث.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشرَ المسلمينَ.

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿أَنْ﴾ أي: أنه.

﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: إذا سمعتُم الكفرَ والاستهزاءَ بآيات الله.

﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ أي: مع الكافرين والمستهزئين.

﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟﴾ يَشْرَعوا.

﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ أي: اجتنبوهُم حينَ استهزائِهم بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إذا قعدتُم عندَهم، وسمعتُم استهزاءَهُم، ورضيتُم به، فأنتم كفار.

﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأن الرضا بالكفرِ كفر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ تهديدٌ للخائضين والمستمعينَ الراضين بجمعِهم في جهنَّمَ.

***

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧١).

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

[١٤١] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ يعني: المنافقون ينتظرونَ هلاكَكُم، ولمن تكونُ العاقبةُ، لكم أم لعدوِّكم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفرٌ وغنيمةٌ.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الجهادِ، فلنا نصيبٌ من الغنيمة.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ دولةٌ وظهورٌ على المسلمينَ.

﴿قَالُوٓا۟﴾ يعني: المنافقينَ للكفارِ.

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستولِ.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونخبرْكم بعورةِ محمدٍ وأصحابِه، ونطلعْكم على سرِّهم.

﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ندفعْ عنكم صولةَ المؤمنين، ونخذلْهم عنكم.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنونَ والمنافقونَ.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ حجةً شرعيةً يستظهرون بها.

فيه دليلٌ على أن الكافرَ لا يملكُ العبدَ المسلم. واختلفَ الأئمةُ، فقال أحمدُ والشافعيُّ: لا يصحُّ بيعُ عبدٍ مسلمٍ لكافرٍ، إلا أنْ يكونَ ممن يعتقُ عليه، فيصحُّ، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يصحُّ، ويُجبر على إزالةِ ملكهِ عنه، ولو أسلمَ عبدُ الكافرِ، أُجبرَ على إزالةِ ملكِه عنه، بالاتفاق.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾.

[١٤٢] ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ يعاملونه معاملةَ المخادِعين بإظهارِ الإيمانِ وإبطانِ الكفر.

﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ مُجازيهم جزاءَ خداعِهم.

﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلينَ، صلاتُهم لغيرِ الله. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (كُسَالَى) بالإمالة[1].

﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ بفعلِهم.

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا ﴾ ذكراً.

﴿ قَلِيلًا ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «لو أرادوا بذلكَ القليلِ وجهَ اللهِ، لكانَ كثيراً»[2].

* * *

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾.

[١٤٣] ﴿ مُّذَبْذَبِينَ ﴾ مضطربينَ.

﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ بينَ الكفرِ والإيمان.

﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ لا منسوبينَ إلى المؤمنينَ، ولا إلى

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٣٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٤).

الكافرين، قال ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ مَرَّةً إِلَى هَذِهِ، وَمَرَّةً إِلَى هَذِهِ»[1].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحقِّ والصواب.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

[١٤٤] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنه صَنيعُ المنافقينَ.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ حُجَّةً بينةً في عذابِكم.

* * *

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

[١٤٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ وهو أخفضُ مكانٍ.

﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (فِي الدَّرْكِ) بسكونِ الراءِ، والباقون: بفتحها، وهما لغتان؛ كالنَّهْرِ والنَّهَرِ[2].

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجُهم منه.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٤) في أول كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٥).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ ﴾.

[١٤٦] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ من النفاقِ.

﴿ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ ما أفسدُوا من عملِهم.

﴿ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ وثقوا به.

﴿ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ ﴾ بقلوبهم.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ في الجنةِ.

﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ في الجنةِ. أثبتَ يعقوبُ الياءَ في (يُؤْتِي) حالةَ الوقفِ(١).

* * *

﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾ ﴾.

[١٤٧] ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أيُّ شيءٍ يفعلُ.

﴿ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ ﴾ اللهَ.

﴿ وَءَامَنتُمۡ ﴾ بهِ أَيتشفَّى به غيظاً، أو يدفعُ ضراً، أو يستجلبُ به نفعاً، وهو الغنيُّ المتعالي عن النفعِ والضرِّ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا ﴾ مثيباً.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٥).

﴿عَلِيمًا﴾ بحقِّ شكرِكُم وإيمانِكم.

***

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾.

[١٤٨] ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ القبيح.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ فيدعو على ظالمِه، فيقولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عليهِ، اللهمَّ خذْ لي حقِّي منه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعائِكُم ﴿عَلِيمًا﴾ بأحوالِكُم.

***

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾.

[١٤٩] ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾ حسنةً.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي: الخيرَ.

﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ أي: مَظْلَمَةٍ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يُكْثِرُ العفوَ عن العُصاة، مع قدرتِهِ على الانتقامِ منهم، فاستنوا بهِ وبرسولِه.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾.

[١٥٠] ونزلَ إخباراً عن اليهودِ وإيمانهم بموسى والتوراةِ وعُزيرٍ، وكفرِهم بعيسى والإنجيلِ ومحمدٍ صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأنْ يؤمنوا بالله، ويكفروا برسوله.

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ نؤمنُ ببعضِ الأنبياء، ونكفرُ ببعضِهم.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الكفرِ والإيمانِ.

﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وَسَطاً بينَ الإيمانِ والكفرِ.

* * *

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾.

[١٥١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: هم الكاملونَ في الكفر.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ، فالكافرُ ببعضِ الأنبياءِ كالكافرِ بجميعِهم.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لجميعِ أصنافِهم.

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ مُذِلاً.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾.

[١٥٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كلِّهم.

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ تلخيصُه: من آمنَ باللهِ وجميعِ رسلِه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ بإيمانِهم باللهِ ورسلِه. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (يُؤْتِيهِمْ)[1] بالياء، والباقون: بالنون[2].

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ بتضعيفِ حسناتِهم.

***

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾.

[١٥٣] ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ نزلَتْ في اليهودِ لما قالوا للنبي ﷺ: إن كنتَ صادقاً، فأْتِنا بكتابٍ من السماءِ جملةً[3]؛ أي: كما أُوتي به موسى عليه السلام، وكان سؤالُهم سؤالَ تهكُّم لا انقيادٍ.

﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ أي: أعظمَ من سؤالك.

﴿ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ عياناً. قرأ ابنُ كثيرٍ، والسوسيُّ، ويعقوبُ: (أَرْنَا) بإسكانِ الراء، والباقونَ: بكسرها[4].

---

(١) «يؤتيهم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٦).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٧).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ نارٌ جاءتْ من السماءِ فأهلكتْهُمْ.

﴿ بِظُلْمِهِمْۚ ﴾ أي: بسببِ ظلمِهم.

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ المعجزاتُ.

﴿ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ ﴾ ولم نستأصِلْهم. تلخيصُه: تابَ أولئكَ فعفونا عنهم، فتوبوا أنتم، فنعفوَ عنكم.

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ حجةً ظاهرةً، وهي الآياتُ التي جاء بها.

* * *

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (١٥٤) ﴾.

[١٥٤] ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ ﴾ الجبلَ.

﴿ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾ أي: بسبب نقضِهم الميثاقَ الذي أُخِذَ منهم، وهو العملُ بما في التوراة.

﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ على لسانِ موسى عليه السلام.

﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ ﴾ على لسانِ داودَ عليه السلام: ﴿ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ أي: لا تعتدوا باصطيادِ الحيتانِ فيه. قرأ أبو جعفرٍ (تعدُّوا) بجزم العينِ وتشديدِ الدال، وورشٌ: بفتح العين وتشديد الدال مضمومةً، وقالون: باختلاسِ فتحةِ العينِ مع تشديد الدال، والباقونَ: بإسكانِ العينِ والتخفيف(١).

= (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، =

وتقدَّم في البقرة رفعُ الجبل ودخولُ الباب والاعتداءُ في السبت، وتفسيرُها[(١)].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك، وهو قولُهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

***

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)﴾.

[١٥٥] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ أي: فبنقضِهم.

﴿مِّيثَاقَهُمْ﴾ و(ما) صلةٌ؛ كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ونحوه.

﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تَعِي كلامَكَ يا محمدُ، فعلْنا بهم ما فعلْنا.

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾ أي: ختم.

﴿عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فجعلَها محجوبةً عن العلم. قرأ هشامٌ، والكسائيُّ، وخلادٌ بخلاف عن الثالث: (بَل طَّبَعَ) بإدغامِ اللام في الطاء، والباقون: بالإظهار[(٢)].

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٧-١٧٨).

(١) في «ن»: «في تفسيرها».

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم؛ كعبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه.

* * *

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾.

[١٥٦] ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ بعيسى.

﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ حينَ رموها بالزنا. قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (مَرْيَمْ بُهْتَاناً) بإسكان الميم عند الباء، وتقدمَ الكلامُ عليه في سورة البقرة.

* * *

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[١٥٧] ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ سموه رسولَ اللهِ استهزاءً به، فأكذبَهم اللهُ تعالى في دَعْواهم بقوله:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى أَلْقى شبهَ عيسى على الذي دَلَّهم عليه، وتقدَّمَ الكلامُ على ذلك في سورةِ آلِ عمران.

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ أي: في شأن عيسى.

﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ ﴾ لأن طائفةً من اليهود قالوا: نحن قتلناه، وطائفةٌ من

= (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٨).

النصارى قالوا: نحن قتلناه، وقالت طائفةٌ منهم: ما قتلَه هؤلاءِ ولا هؤلاء، بل رُفع إلى السماء.

﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنْ يتَّبعونَ ظنَّهم.

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾ أي: عيسى قتلاً.

﴿ يَقِينًۢا ﴾ كما زعموه بقولِهم: إنا قتلْنا المسيحَ.

* * *

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨ ﴾.

[١٥٨] ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ ﴾ ردٌّ وإنكارٌ لقتله، وإثباتٌ لرفعِه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾ لا يُغْلَبُ على ما يريدُه.

﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دبَّرَ لعيسى، وتقدَّم في سورة آل عمران قصةُ الصلبِ ورفعِ عيسى عليه السلام إلى السماء.

* * *

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٥٩ ﴾.

[١٥٩] ﴿ وَإِن ﴾ أي: وما مِنْ أحدٍ.

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ أي: بعيسى.

﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أي: موتِ المؤمنِ عندَ معاينةِ الموتِ حينَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ ﴾ عيسى.

﴿ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ فيشهد على اليهود أنهم كذَّبوه وقذفُوه وأمَّهُ، ويشهدُ على النصارى بأنهم دَعَوْهُ ابنَ الله.

* * *

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) ﴾.

[١٦٠] ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ وهو ما تقدَّم ذكرُه من نقضِهم الميثاقَ، وكفرِهم بآياتِ الله، وبهتانِهم على مريمَ، وقولهم: إنا قتلْنا المسيحَ.

﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ وهي ما ذُكر في سورةِ الأنعامِ في قولِه تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [الآية: ١٤٦]، المعنى: بظلمٍ صدرَ من اليهودِ حَرَّمْنا عليهم ذلك.

﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: عن دينِهِ ﴿ كَثِيرًا ﴾ من الناس.

* * *

﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) ﴾.

[١٦١] ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ في التوراةِ.

﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ ﴾ من الرِّشَا في الحكم، والمآكلِ يُصيبونها من عَوامِّهم؛ أي: بمجموعِ هذهِ الأشياءِ حَرَّمْنا عليهم تلكَ الطيباتِ.

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ دونَ مَنْ تابَ وآمنَ.

* * *

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾.

[١٦٢] ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ المتمكِّنونَ.

﴿ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ من المهاجرينَ والأنصارِ، وقيلَ: من أهلِ الكتابِ.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآنِ.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يعني: جميعَ الكتبِ المنزلةِ.

﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ نصبٌ على المدحِ، أو بإضمارِ فعلٍ تقديرُه: أعني المقيمينَ الصلاةَ.

﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ رفعُه عطفٌ على ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾، وكذلك.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ قدَّمَ عليهِ الإيمانَ بالأنبياءِ والكتبِ وما يصدِّقُه من اتباعِ الشرائعِ؛ لأنه المقصودُ بالآية.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه:

﴿ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ على جمعِهم بين الإيمانِ الصحيحِ والعملِ الصالحِ. قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (سَيُؤْتِيهِمْ) بالياء، والباقون: بالنون(١).

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨٠).

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾.

[١٦٣] ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الوحيُ: إلقاءُ المعنى في الخفاء(١)، وعرَّفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام، وذلك هو المراد بقوله:

﴿ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ ﴾ جوابٌ لأهل الكتابِ عن اقتراحهم أن ينزلَ عليهم كتاباً من السماءِ، واحتجاجٌ عليهم بأنَّ أمره في الوحي كسائر الأنبياءِ، وبدأ بنوحٍ؛ لأنه أولُ نبيٍّ من أنبياءِ الشريعةِ، وأولُ نبيٍّ بُعِثَ إلى الكفارِ، وكان أطولَ الأنبياءِ عُمْراً، وجُعِلَت معجزتُه في نفسِه؛ فإنَّه عُمِّرَ ألفاً وأربعَ مئةِ سنةٍ، فلم تنقصْ له سِنٌّ، ولم تَشِبْ له شعرةٌ، ولم تنقصْ له قوةٌ، وتقدَّم ذكرُه ووفاتُه في سورةِ آلِ عمرانَ عند تفسيرِ قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ [الآية: ٣٣]، وصَرَفَ نوحاً مَعَ العُجْمَةِ والتعريفِ لِخفَّتِه.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشامٌ: (أَبْرَاهَامَ) بالألف(٢).

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ وهم أولادُ يعقوبَ، وتقدَّم ذكرُ هؤلاء الأنبياءِ في سورة البقرة.

﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ تقدَّمَ ذكرُه في البقرة وآل عمران.

---

(١) في «ن»: «خفاء».

(٢) كما تقدم عنه. انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١-٢٢٢ و٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨٠).

﴿ ۞وَأَيُّوبَ ﴾ هو ابنُ موصِ بنِ رازحِ بنِ العيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، وهو من أمةِ الرومِ، وكان نبياً في عهدِ يعقوبَ، وعاشَ ثلاثاً وتسعين سنةً، ويأتي ذكرُ قصتِه في سورة الأنبياء، وفي سورة (ص) إن شاء الله تعالى.

﴿ وَيُونُسَ ﴾ هو ابنُ مَتَّى، ومَتَّى أبوهُ في قولِ الأكثرِ، قيل: إنه من بني إسرائيلَ من سبطِ بنيامينَ، بُعِثَ إلى أهلِ نينوى قبالةَ الموصِلِ، بينهما دجلةُ، وسيأتي ذكرُ قصته في سورةِ الأنبياءِ إن شاء الله تعالى، وكانت وفاته في سنةِ خمسَ عشرةَ وثماني مئة لوفاةِ موسى عليهما السلام، وقبرُه في قرية تسمَّى حلحول بينَ بيتِ المقدس وبلدةِ سيدِنا الخليلِ عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَهَـٰرُونَ ﴾ هو ابنُ عمرانَ أخو موسى عليهما السلام، وكان أكبرَ من موسى بثلاث سنين، وتوفي قبلَ موسى بأحدَ عشرَ شهراً، ودُفِنَ في التيه بكهفٍ في بعضِ الجبالِ على سريرٍ وجدَ به، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ ذكرُ موسى ووفاتُه، فيُعلم من ذلكَ تاريخُ وفاةِ هارون.

﴿ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ تقدَّمَ ذكرُه ووفاته في سورة البقرة.

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ ﴾ هو ابنُ بشَيٍّ بنِ عوفيد بنِ بوعزَ بنِ سَلَمُون بنِ نحشون بنِ عَمِينا ذَاب بنِ رَمْ بنِ حَصْرُون بنِ بارَص بنِ يَهُودا بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام، كان مقامُه بحبرون، ثم انتقلَ إلى بيتِ المقدسِ، وأَسَّسَ مسجدَه، وهو الأقصى، وماتَ قبل إتمامِه، وله سبعونَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلكَ، وملك أربعينَ سنةً، ودُفِنَ

بالكنيسةِ المعروفةِ بالجيسمانية[1] شرقي بيتِ المقدسِ بالوادي، ويقالُ: إنَّ قبرَه بكنيسةِ صهيون ظاهر بيتِ المقدسِ من جهةِ القبلةِ، وهو مشهورٌ عندَ الناس، وكانت وفاتُه في يوم السبت أواخر سنةِ خمسٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ لوفاة موسى عليه السلام.

﴿زَبُورًا﴾ قرأ حمزةُ، وخلفٌ: بضمِّ الزاي حيثُ وقعَ، جمع زَبْرٍ؛ كدَهْرٍ وُدُهور، بمعنى: مزبور؛ أي: مكتوبٍ، وقرأ الباقون: بالفتحِ اسمٌ للكتاب المنزَلِ عليه[2]، وهو مئةٌ وخمسونَ سورةً بالعبرانيةِ في خمسينَ منها: ما يلقونه من بُخْتَ نَصَّرَ، وفي خمسينَ: ما يلقونَهُ من الرومِ، وفي خمسين: مواعظُ وحكمٌ، ولم يكنْ فيه حلالٌ ولا حرامٌ ولا أحكامٌ، وتقدَّم في سورةِ البقرةِ ذكرُ ما آتاهُ اللهُ من الملكِ والحكمةِ وطيبِ الصوتِ والألحانِ في قراءةِ الزَّبورِ.

***

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

[١٦٤] ﴿وَرُسُلًا﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ؛ أي: وأرسلْنا رسلاً؛ لأن معنى ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ أرسلْنا نوحاً.

﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبلِ هذهِ السورة، أو اليومَ.

---

(١) في «ن»: «الجسمانية».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨١).

﴿ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ أي: لم نخبرْكَ بأخبارِهم، قيلَ: لما ذكرَ الأنبياءَ في الآية، ولم يذكر موسى، قالتِ اليهود: أكلمَ الله موسى أم لا؟ فنزل:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ مصدرٌ معناهُ التأكيدُ، يدلُّ على بُطلانِ قولِ مَنْ يقول: خلَقَ لنفسِه كلاماً في شجرةٍ، فسمعَهُ موسى، بل هو الكلامُ الحقيقيُّ الذي يكونُ به المتكلِّمُ متكلماً، وكلامُ الله تعالى للنبيِّ موسى دونَ تكييفٍ ولا تحديدٍ؛ فإنه سبحانه موجودٌ لا كالموجودات، معلومٌ لا كالمعلوماتِ، فكذلكَ كلامُه لا كالكلامِ.

***

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾.

[١٦٥] ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ نصبٌ على المدحِ، ثم علَّلَ الإرسالَ فقال:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ﴾ إرسالِ.

﴿ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ إليهم، فيقولوا: ما أرسلتَ إلينا، فكيفَ تعذبنا؟! وفيه دليلٌ على أنَّ اللهَ لا يعذِّبُ الخلقَ قبلَ بعثةِ الرسلِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾ لا يغلب فيما يريد[١].

﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دبَّرَ من أمرِ النبوةِ، وخَصَّ كلَّ نبيٍّ من الوحيِ

---

(١) في «ن»: «يريده».

والإعجازِ، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ أسماءُ الأنبياءِ الذين ذُكِروا في القرآنِ بأسمائِهم، والذينَ أُشير إليهم.

***

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾.

[١٦٦] قال ابن عباس: إن رؤساءَ مكةَ أَتَوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمدُ! إنا سألْنا عنكَ اليهودَ، وعن صفتِك في كتابِهم، فزعموا أنَّهم لا يعرفونَكَ، ودخلَ عليه جماعةٌ من اليهودِ، فقال لهم: «وَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ»، فقالوا: ما نعلمُ ذلك، فأنزلَ الله عز وجل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾[1] من الوحيِ والقرآنِ إن جحدوكَ وكَذَّبوكَ.

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أي: وهو عالمٌ بأنَّكَ أهلٌ لإنزالِهِ عليكَ، وأنَّكَ تُبَلِّغُهُ.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ أيضاً على صدقِكَ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ لو لم يشهدْ غيرُه.

***

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٢٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٧٥٠).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ ﴾ جمعوا بينَ الكفرِ والصَّدِّ.

﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن طريقِ الهدى بكتمِ نعتِ محمدٍ ﷺ.

﴿ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ باللهِ.

﴿ وَظَلَمُواْ ﴾ بكتمِ نعتِ محمدٍ ﷺ.

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ من الطرقِ.

* * *

﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ وهو دينُ الكفرِ؛ أي: لم يجعلْهم مسلِمينَ، بل جعلَهم كافرين، وهذا فيمَنْ سبقَ حكمُه تعالى فيهم أنَّهم لا يؤمنونَ.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لا يصعُبُ عليه.

* * *

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾.

[١٧٠] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالشرعِ.

﴿ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ ﴾ الإيمانُ.

﴿ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ فهو غنيٌّ عنكُمْ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بأحوالِهم.

﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دبَّرَ لهم.

* * *

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾.

[١٧١] ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ الخطابُ لليهودِ والنصارى؛ [فإنهم جميعاً غلَوا في أمرِ عيسى، فقالَتْ طائفةٌ من النصارى][(١)]، وهم اليعقوبيةُ والملكائيةُ: عيسى هو اللهُ، وقالتْ طائفةٌ، وهم النسطوريةُ: عيسى ابنُ الله، وقالَتِ المرقوسيةُ: عيسى ثالثُ ثلاثةِ آلهةٍ: عيسى ومريمَ واللهِ،

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

علَّمَهم ذلكَ رجلٌ من اليهودِ يقالُ له: بولسُ، وقالتِ اليهودُ: هو ولدُ زنا، وكَذَبوا كُلُّهم.

﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ لا تتجاوزوا الحدَّ.

﴿فِى دِينِكُمْ﴾ بزيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تشركوا، وقوله: ﴿فِى دِينِكُمْ﴾ معناه: في الدِّينِ الذي أنتم مطلوبون[1] به، وأضافَه إليهم بياناً أنهم مأخوذونَ بهِ، وليستِ الإشارةُ إلى دينِهم المضلِّلِ، ولا أُمروا بالثبوتِ عليهِ دونَ غُلُوٍّ، وإنما أُمِروا بتركِ الغُلُوِّ في دينِ الله، وأن يوحِّدوا.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾ أي: تَذْكُروا.

﴿عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القولَ.

﴿ٱلْحَقَّ﴾ يعني: تنزيهَهُ عن الصاحبةِ والولدِ.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾ وهي قولُه لعيسى: كُنْ، فكانَ من غيرِ أبٍ.

﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أوصلَها إليها، وحصَّلَها فيها.

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ سُمِّي عيسى رُوحاً؛ لأنه ذو رُوحٍ وجسدٍ كغيره، وأُضيف إلى الله تشريفاً له، المعنى: لا نسبةَ ولا اتصالَ بينَ اللهِ وعيسى، وليسَ بجزءٍ منه، إلا أنه رسولُه؛ لأن عيسى مركَّبٌ، والله مُنزَّهٌ عن التركيبِ، وإنما هو ابنُ مريمَ، وهو جزءٌ منها، خُلِقَ من غيرِ أبٍ؛ لأنه مركَّبٌ مثلَها. تلخيصُه: ليسَ عيسى إلا بعضَ أمِّه لا غيرُ؛ لأن (إنما) للحصر.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟﴾ هم.

---

(١) في «ن»: «تطلبون».

﴿ثَلَٰثَةٌۚ﴾ وكانت النصارى يقولون: أبٌ وابنٌ وروحُ القدس.

﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن التثليثِ يكنِ الانتهاءُ.

﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ بالذاتِ، لا تعدَّدَ فيهِ بوجهٍ.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ أي: هو منزَّهٌ عن:

﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ كما تزعمونَ أيُّها النصارى.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً، لا يماثلُه شيءٌ من ذلك فيتخذَه ولداً.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ فإنه مستغنٍ عن الولدِ المحتاجِ إليه ليكونَ وكيلاً لأبيه؛ لأنه سبحانه قائمٌ بحفظِ الأشياءِ، غيرُ محتاجٍ إلى مَنْ يُعينهُ.

***

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾.

[١٧٢] ولما قال وفدُ نجرانَ للنبيِّ ﷺ: إنَّكَ تسبُّ عيسى، تقولُ: إنه عبدُ الله، فقال: «إنَّهُ لاَ يأْنفُ مِنْ ذَلِكَ»، نزل:

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾(١) أي: لن يأنفَ عِزَّةً.

﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ فإن عبوديتَهُ شرفٌ يتباهى به.

﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ عطفٌ على المسيح، وهم حَمَلَةُ العرشِ لا يأنفونَ أن يكونوا عبيداً لله، واستدلَّ بهذه الآيةِ من يقولُ بتفضيلِ الملائكةِ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٧).

على البشرِ؛ لأنه تعالى ذكرَ عيسى عليه السلام، ثم ارتقى إلى الملائكةِ، والارتقاءُ إنما يكونُ إلى الأعلى، فلا يقالُ: لا يستنكفُ زيدٌ من كذا، ولا عبده، إنما يقال: لا يستنكفُ من كذا، ولا مولاه، ومن لا يُفَضِّلُهم يقول: لم يذكرِ الملائكةَ تفضيلاً لهم على البشرِ، بل رَدّاً على الذين يقولونَ: الملائكةُ آلهةٌ، كما ردَّ على النصارى قولَهم: المسيحُ ابنُ الله، وتقدَّمَ في سورة البقرة ذكرُ مذهبِ أهل السنَّةِ في تفضيلِ الأنبياءِ على الملائكةِ عندَ تفسير قولِه تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: ٣١]، ثم قالَ مُتَهدِّداً:

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ يترفعْ عنها، والاستكبار دون الاستنكاف.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ فيجازيهِمْ.

* * *

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣)﴾.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ من الحسناتِ ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وعيدٌ للذين يَدعون عبادةَ اللهِ أنفةً وتكبُّراً.

* * *

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[١٧٤] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ لـهُ حجَّـةٌ عليكـم بالمعجزاتِ، وهو محمدٌ ﷺ.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ هو القرآنُ.

* * *

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾.

[١٧٥] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ ﴾ امتنعوا بهِ من زَيْغِ الشيطانِ.

﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ﴾ يعني: الجنةَ ونعيمَها.

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى الفضلِ، وهذه هداية طريق الجِنانِ.

﴿ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ طريقاً واضحاً.

* * *

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

[١٧٦] عن جابرٍ قال: «عادني رسولُ الله ﷺ وأنا مريضٌ لا أعقلُ،

فتوضَّأَ وصَبَّ عليَّ من وَضوئِهِ، فعقلْتُ فقلْتُ: يا رسولَ الله! لمنِ الميراثُ؟ إنما يرثُني كَلالةٌ»، فنزل:

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ يستخبرونَكَ فيسألونَكَ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ وتقدَّمَ تفسيرُ الكلالَةِ في أول السورة.

﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ المرادُ بالولدِ: الابنُ.

﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ﴾ لأبوينِ، أو لأب.

﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾ لأن الابنَ يُسْقِطُ الأختَ، والبنتُ لا تسقطُها باتفاقِ الأئمة.

﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ﴾ ابنٌ؛ لأن البنتَ لا تُسقطُ الأخَ بالاتفاق، وإن كانَ[1] ولدُها أنثى، فللأخِ ما فَضَلَ عن فرضِ البناتِ بالاتفاق[2].

﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي: الأختانِ.

﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ فصاعِداً.

﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾ فَمَنْ ماتَ وله أخواتٌ، فلهنَّ الثلثانِ بالاتفاقِ.

﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي: الورثةُ.

﴿إِخۡوَةً رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ﴾ أي: ذكوراً وإناثاً.

﴿فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ أصلُه: وإن كانوا إخوةً وأخواتٍ، فَغُلِّبَ المذكَّرُ[3].

---

(١) «كان» ساقطة من «ن».

(٢) «بالاتفاق» ساقطة من «ن».

(٣) في «ن»: «الذكر».

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ أي: ألاَّ تَضِلُّوا[1].

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات.

رُوِيَ أن آخرَ آيةٍ نزلت: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾[2] ونزلَتْ في طريقِ حجةِ الوداعِ في زمنِ الصيفِ، فسمِّيَتْ: آيةَ الصيفِ، ورُوي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عاشَ بعدَها خمسين يوماً[3]، والله أعلم.

* * *

(١) في «ن»: «لا تضلوا».

(٢) رواه البخاري (١٩١)، كتاب: الوضوء، باب: صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه، ومسلم (١٦١٦)، كتاب: الفرائض، باب: ميراث الكلالة.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٢٨).

سُورَةُ المَائِدَةِ

مدنيةٌ، ورُوِيَ أنها نزلَتْ مُنْصَرَفَ رسولِ اللهِ ﷺ من الحُدَيبيةِ، وآيُها مئةٌ وعشرونَ آيةً، وحروفُها أحدَ عشرَ ألفاً وسبعُ مئةٍ وثلاثةٌ وثلاثون حرفاً، وكَلِمُها ألفانِ وثماني مئةٍ وأربعُ كلمات. وعن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «سُورَةُ المَائِدَةِ تُدْعى فِي مَلَكُوتِ اللهِ: المُنْقِذَةَ؛ تُنْقِذُ صَاحِبَهَا مِنْ أَيْدِي مَلائِكَةِ الْعَذَابِ»(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾.

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ أي: العهودِ المحكمةِ، ويقال: وَفَى وأَوْفى بمعنىً واحدٍ، وهذا عامٌّ في كل واجبٍ من أمرٍ ونهيٍ وحفظِ وديعةٍ؛ أي: احفظوا شريعتَه(٢)، ولفظُ المؤمنين يعمُّ مؤمني أهلِ الكتابِ بينَهم وبينَ اللهِ عقدٌ في أداءِ الأمانةِ فيما في كتبهم من أمرِ

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٦/ ٣٠) دون عزو.

(٢) «أي: احفظوا شريعته» زيادة من «ظ».

محمدٍ ﷺ، ثم خاطبَ كلَّ من التزمَ الإيمانَ على وَجْهِهِ وكمالِهِ، فقال:

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وهي الإبلُ والبقرُ والغنمُ، [وأرادَ تحليلَ ما حرمَ أهلُ الجاهليةِ على أنفسِهم من الأنعامِ][1]، وسميتْ بهيمةً؛ لإبهامِها من جهة نقصِ نطقِها وفهمِها، وعدمِ مَيْزِها[2] وعقلِها، وقال ابنُ عباسٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ: «بهيمةُ الأنعامِ الأَجِنَّةُ في البطنِ إذا ذُبِحَتْ أُمهاتُها»[3]، قال القرطبيُّ[4]: وفيه بُعْدٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قالَ: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وليسَ في الأجنةِ ما يُستثنى.

واختلفَ الأئمةُ في الجنينِ الذي يوجَدُ في بطنِ أُمه مَيْتاً إذا ذُكِّيَتْ، هل تكونُ ذكاتُها ذكاةً لجنينِها، ويحلُّ أكلهُ؟ فقالَ أبو حنيفةَ: لا يحلُّ أكلُه، وقالَ صاحباه: إذا تمَّ خلقُه، حَلَّ أكلُه، وقال مالكٌ: إذا تمَّ خلقُهُ، ونبتَ شعرُه، أُكِلَ، وإلا فلا، وقالَ الشافعيُّ وأحمدُ: يحلُّ أكلُه، سواءٌ نبتَ شعرُه أو لم ينبتْ، واستحبَّ أحمدُ ذبحَهُ، فإنْ خرجَ وفيه حياةٌ مستقرَّةٌ، لم يُبحْ إلا بذبْحه، بالاتفاق.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ﴾ أي: يُقْرأُ.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ تحريمُهُ في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] استثناءً من بهيمةِ الأنعامِ.

﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ ومعنى الآية: أُحلَّتْ لكمُ الأنعامُ كلُّها إلا ما كانَ

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) في «ن»: «تميزها».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٣٤).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ٣٤).

وحشياً؛ فإنه صيدٌ لا يحلُّ لكم في حالِ الإحرامِ، فذلكَ قولُه:

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: ما كانَ صيداً، فهو حلالٌ في الإحلالِ دونَ الإحرام، وما لم يكنْ صيداً، فهو حلالٌ في الحالينِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من تحليلٍ وتحريمٍ، لا دافعَ لمرادِهِ.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمعُ شَعيرةٍ، وهي العلامةُ، والمرادُ: مناسكُ الحجِّ، وكان المشركون يحجُّون ويُهْدون، فأرادَ المسلمونَ أن يُغيروا عليهم، فنهاهمُ اللهُ عن ذلك.

واختلفَ العلماءُ في إشعارِ الهَدْيِ، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُسَنُّ إشعارُه بشَقِّ صفحةِ سنامِه اليُمْنى، أو موضعِه ممَّا لا سنامَ لهُ من إبلٍ وبقرٍ حتى يسيلَ الدمُ، وقالَ مالكٌ: في الجانبِ الأيسرِ من السنامِ في الإبلِ، وكذلك في البقرِ إنْ كان لها أسنمةٌ، فإن لم تكنْ لها أسنمةٌ، لم تُشْعَرْ، ومنعَ من هذا كلِّه أبو حنيفةَ، وقالَ: إنه تعذيبٌ للحيوان.

﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ اسمٌ مفردٌ يدلُّ على الجنسِ في الأشهرِ الحرم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّمُ، ورجَبٌ؛ أي: لا تُحِلُّوا القتالَ فيها.

﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ بنحرِه قبلَ محلِّهِ، وهو كلُّ ما يُهدى إلى الحرمِ من نَعَمٍ وغيرِها.

﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ أي: ذواتَ[1] القلائدِ من الهَدْيِ، جمعُ قِلادة، وهي ما قُلِّدَ بالهَدْيِ من نعلٍ[2] أو غيرِه؛ كآذانِ القُرَبِ والحبلِ ونحوِ ذلك؛ ليعلمَ به[3] أنه هديٌ، فلا يُتَعَرَّضُ له.

واختلفَ الأئمةُ في تقليدِ الغنمِ، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: تُقَلَّدُ، ومنعَ الشافعيُّ من تقليدِها بالنعلِ، وأباحَهُ أحمدُ، وقالَ أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا تُقَلَّدُ الغنمُ، واتفقوا على تقليدِ ما عدا الغنمِ بالنعلِ[4] وغيرِه.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: قاصديهِ.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبونَ.

﴿فَضْلًا﴾ رزقاً بالتجارةِ.

﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ بزعمِهم؛ لأن الكافرَ لا نصيبَ له في الرضوان، فلا تتعرضوا إليهم. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (ورُضْواناً) بضمِّ الراء، والباقون: بالكسر[5]، وكلُّ ما في هذهِ الآيةِ من نهيٍ عن مُشركٍ، أو مراعاةِ حرمةٍ[6] له بقلادةٍ، أو أمِّ البيتِ الحرامِ ونحوه، فكلُّه منسوخٌ بآية السيف بقوله:

---

(١) في «ت»: «ذات».

(٢) في «ن»: «فعلٍ».

(٣) «به» ساقطة من «ت».

(٤) في «ن»: «بالفعل».

(٥) تقدمت عند تفسير الآية (١٥) من آل عمران.

(٦) «حرمة» ساقطة من «ن».

﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ﴾ من إحرامِكم.

﴿فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ أمرُ إباحةٍ[(١)]؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ يَحْمِلَنَّكُمْ.

﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ بُغْضُهم. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عنهُ: (شَنْآنُ) بإسكانِ النونِ الأولى، وهما لغتانِ، والفتحُ أجودُ، وبه قرأ الباقون[(٢)].

﴿أَن صَدُّوكُمۡ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بكسر الهمزةِ شرطاً، فيكون (صَدُّوكُمْ) مستقبلاً معنًى؛ لأنَّ الشرطَ حقُّه الاستقبالُ، والصدُّ كانَ عامَ الحديبيةِ سنةَ ستٍّ، ونزلت الآية عامَ الفتحِ سنةَ ثمانٍ من الهجرةِ، فتقديرُه: إن يقعْ منهم صدُّكم[(٣)] فيما يُستقبل مثلما مضى منهم، فلا تعتدوا عليهم، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة[(٤)]؛ أي: لأجل صدِّهِمْ إياكُمْ.

﴿عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ واختارَ ابنُ عطيةَ، وتبعَهُ القرطبيُّ أن القراءة

---

(١) في «ت»: «بإباحة».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣-٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٠-١٩١).

(٣) في «ن»: «صد».

(٤) انظر: المصادر السابقة.

بالفتحِ أمكنُ في المعنى؛ لأن الآيةَ نزلتْ بعدَ الصدِّ[1].

﴿أَن تَعۡتَدُواْۘ﴾ عليهم بالقتلِ وأخذِ الأموالِ.

﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾ أي: لِيُعِنْ بعضُكم بعضاً.

﴿عَلَى ٱلۡبِرِّ﴾ اتِّباعِ الأمرِ.

﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ اجتنابِ النهيِ.

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ الكفرِ.

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ الظلمِ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فانتقامُه أشدُّ. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلاَ تَّعَاوَنُوا) بتشديد التاء حالةَ الوصلِ[2]. ثم قالَ تعالى محرِّماً ما كانوا يُحلُّونه وهو بيان قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾.

* * *

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣﴾.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩١).

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ وهي ما فارقه الرُّوحُ من غيرِ تذكيةٍ. قرأ أبو جعفرٍ: (الْمَيِّتَةُ) بالتشديد، والباقون: بالتخفيفِ، والكسائيُّ يُميل التاءَ حيثُ وقفَ على هاء التأنيث[١].

﴿وَالدَّمُ﴾ أي: المسفوحُ، وكان أهلُ الجاهلية يصبونه في الأمعاء، ويشوونها.

﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ما ذُكر على ذبحِهِ اسمُ غيرِ اللهِ سبحانه؛ كقولِ: باسمِ اللاَّتِ والعُزَّى.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ التي تُخْنَقُ. ورُوِيَ عن أبي جعفرٍ: (وَالْمُنخَنِقَةُ) بإخفاءِ النونِ عند الخاء، ورُوِي عنهُ الإظهارُ كبقية القراءِ، وهو أشهرُ[٢]، وتقدَّم ذكرُ مذهبه في ذلك مستوفًى في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولةُ بالخشبِ. قرأ الكسائيُّ: (وَالْمَوْقُوذَةُ) بإمالةِ الذالِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيث[٣].

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطةُ من عُلُوٍّ فتموتُ.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي تنطَحُها أُخرى فتموتُ.

---

(١) كما تقدم عنهم مراراً.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٢).

﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: بعضه.

﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتُم ذكاته وفيه حياةٌ مستقرَّةٌ.

﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وهي حجارةٌ كانتْ منصوبةً حولَ البيتِ يعبدُها الجاهليةُ، ويذبحون عندَها، ويعدُّونَ ذلكَ قربةً.

﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟﴾ تطلبوا القسمَ والحكمَ.

﴿ بِٱلْأَزْلَـٰمِ﴾ جمعُ زَلَمٍ بضمِّ الزاي وفتحِها، وهي القِداحُ التي لا ريشَ لها ولا نصلَ، وذلكَ أنهم إذا قصدوا فعلاً، ضربوا ثلاثةَ قداحٍ مكتوب على أحدِها: أَمَرني ربي، وعلى الآخر: نهاني، والثالثُ: غُفْلٌ، فإن خرجَ الآمرُ، مَضوا على ذلك، وإن خرجَ الناهي، تجنبوا عنه، وإن خرج الغفلُ، أجالوها ثانياً، فمعنى الاستقسام: طلبُ معرفةِ ما قُسِمَ لهم دونَ ما لم يقسمْ بالأزلام.

﴿ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: المحرَّماتُ في الآية، أو الاستقسامُ.

﴿ فِسْقٌ﴾ قال ﷺ: «مَنْ تَكَهَّنَ أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ تَطَيَّرَ طيرةً يَرُدُّهُ عَنْ سَفَرِهِ، لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدَّرَجَاتِ العُلاَ مِنَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أي: من إبطالِه ورجوعِكم عنه.

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٢١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٧٧)، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ أَخْلِصوا الخشيةَ لي. قرأ يعقوبُ: (وَاخْشَوْنِي) بإثباتِ الياءِ حالةَ الوقفِ[١].

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بإتمامِ عِزِّهِ وظُهورِه ونصرِه: نزلتْ يومَ الجمعةِ يومَ عرفةَ بعدَ العصرِ في حجَّةِ الوداعِ، والنبيُّ ﷺ واقفٌ بعرفاتٍ على ناقتِهِ العَضْباءِ، فكادَتْ عَضُدُ الناقةِ تَندقُّ مِنْ ثِقَلِها[٢]، فبركَتْ، قال ابنُ عبَّاسٍ: «لَمْ ينزلْ بعدَ هذهِ الآيةِ حلالٌ ولا حرامٌ»[٣].

﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ بالهدايةِ والتوفيقِ، وبدخولِ مكةَ آمنينَ، ومنعِ المشركينَ من دخولِ الحَرمِ بعدَ العام.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾ اخترتُه لكم.

﴿دِينٗاۚ﴾ من بينِ الأديانِ، وهو الدينُ عندَ اللهِ لا غيرُ، قال ابنُ عباسٍ: «كانَ ذلكَ اليومَ خمسةُ أعيادٍ: جمعةٌ، وعرفةٌ، وعيدُ اليهودِ، والنصارى، والمجوسِ، ولم تجتمعْ أعيادُ أهلِ[٤] المللِ في يوم قبلَه ولا بعدَه»[٥].

ولما نزلتْ هذه الآيةُ، بكى عمرُ رضي الله عنه، فقال له[٦] النبيُّ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فقال: «كُنَّا في زيادةٍ من دينِنا، وأَمَّا إذا كَمُلَ؛ فإنَّه لا يكمُل

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٩)، عن السدي.

(٤) «أهل» ساقطة من «ن».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٦).

(٦) «له» ساقطة من «ت».

شيءٌ إلا نَقَصَ» فقال: «صَدَقْتَ»[1]، وعاشَ بعدَها ﷺ أحداً وثمانين يوماً، وتُوفي يومَ الاثنين بعدَما زاغتِ الشمسُ لليلتين خَلَتا من ربيعِ الأولِ[2]، وقال ابنُ الجوزيِّ: لاثنتي عشرةَ ليلةً خلَتْ منه سنة إحدى عشرةَ من الهجرةِ[3].

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ متصلٌ بذكرِ المحرَّمات، وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّدٌ معنى التحريم. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَمَنُ اضْطُرَّ) بضم النون، وأبو جعفرٍ: بكسر الطاء[4]، والمعنى: فمن اضطرَّ إلى تناولِ شيء من هذهِ المحرمات.

﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ مجاعةٍ.

﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ﴾ مائلٍ.

﴿لِّإِثۡمٖ﴾ وهو الأكلُ فوقَ الشبع.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لهُ ما أتى عندَ اضطرارِه.

﴿رَّحِيمٞ﴾ لا يؤاخذُه بأكلِه. وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ الأربعةِ في جوازِ أكلِ الميتةِ عندَ الضرورةِ، وقدرِ ما يجوز أكلُه في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٠)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٥٣٣).

(2) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٧).

(3) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٢٨٧).

(4) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٣).

ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٧٣].

***

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ولما تلا عليهم ما حُرِّمَ عليهم، سألَ عديُّ بنُ حاتمٍ وزيدُ بنُ مهلهِلٍ وهو زيدُ الخيلِ الذي سماهُ رسولُ الله ﷺ زيدَ الخير، قالا: «يا رسولَ الله! إنا قومٌ نصيدُ بالكلابِ والبُزاةِ، وإنَّ الكلابَ تأخذُ البقرَ والحمرُ والظباء، فمنه ما ندركُ ذكاتَهُ، ومنه ما تقتلُه، فلا ندركُ ذكاتَهُ، وقد حرَّمَ اللهُ الميتةَ فماذا يحلُّ لنا منها»[1] فنزل قولُه تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ﴾ مبتدأ ﴿أُحِلَّ لَهُمْ﴾ خبرُه.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هي الذبائحُ على اسمِ اللهِ تعالى.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ أي: أُحِلَّ لكم صيدُ الذي علَّمْتُم.

﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ الصوائدِ من سباعِ البهائمِ والطيرِ؛ كالكلبِ، والفهدِ، والنَّمرِ، والبازيِّ، والصَّقْر، والشاهينِ، والعُقابِ.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مُرْسِلي الكلابِ على الصيدِ، والمُكَلِّبُ: مؤدِّبُ الجوارحِ ومُضْرِيها بالصيدِ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٧). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٥).

﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ أي: تؤدِّبونَ الكلابَ.

﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ من تأديبِ الكلابِ للصيدِ.

﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ المعنى: إن الجارحةَ إذا خرجَتْ بإرسالِ صاحِبها، فقتلتِ الصيدَ، كانَ حلالاً إذا كانتْ معلَّمَةً، والمعلَّمَةُ: هي التي إذا أُرسلت، استرسلَتْ، وإذا زُجرت، انزجرتْ، وإذا أمسكَتْ، لم تأكلْ، فإذا وُجدَ ذلكَ منها، فهي معلَّمَةٌ، وبه قالَ أبو حنيفةَ والشافعيُّ وأحمدُ، وقال مالكٌ: لا يُشترط تركُ الأكل إذا كانَ معلَّماً، فيحلُّ أكلُ ما صادَهُ، وإن أكلَ منهُ الكلبُ والبازي.

واختلفَ مشترطو تركِ الأكلِ في حدِّ التعليم، فقالَ أبو حنيفةَ: لا تأقيتَ فيه، فمتى قالَ أهلُ الخبرة: هذا معلَّمٌ، حَكَمْنا بكونه معلَّماً، وقال الشافعيُّ: إذا تكررَ ذلكَ منها مراراً؛ بحيث يظنُّ تأدُّبُ الجارحةِ، كانت معلَّمَةً، وقال أحمدُ: لا يُشترطُ التكرار، فإذا أمسكَ ولم يأكلْ، صارَ معلَّماً. واختلفوا في جوازِ الاصطيادِ بالكلبِ الأسودِ البهيمِ، وهو ما لا بياضَ فيه، فمنع منه أحمدُ؛ لقوله ﷺ: «الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»[1]، وأجازه الثلاثةُ، وأباحوا أكلَ ما قَتَل.

واختلف أيضاً مشترطو تركِ الأكلِ في ذي المخلبِ؛ كالبازي والصقرِ ونحوهما، هل يُشترطُ فيها تركُ الأكل كالكلبِ والفهدِ؟ فقال الشافعيُّ: يُشترطُ، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يُشترطُ.

واختلفوا في اشتراطِ الجرحِ في الصيدِ، فقال الثلاثةُ: لا بدَّ أن يجرح،

---

(١) رواه مسلم (٥١٠)، كتاب: الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

فإن قتلتْهُ الجارحةُ بصدمته أو خنقِه، لم يُبَحْ، وقال الشافعيُّ: إذا تحاملَتْ عليه فقتلَتْه بثقلِها، حَلَّ.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: سَمُّوا عليه عندَ إرساله.

واختلفَ الأئمةُ في التسميةِ عندَ إرسالِ الكلبِ، أو الرمي بالسهمِ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: إنْ تركَ التسميةَ عندَ إرسالِه أو رميِه على الصيدِ عامداً، لم يجزْ أكلُه، وإن تركَها ناسياً، جازَ، وكذا الحكمُ عندَهما في التسمية عندَ الذبح، وقال الشافعيُّ: يحلُّ الأكلُ، سواءٌ تركَها عامداً أو ناسياً في الصيدِ والذبحِ؛ لأن التسميةَ عندَه سُنَّةٌ، وقال أحمدُ: إنْ تركَ التسميةَ في الصيدِ عمداً أو سهواً، لم يُبَحْ، والحكمُ عندَه في الذبحِ كأبي حنيفةَ ومالكٍ.

ويُشترطُ في الذابحِ والصائدِ أن يكونَ مسلِماً أو كتابياً، فلا يحلُّ صيدُ مجوسيٍّ، ولا وثنيٍّ، ولا مرتدٍّ، ولا ذبائحُهم، بالاتفاق، والشافعيُّ يشترطُ أن يكونَ الكتابيُّ ممن تحلُّ مناكحَتُهُ، وهو أن يُعْلَمَ دخولُ قومِه في دينِ اليهوديةِ أو النصرانيةِ قبلَ نسخِه وتحريفِه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في محرَّماتِه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو أخذُكُم بما جَلَّ ودَقَّ.

* * *

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ أعادَهُ تأكيداً؛ أي: الطيباتُ التي سألتُم عنها.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ همُ اليهودُ والنصارى، ومن دخلَ في دينهم قبلَ مبعثِ النبيِّ ﷺ.

﴿حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾ أي: يحلُّ لكم طعامُهم وإطعامُهم.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ، تقديره: حِلٌّ لكمْ.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وإن كُنَّ حربياتٍ، فيباحُ نكاحُ حرائرِ أهلِ الكتابِ بالاتفاق، والشافعيُّ على أصلِه كما تقدَّم قريباً في حكمِ الصيد والذبحِ من الاشتراطِ في الكتابيِّ.

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورَهُنَّ.

﴿مُحۡصِنِينَ﴾ أَعِفَّاءَ(١).

﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ مُجاهِرينَ بالزنا.

﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾ جمعُ خِدْنٍ، وهو الصديقُ، يطلق على الذكر والأنثى؛ أي: ولا مُسِرِّينَ بالزنا، وتقدمَ في سورةِ النساءِ اختلافُ الأئمةِ في نكاحِ الأمةِ الكتابيةِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ [الآية: ٢٥].

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: يُنكرْ شرائعَ الإسلامِ.

﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ إن ماتْ عليه.

﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ للثوابِ.

---

(١) «أعفاء» ساقطة من «ن».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي: أردتم القيامَ.

﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردتَ القراءةَ، وظاهرُ الآيةِ يوجبُ الوضوءَ على كُلِّ قائمٍ إلى الصلاةِ، وإن لم يكنْ مُحْدِثاً، والإجماعُ على خلافِه، لأن المرادَ: إذا قمتُم إلى الصلاةِ وأنتم على غيرِ طهر[١]؛ بدليلِ أَنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى الخمسَ صلواتٍ بوضوءٍ واحدٍ يومَ الفتحِ[٢].

﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ وحدُّ الوجهِ من مَنابتِ[٣] شعرِ الرأسِ إلى ما انحدَرَ من اللَّحْيَيْنِ؛ والذَّقَنِ طولاً، ومن الأذنِ إلى الأذنِ عرضاً، فيجبُ غسلُ جميعِه بالاتفاق، فإن كان فيه شعرٌ خفيفٌ يصفُ البشرةَ، وجبَ غسلُها معه، وإن كان يسترُها، أجزأَهُ غسلُ ظاهرِها، ويستحبُّ تخليلُهُ.

---

(١) في «ظ»: «وضوء».

(٢) رواه مسلم (٢٧٧)، كتاب: الطهارة، باب: جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ظ»: «منبت».

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ وتدخلُ المرافقُ في الغَسْل بالاتفاق؛ لورودِ السنةِ بذلك.

﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ الباءُ مزيدةٌ. واختلفَ الأئمةُ رضي الله عنهم في قدرِ الواجبِ من مسحِ الرأسِ، فقال أبو حنيفةَ: ربعُه، وقال مالكٌ وأحمدُ: جميعُه، وقال الشافعيُّ: قدرُ ما يُطلقُ عليه اسمُ المسح، وأجاز أحمدُ المسحَ على العِمامة إذا كانَ منها شيءٌ[1] تحتَ الحَنَكِ، وعلى خُمُرِ النساءِ المدارَةِ تحتَ حلوقهنَّ؛ خلافاً للثلاثة.

﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ وهما العظمانِ الناتئانِ من جانبِ القدمين، وهما مجتمعُ مفصلِ الساقِ والقدمِ، فيجبُ غسلُهما مع القدمين بالاتفاق. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وحفصٌ: (وَأَرْجُلَكُمْ) بنصبِ اللامِ عطفاً على الأيدي، وقرأ الباقون: بالخفضِ عطفاً على الرؤوس[2]، وإن كانت غيرَ ممسوحةٍ حثاً على الاقتصادِ في صَبِّ الماءِ على الرِّجْلينِ؛ لأنهما مَظِنَّةُ الإسرافِ في صبِّ الماء.

واختلفوا في الترتيبِ كما ذكرَهُ اللهُ تعالى، فقال الشافعيُّ وأحمدُ بوجوبه، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: هو سنة.

واختلفوا في الموالاة، وهي ألاَّ يُؤَخِّرَ غسلُ عضوٍ حتى ينشفَ الذي

---

(١) في «ظ»: «شيء منها».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٤٤ـ٦٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٤ـ١٩٥).

قبلَه، فقال مالكٌ وأحمدُ: هي واجبةٌ، وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: هي مسنونةٌ.

واختلفوا في التسميةِ، فقال الثلاثة: هي سُنَّةٌ، وقال أحمدُ: هي واجبةٌ، لكنْ تسقطُ سهواً.

واختلفوا في المضمضةِ والاستنشاقِ، فقال أحمدُ: هما واجبان، ولا يسقطانِ سهواً، وقال الثلاثة: هما سنَّةٌ.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾ فاغتسلوا.

واختلفوا في المضمضةِ والاستنشاقِ في الغُسْلِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: هما فرضٌ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: هما سنة كما في الوضوءِ.

واختلفوا في الدلكِ في الوضوءِ والغُسْلِ، فعند مالكٍ: هو شرطٌ، وعند الثلاثةِ: لا يُشترط إذا عَمَّ جسدَه بالماء.

واختلفوا في النيَّةِ في الوضوءِ والغُسلِ، فقال أبو حنيفةَ: هي مستحبَّةٌ، وقال الثلاثةُ: هي واجبةٌ، واختلافُهم في التسميةِ عندَ الغسلِ كاختلافِهم فيها عندَ الوضوء كما تقدم قريباً[1].

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ أي: من الصعيدِ، وتقدَّم في سورةِ النساء تفسيرُ نظيرِ هذهِ الآيةِ، واختلافُ القراء فيها، واختلافُ الأئمة في حكمِها مستوفًى.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بالأمرِ بالطهارةِ للصلاةِ أو الأمرِ بالتيممِ.

---

(١) «كما تقدم قريباً» سقط من «ظ».

﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ ضيقٍ.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ منَ الأحداثِ والذنوبِ.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بالترخُّصِ عندَ المرضِ والسفرِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لتشكروا نعمتَهُ فتُقْبِلوا على طاعته.

ودلتِ الآيةُ على المسحِ على الخفينِ، وهو جائزٌ بالاتفاق، فعندَ الثلاثةِ: يمسحُ المقيمُ يوماً وليلةً، والمسافرُ ثلاثةَ أيامٍ بلياليها، أولُها من الحدثِ بعدَ اللبس، وعند مالكٍ: لا توقيتَ فيه لمقيمٍ ولا لمسافرٍ، وشرطُه أن يُلْبَسَ بعدَ كمالِ الطهارةِ بالاتفاق.

واتفقوا على أن المسحَ يخصُّ ما حاذى ظاهرَ القدمين، ثم اختلفوا هل يُسَنُّ، مسحُ محاذي باطنِ القدمين؟ فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يسنُّ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: يُسَنُّ، و[1]اختلفوا في قدرِ الإجزاءِ من المسحِ على الخفَّينِ، فقال أبو حنيفة: مقدارُ ثلاثةِ أصابعَ من اليدِ، وقال مالكٌ: يستوعبُ محلَّ الفرضِ، وقال الشافعي: ما يقعُ عليهِ اسمُ المسحِ، وقال أحمدُ: يجبُ مسحُ أكثرِ أعلاه.

***

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ أي: عهدَه الذي عهدَ إليكم.

---

(١) في «ظ»: «ثم».

﴿ إِذْ قُلْتُمْ ﴾ للنبيِّ ﷺ.

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وذلك حين بايعوا رسولَ الله عليه الصلاة والسلام على السمعِ والطاعةِ فيما أَحَبُّوا وكَرِهوا.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في نقضِ ميثاقِه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بخفيَّاتها.

***

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾.

[٨] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ لأجلِ ثوابِ اللهِ.

﴿ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: كونوا قائمينَ بالعدلِ قوَّالينَ بالقسطِ.

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ يحملنَّكُمْ.

﴿ شَنَآنُ ﴾ بغضُ.

﴿ قَوْمٍ ﴾ يعني: المشركين. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، بخلافٍ عن الأول (شَنْآنُ) بإسكان النون، والباقون: بالتحريك[١].

﴿ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ فيهم؛ لعداوتكم إياهم، بل[٢] ﴿ اعْدِلُوا ﴾ في أوليائِكُم وأعدائِكُم ﴿ هُوَ ﴾ أي: العدلُ.

---

(١) تقدمت عند تفسير الآية (٢) من هذه السورة.

(٢) «بل» زيادة من «ظ».

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وإذا كانَ هذا العدلُ معَ الكفارِ، فما ظَنُّكَ بالعدلِ معَ المؤمنين؟

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

***

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هذا موضعُ النصب؛ لأن فعلَ الوعدِ واقعٌ على المغفرةِ، ورفعُها على تقديرِ: أيْ: وعدَهُمْ وقالَ لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ.

***

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ نزلَتْ في بني النَّضِيرِ، وقيلَ: في جميعِ الكفارِ.

ونزل لما أريدَ الفتكُ برسولِ الله ﷺ، فلم يُمكِّنِ اللهُ منه، وذلكَ أنه عليه الصلاة والسلام جاءَ إلى قومٍ من اليهود، وهم كعبُ بنُ الأشرفِ وبنو النضير يستقرضُهم ديةَ مسلِمَيْنِ قتلَهما عَمْرُو بنُ أمية الضَّمْرِيُّ خطأً يحسبُهما مُشرِكَينِ، فقالوا: نعم، وهَمُّوا بقتله، فمنعه الله منهم:

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾.

[١١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[١] بالدَّفعِ عنكم، و(نعمت) رُسمت بالتاء في أحدَ عشرَ موضعاً، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ.

﴿ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ بالقتلِ، يقال: بسطَ إليهِ يدَهُ: إذا بطشَ بهِ، وبسطَ إليهِ لسانَهُ: إذا شتَمَهُ.

﴿ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ منعَها ﴿ عَنكُمۡۖ ﴾ أن تُمدَّ إليكم.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ فإنَّه الكافي لإيصالِ الخيرِ ودفعِ الشرِّ.

* * *

﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٤٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٤٩).

﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ من كلِّ سبطٍ نقيباً، والنقيبُ: الضَّمينُ والأمين، وهو الذي ينقبُ عن الأمور، ويتعرَّفُها.

رُوي أن بني إسرائيل لما فرغوا من أمرِ فرعونَ، واستقرُّوا بمصرَ، أمرَ اللهُ موسى وقومَه بالخروجِ إلى أريحا من أرضِ الشامِ، وكان يسكنُها الكنعانيون الجبارون ومنهم(١) عوجُ بنُ عنق وأصحابُه، ونسبته لأم عناقَ بنتِ آدمَ عليه الصلاة والسلام، وكان طولُه ثلاثةَ آلافٍ وثلاثَ مئةٍ وثلاثةً وثلاثينَ وثلثَ ذِراعٍ، وكان يَحْتَجِزُ بالسحابِ، ويشربُ منه، ويتناولُ الحوتَ من قَرارِ البحرِ فيشويهِ بعينِ الشمسِ يرفعُه إليها، ثم يأكلُه، وعاشَ ثلاثةَ آلافِ سنةٍ حتى أهلكَه الله على يدِ موسى عليه الصلاة والسلام، وذلك أنه قطع صخرةً على قدرِ عسكرِ موسى ليطرحَها عليهم، وكان العسكرُ فرسخاً في فرسخ، فبعثَ اللهُ الهدهدَ، فقوَّرَ الصخرةَ بمنقاره، فوقعتْ في عنقِه، فصرعَتْهُ، فوثب موسى عليه الصلاة والسلام، وكانت وثبتُهُ عشرةَ أذرعٍ، وطولُه مثلُ ذلك، وطولُ عصاته مثلُ ذلك، ولم يلحقْ إلا عرقوبَه، فضربَهُ فقتله، وتُرِكَ بموضعِه، وأردمَ عليه بالصخر والرمل(٢)، فكانَ كالجبلِ العظيمِ في صحراءِ مصرَ، ولما أمرَ اللهُ بني إسرائيلَ بالخروج إلى أريحا، قال لهم: إنِّي كتبتُها لكم دارَ قرارٍ، فاخرجوا إليها، وجاهدوا

---

(١) «ومنهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «بالرمل والصخر».

مَنْ فيها؛ فإني ناصرُكم عليهم[1]، واتخذَ موسى من قومِهِ اثني عشرَ نقيباً، فعاهدَهُم أن يكفلوا بقومِهم، ولا يحدِّثوهم بما يرونَ من الجبارين، فلما رأوهم وما هم عليه من عِظَمِ الأجسادِ، نقضوا العهدَ، وحدثوهم، إلا كالبَ بنَ يوقنا من سبطِ يَهوذا ختنَ موسى على أختِهِ مريمَ بنتِ عمران، ويوشعَ بنَ نون من سبطِ أَفراييمَ بنِ يوسفَ فتى موسى، وأما أسماءُ العشرةِ الذين نقضوا العهدَ من النقباء، فهم شموعُ بنُ زكور من سبطِ روبين[2]، وشافاطُ[3] بن حوري من سبطِ شمعون، ويغال بنُ يوسفَ من سبطِ يساخر، وبلطي بن رافوا من سبطِ بنيامين، وكدي بن سودي من سبطِ زبولون، وكدي بن سوسي من سبط منشا بنِ يوسفَ، وعميال بن كملي من سبط دان، وستورُ بن ميخائيل من سبطِ آشر، ونحبى بنُ وقسي من سبط نفتالي، وكوئيلُ بنُ ماخي من سبطِ كاد، فهؤلاء الذين دعا موسى عليهم، فهلكوا مسخوطاً عليهم[4].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ﴾ ناصرُكم على عدوِّكم.

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ عَظَّمتموهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاقِ في سبيل الخيرِ.

﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ﴾ أي: لأمحوَنَّ عنكمُ.

---

(١) «عليهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «روبيل».

(٣) في «ش»: «شافط».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٥٠)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٩).

﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ طريقَ الحق.

* * *

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ أي: فبنقضِهم، و(ما) صلةٌ.

﴿مِّيثَـٰقَهُمْ﴾ بتكذيبِ الرسلِ بعد موسىٰ، وقتلِ الأنبياءِ، ونبذِ كتابِ الله، وتضييعِ فرائضِهِ.

﴿لَعَنَّـٰهُمْ﴾ طردْناهم من رحمتِنا.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ يابسةً لشوبهم الإيمانَ بموسى والتوراةِ بكفرِهم بمحمدٍ والقرآن. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (قَسِيَّةً) بتشديد الياء من غير ألف، وهما لغتان، مثل زاكِية وزَكِيَّة(١).

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ أي: يُبدلون نعتَ محمدٍ ﷺ.

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ في كتبِهم؛ لأنَّ من قسا قلبُه، يقدمُ على فعلِ(٢) ما لا يجوزُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٧).

(٢) «فعل» زيادة من «ظ».

﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ تركوا نصيباً وافياً.

﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾ من الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ، والقرآنِ.

﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمدُ.

﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهرُ.

﴿عَلَىٰ خَائِنَةٍ﴾ أي: خيانة.

﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: نقضِهم العهدَ، ومظاهرتهم المشركينَ في حَرْبِكَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ هم الذين آمنوا منهم.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ اتركْهم لا تتعرَّضْ لهم، ونُسخت بآية السيفِ.
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

***

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ونزل في النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ سمَّوا أنفسَهم بذلكَ ادِّعاءً لنُصرةِ اللهِ.

﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ أي: وأخَذْنا من النصارى ميثاقَهم على التوحيدِ والإيمانِ بالأنبياءِ مثلَ الميثاقِ المأخوذِ قديماً على اليهود.

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾ فنقضوا الميثاقَ.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ هيَّجْنا.

﴿بَيْنَهُمُ﴾ أي: بينَ فرقِ النصارى المختلفةِ.

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ بالأهواءِ المختلفةِ؛ كاليعقوبيةِ، والملكائيةِ، والنسطورية، وغيرِهم[(١)]، فكلُّ فرقة تكفِّرُ الأخرى، وتقدَّم اختلافُ القراءِ في حكم الهمزتينِ من كلمتينِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكذلك اختلافهم في قولِه: ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ﴾.

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ بالعقاب والجزاء[(٢)].

* * *

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم قال مخاطباً اليهود والنصارى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وحدَّ الكتاب؛ لأنه للجنسِ.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كنعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجمِ في التوراةِ، وبِشارةِ عيسى بأحمدَ في الإنجيلِ.

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ﴾ ممَّا تُخفونه، فلا يؤاخذُكم به.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ هو محمدٌ ﷺ.

---

(١) «وغيرهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «بالجزاء وبالعقاب».

﴿ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ القرآنُ؛ فإنَّه يبيِّنُ الأحكامَ.

***

﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ ﴾ أي: بالقرآنِ العظيمِ، وبمحمدٍ النبيِّ ﷺ، وَحَّدَ الضميرَ؛ لأنَّ المرادَ بهما واحدٌ.

﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ أي: ما رضيَهُ الله. قرأ أبو بكرٍ: (رُضْوان) و(رُضْوَاناً) بضمِّ الراء حيثُ وقعَ سوى هذا الحرفِ، ونُبِّهَ عليه في سورة آل عمران(١).

﴿ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ طرقَ السلامةِ الموصلةَ إلى الجنةِ.

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ من أنواعِ الكفرِ.

﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ إلى الإيمان.

﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بإرادته.

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ طريقٍ هو أقربُ الطرقِ إلى اللهِ تعالى.

***

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ

---

(١) انظر: تفسير الآية (١٥) من سورة آل عمران.

﴿وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ وهم اليعقوبيةُ والملكائيةُ من النصارى، يقولون: المسيح هو الله.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: فمن يمنعُ من قدرته شيئاً.

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ أعلمَ اللهُ سبحانه وتعالى أَنَّ المسيحَ بنَ مريمَ لو كانَ إلهاً، لقدرَ على دفعِ ما ينزلُ به أو بغيرِه، وقد أمات الله أُمَّه ولم يتمكَّنْ من دفع الموتِ عنها، فلو أهلكَهُ هو أيضاً، فمَنْ يدفعه عن ذلك؟

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ﴾ والمسيحُ وأُمُّهُ بينَهما مخلوقانِ محدودانِ، وما أحاطَ به الحدُّ والنهايةُ، لا يصحُّ للإلهيةِ[1] وقال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ ۚ﴾، ولم يقل: بينهنَّ؛ لأنه أرادَ النوعينِ.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ من ذكرٍ وأنثى، ومن أمٍّ بلا أبٍ؛ كعيسى، ومن أبٍ بلا أم؛ كحواء[2]، ومن غير أب ولا[3] أم؛ كآدمَ عليه السلام، لا اعتراض عليه عزَّ وجلَّ في خلقِه، ولا في ملكِه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

---

(١) في «ظ»: «للألوهية».

(٢) «ومن أن بلا أم كحواء» زيادة من «ظ».

(٣) «لا» زيادة من «ظ».

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ قيل: أرادوا أنَّ اللهَ لهمْ كالأبِ في الشفقةِ والرحمةِ، وهم كالأبناءِ له في المنزلةِ عندَه، والقربِ منه ـ عزَّ وجلَّ ـ، فأمر سبحانه وتعالى نبيَّه محمداً ﷺ أن يقولَ لهم مُنْكِراً عليهم ما قالوا[١].

﴿قُلْ﴾ إنْ صحَّ ما زعمتُم.

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ لأنَّ الحبيبَ لا يعذِّبُ حبيبَه، والوالدُ لا يعذبُ ولده، وقد عُذِّبْتُم بالمسخِ قديماً، واعترفتم أنه سيعذِّبُكم بالنارِ أياماً معدودةً.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ من بني آدمَ.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنونَ.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم الكفار[٢].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فلا شريكَ يعارِضُه فيهما[٣].

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: يؤولُ أمرُ العبادِ إليه في الآخرةِ.

* * *

(١) «ما قالوا» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «الكافرون».

(٣) «فيهما» زيادة من «ظ».

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾.

[١٩] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ شرائعَ الإسلامِ.

﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾ انقطاعِ وجودِ أحدٍ(١).

﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ وكانتِ الفترةُ بينَ محمدٍ وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ خمسَ مئةٍ ونحوَ تسعين سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك، فكانت الرسلُ تَتْرى من(٢) موسى إلى عيسى ـ عليهما الصلاةُ السلام ـ، ولم يكن بعدَ عيسى عليه السلام سوى نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

﴿أَن تَقُولُواْ﴾ لئلاَّ تقولوا معتذرينَ:

﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾ أي: مبشرٍ ومنذرٍ، والفاءُ بعدَها متعلقةٌ بمحذوفٍ تقديرُه: لا تعتذروا.

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ نزلَتْ لما قالتِ اليهودُ: ما أنزلَ اللهُ من كتابٍ بعدَ موسى، ولا أرسلَ بعدَه من بشيرٍ ولا نذيرٍ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فيقدرُ على إرسال مَنْ شاءَ من خلقِهِ.

* * *

---

(١) «وجود أحد» زيادة من «ظ».

(٢) في «ن»: «بين».

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ ﴾ فأرشدَكُم بهم، ولم يبعث في أُمَّةٍ ما بعثَ في بني إسرائيلَ من الأنبياءِ.

﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ أصحابَ حَشَمٍ وخَدَمٍ.

﴿ وَءَاتَىٰكُم ﴾ من المنِّ والسَّلْوى وتظليلِ الغَمامِ وفَلْقِ البحرِ وغيرِ ذلكَ من النِّعَمِ.

﴿ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني عالَمي زمانِكم، تبيينٌ من اللهِ تعالى أَنَّ أسلافَهم تمرَّدوا على موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وعصَوْه، فكذلكَ هؤلاءِ مع محمدٍ ﷺ، وهو تسليةٌ له ﷺ.

* * *

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ هي أرضُ بيتِ المقدسِ أو أَريحا. قرأ الكسائيُّ: (الْمُقَدَّسَةَ) بإمالةِ السينِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيثِ. المعنى: اسكنوا الأرضَ الطاهرةَ.

﴿ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ خلقِكم أَنَّكم تقتسمونها،

وتسكنونَها بعدَ أعدائكم ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ لا ترجِعوا على أعقابِكم منهزمينَ خوفَ العدوِّ.

﴿فَتَنقَلِبُوا﴾ بالخيبة ﴿خَٰسِرِينَ﴾ ثوابَ الدارَيْنِ.

وأما حدودُ الأرضِ المقدسةِ، فمنَ القِبْلَةِ أرضُ الحجازِ الشريفِ، يفصلُ بينَهُما جبالُ الشورى، وهي جبالٌ منيعةٌ بينَها وبينَ أيلةَ نحوُ مرحلةٍ، وسطحُ أيلةَ هو أولُ حدِّ الحجازِ من جهةِ الشامِ، وهي من تيهِ بني إسرائيلَ، وبينَها وبينَ بيتِ المقدسِ نحوُ ثمانيةِ أيامِ سير الأثقال، ومن الشرقِ من بعدِ دومةِ الجندلِ بريةُ السَّماوَةِ، وهي كبيرةٌ ممتدةٌ إلى العراقِ، ينزلُها عربُ الشام، ومسافتُها عن بيتِ المقدس نحوُ مسافةَ أيلةَ، ومنَ الشَّمالِ مما يلي الشرقَ نهرُ الفراتِ، ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ نحوُ عشرين يوماً سير[(١)] الأثقالِ، فيدخلُ في هذا الحدِّ المملكةُ الشاميةُ بكمالِها، ومن الغربِ بحرُ الرومِ، وهو البحرُ المالحُ ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ من جهةِ رَمْلَةِ فلسطينَ نحوُ يومينِ، ومن الجنوبِ رمل مصرَ والعريشُ، ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ نحوُ خمسةِ أيامِ سير الأثقالِ، ثم يليهِ تيهُ بني إسرائيلَ وطورُ سيناءَ، ويمتدُّ من تلكَ الجهةِ إلى تبوكَ، ثم دومةُ الجندلِ المتصلةُ بالحدِّ الشرقيِّ، ويأتي ذكرُ حدِّ حرمِ مكةَ في سورةِ التوبة، وحرمِ المدينةِ في سورةِ الأحزابِ إن شاء الله تعالى.

***

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) في «ن»: «بسير».

[٢٢] ولما علمَ بنو إسرائيلَ بإخبارِ نُقبائِهم أحوالَ الجبابرةِ[١]، وما هم عليه من الشدةِ والمنعَةِ وعِظَمِ الأجسادِ، جَبنُوا عن لقائِهم ودخولِ أرضِهم.

﴿ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ متغلِّبينَ، والجبارُ: هو الذي يُجبر الناسَ على ما يُريد، وكانوا من العمالقةِ وبقيةِ قومِ عادٍ. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ، وورشٌ بخلافٍ عن الثاني (جَبَّارِينَ) بالإمالة[٢].

﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ إذْ لا طاقةَ لنا بهم.

***

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) ﴾.

[٢٣] ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ من النُّقباء هما[٣] كالبُ ويوشعُ.

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ اللهَ ويتقونهُ.

﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بالإيمانِ والتثبيتِ.

﴿ ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ﴾ بابَ مدينتِهم.

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾ لتعسُّرِ الكرِّ عليهم في المضائقِ من عظمِ

---

(١) في «ظ»: «الجبارين».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠١).

(٣) في «ت»: «هم» وهي ساقطة من «ن».

أجسامهم[1]؛ لأنهم أجسامٌ لا قلوبَ فيها، فلا يهولنَّكُمْ منظرُهم، وعَلِما ذلكَ لأنَّ موسى عليه الصلاة والسلام أعلمهما أنَّ الغلبةَ لبني إسرائيل.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ به، ومصدِّقينَ لوعدِه.

* * *

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾.

[٢٤] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ نَفَوا دخولَهم على التأكيدِ والتأبيدِ.

﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ ثم إنَّهم لجهلِهم واستخفافِهم بموسى عليه الصلاة والسلام قالوا له: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ جَهلوا صفةَ الربِّ سبحانَهُ، ووصفوهُ بالذهابِ والانتقالِ، وهو مُتَعالٍ عن ذلكَ، وهذا يدلُّ على أنهم كانوا مُشَبِّهَةً.

* * *

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٥﴾.

[٢٥] ولما رأى موسى عليه الصلاة والسلام مخالفةَ بني إسرائيلَ وتمرُّدَهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ لا يملكُ إلا نفسه.

---

(١) في «ظ»: «أجسادهم».

﴿ فَٱفۡرُقۡ ﴾ فافْصِلْ.

﴿ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ بأنْ تحكمَ لنا بما نستحقُّهُ، وتحكمَ عليهم بما يستحقُّونَ، قالَه شَكْوى بَثِّهِ وحزنِهِ إلى اللهِ تعالى لما خالفَهُ قومُه، ولم يبقَ مَعُه مرافقٌ له[1] غيرُ أخيهِ هارونَ عليه الصلاة والسلام، والرجلانِ المذكورانِ.

* * *

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ اللهُ تعالى.

﴿ فَإِنَّهَا ﴾ أي: الأرضَ المقدسةَ.

﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ ﴾ ممنوعةٌ منهم[2] لا يدخلونَها بسببِ عصيانِهم.

﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ يتردَّدون فيها متحيِّرينَ.

﴿ فَلَا تَأۡسَ ﴾ تحزنْ.

﴿ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ خاطبَ بهِ موسى عليه الصلاة والسلام لما ندمَ على الدُّعاء عليهم، فلبثوا أربعينَ سنةً في ستةِ فراسخَ يسيرونَ كلَّ يومٍ جادِّينَ، فإذا أَمْسَوْا، كانوا في الموضِعِ الذي ارتحلُوا عنهُ، وكانوا ستَّ مئةِ ألفِ مقاتلٍ. والتيهُ: أرضٌ بالقربِ من أَيلةَ التي هي حدُّ أرضِ[3] الحجازِ من

---

(١) «له» زيادة من «ظ».

(٢) «منهم» زيادة من «ظ».

(٣) «أرض» زيادة من «ظ».

جهةِ الشامِ، وطولُ أرضِ[1] التيهِ نحوٌ من ستةِ أيام، والصحيحُ أنَّ موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام كانا في التيه، ولم يكنْ عقوبةً لهما، بل كانَ راحةً ورحمةً؛ كإبراهيمَ عليه الصلاة والسلام حين أُلقيَ في النار، وماتَ هارونُ عليه السلام في التيه، كما تقدَّم في أواخرِ سورةِ النساءِ، ولم يحضر بنو إسرائيلَ موتَه، فاتهموا موسى بقتلِه، فقالَ لهم: يا سفهاءَ بني إسرائيلَ! ماذا لقيتُ منكم؟ أقتلُ أخي وشقيقي وعَضُدي؟! ثم دعا اللهَ تعالى أن يبرئَهُ عندَهم من ذلك[2]، فأمر اللهُ الملائكةَ أن يحملوا سريرَ هارون الذي وُضعَ عليهِ بداخلِ الكهفِ الذي دُفنَ فيه، فحملوه في الهواء بينَ السماءِ والأرض، ونادتِ الملائكةُ: يا بني إسرائيلَ! لا تتَّهموا موسى بقتلِ أخيهِ هارونَ[3]، فهذا سريرُه قد قبضَهُ اللهُ تعالى، فحزنَ بنو إسرائيلَ على موتِه؛ لأنه كانَ محبوباً عندَهم، ولم يدخلِ الأرضَ المقدسةَ أحدٌ مِمَّنْ قالَ: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾، فلما انقرضوا على رأسِ أربعينَ سنةً، سارَ موسى بالمؤمنينَ نحوَ القريةِ إلى بابِ حِطَّةَ، ومكتوبٌ عليه اسمُ اللهِ الأعظمُ، وأقبلَ المؤمنون فسجَدُوا عندَ الباب، ودخلَ أولادُ الفاسقينَ، وبدَّلوا قولاً غيرَ الذي قِيلَ لهم كما تقدَّم في سورةِ البقرةِ، وغلبَ موسى على مدينةِ أَريحا، ثم تُوفي موسى بعدَ وفاةِ هارونَ بأحدَ عشرَ شهراً.

وفي «الصحيح» من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، فَلَمَّا جَاءَهُ، صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عز

---

(١) «أرض» زيادة من «ظ».

(٢) «من ذلك» زيادة من «ظ».

(٣) «هارون» زيادة من «ظ».

وجل، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ! قَالَ[1]: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ وَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ! ثُمَّ ماذا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ، لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[2]، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ قَدْرُ عمرِه، وتاريخُ وفاتِه، ومحلُّ قبرِه عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

ولما تُوفي موسى عليه السلام، قامَ بعدَ وفاتِه بتدبيرِ بني إسرائيلَ يوشعُ بنُ نون، بعثَه اللهُ نبياً، وأمرَهُ بقتلِ الجبارين، فتوجَّهَ ببني إسرائيلَ إلى أريحا، وأحاطَ بها ستةَ أشهرٍ، فلما كانَ الشهر[3] السابعُ، نفخوا في القرونِ، وضجَّ الشعبُ ضجةً واحدةً، فسقطَ السورُ، ودخلوا، فقاتلوهم، وهجموا على الجبارينَ فهزموهم وقتلوهم، وكان ذلكَ في[4] يومِ الجمعةِ، وقد بقيتْ منهم بقيةٌ، وكادتِ الشمسُ تغربُ وتدخلُ ليلةُ السبتِ، فدعا يوشعُ وقال: اللهمَّ ارْدُدِ الشمسَ عليَّ، وسألَ الشمسَ أن تقفَ، والقمرَ أن يقيمَ[5] حتى ينتقمَ من أعداءِ اللهِ قبلَ دخولِ السبتِ[6]، فوقفتِ الشمسُ،

---

(١) «قال» ساقطة من «ظ».

(٢) رواه البخاري (١٢٧٤)، كتاب: الجنائز، باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، ومسلم (٢٣٧٢)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام.

(٣) «الشهر» زيادة من «ظ».

(٤) «ذلك في» زيادة من «ظ».

(٥) في «ظ»: «يقتمر».

(٦) «قبل دخول السبت» ساقطة من «ظ».

وزِيدَ في النهارِ ساعة حتى قتلَهم أجمعينَ، وتَتبَّعَ ملوكَ الشامِ واستباحَهم، وملكَ الشامَ، وفرَّقَ فيها عمالَه، واستمرَّ يدبِّرُ بني إسرائيلَ ثماني وعشرينَ سنةً، ثم تُوفي وله مئةٌ وعشرُ سنينَ، ودُفن في كفل حارس: قريةٍ من أعمالِ نابُلُسَ، وقيل: إنه مدفونٌ في المعرَّةِ، وفي القصةِ اختلافٌ بين المفسرينَ والمؤرخين، واللهُ أعلمُ[1].

* * *

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾.

[٢٧] ثم أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى نبيه[2] محمداً ﷺ أن يقصَّ على حاسديهِ ما جرى بسببِ الحسدِ؛ ليتركوهُ ويؤمنوا، فقال:

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ هابيلَ وقابيلَ.

﴿ بِٱلۡحَقِّ﴾ خبرهما مُتَلَبِّساً بالصدق. قرأ السوسيُّ عن أبي عَمْرٍو (آدَمْ بِالْحَقِّ) وشبهَهُ بإسكانِ الميمِ عندَ الباء، وتقدَّم الكلامُ عليه في سورةِ البقرةِ.

﴿ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ وكان سببُ قربانهما أنَّ حواءَ كانتْ تحمل[3] في كلِّ بطنٍ غلاماً وجاريةً، وجميعُ أولادِها أربعونَ ولداً في عشرينَ بطناً، إلاَّ شيثاً عليه السلام وُلِدَ منفرداً، وكان آدم عليه السلام[4] يزوِّجُ أنثى هذا البطنِ بغيرِ ذكرِه، فقالَ لقابيلَ: إن الله تعالى أمرني أن أُنكح أختَكَ إقليميا بهابيلَ،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٤١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٦١).

(٢) «نبيه» زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «تلد».

(٤) في «ظ» زيادة: «فإنه».

وأُنكحك أختَه ليودا[١]، فقبلَ هابيلُ، وأبى[٢] قابيلُ، وكانت أختُ قابيلَ أحسنَ من أختِ هابيلَ، فقالَ له أبوه: إنها لا تحلُّ لكَ، فأبى أن يقبلَ ذلك، وقالَ: إن الله لم يأمرْهُ بهذا، وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدمُ عليه الصلاة والسلام: قَرِّبا قرباناً، فأيُّكما قُبِلَ قربانُه، فهوَ أحقُّ بإقليميا، وكانتِ القرابين إذا قُبلت، نزلَتْ نارٌ من السماءِ بيضاءُ فأكلَتْها، وإذا لم تكنْ مقبولةً، لم تنزلِ النارُ إليها[٣] وتأكلُها الطيورُ والسباعُ، فخرجا ليقربا القربانَ، وكان قابيلُ صاحبَ زَرْعٍ، فقرَّبَ صُبْرَةً من طعامٍ من أردأ زرعِه، وأضمرَ في نفسِه، وقالَ[٤]: ما أُبالي أَتقبلُ مني أم لا، لا يتزوَّجُ أختي أبداً، وكان هابيلُ صاحبَ غَنَمٍ، فعمَدَ إلى أحسنِ كبشٍ في غنمِه، فقرب به[٥]، وأضمرَ في نفسِه رِضا اللهِ ـ عز وجل ـ، فوضَعا قربانَهما على الجبل، ثم دعا آدمُ عليه السلام، فنزلت نارٌ من السماءِ فأكلَتْ قربانَ هابيل، ولم تأكلْ قربانَ قابيل، ورُفع قربانُ هابيل، فبقيَ في الجنةِ يرعى حتى فُدِي به إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ـ عليهما الصلاة والسلام، فذلك قوله تعالى:

﴿فَنُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾[٦] يعني: هابيلَ

﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ يعني: قابيل، فازداد حَنَقاً في هابيلَ وتهدَّدَهُ.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لِمَ؟ قالَ: لأنَّ اللهَ قبلَ قربانَكَ ولم يَقبلْ قُرباني،

---

(١) في «ظ»: «بيودا».

(٢) في «ظ»: «ولم يقبل».

(٣) «إليها» زيادة من «ظ».

(٤) «وقال» زيادة من «ظ».

(٥) في «ظ»: «فقربه».

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٦٢ـ٦٦٣).

وتنكحُ أختي الحسناءَ، وأنكحُ أختكَ الذميمةَ، فيتحدَّثُ الناسُ أَنَّكَ خيرٌ مني.

﴿قَالَ﴾ له هابيل: لا ذنبَ لي.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وأنتَ غيرُ متقٍ.

***

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] وكان هابيلُ أقوى وأبطشَ من أخيهِ قابيلَ[١]، ولكنْ كانَ في شريعتِهم أنَّ الرجلَ إذا أرادَ قتلَه رجلٌ آخرُ، لا يمتنعُ عليه، فلذلك قال له:

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ مددت[٢].

﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾ أي[٣]: بمادٍّ.

﴿يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يَدِي إِلَيْكَ) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[٤]، وقرأ حمزةُ، وعاصمٌ، والكسائيُّ،

---

(١) «قابيل» زيادة من «ظ».

(٢) «مددت» زيادة من «ظ».

(٣) «أي» ساقطة من «ظ».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٢٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٣).

وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَخَافُ) بإسكانِ الياء، والباقونَ: بفتحها[1].

***

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ولما صمَّمَ قابيل[2] على قتلِ أخيه ومخالفةِ اللهِ تعالى، وأبيه، قال له هابيلُ:

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾ ترجع. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3].

﴿ بِإِثۡمِي ﴾ بإثم قتلي إذا قتلتني.

﴿ وَإِثۡمِكَ ﴾ بإثم معاصيك.

﴿ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ ﴾ بقتلي.

﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهذا دليل على أنهم كانوا في ذلك الوقت مكلَّفين قد لحقهم الوعد والوعيد.

***

﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ ﴾ شَجَّعَتْهُ وَزَيَّنَتْ له.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) «قابيل» زيادة من «ظ».

(٣) انظر: المصادر السابقة.

﴿ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ فَجَأَةً اغتيالاً وهو نائم عندَ جبلِ ثورٍ بمكةَ، وقيلَ غيرُه.

﴿ فَقَتَلَهُۥ﴾ والمقتولُ ابنُ عشرين سنةً.

﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ دِيناً ودُنيا، وبقي مدةَ عمرِه مطروداً محزوناً.

* * *

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾.

[٣١] فلما قتلَه، تركَه بالعراء، ولم يدرِ ما يصنعُ به؛ لأنه كانَ أولَ ميتٍ على وجهِ الأرضِ من بني آدمَ، وقصدَهُ السِّباعُ لتأكلَه[١]، فحمله في جِرابٍ على ظهرِه أربعينَ يوماً حتى أَرْوَحَ وأَنْتَنَ[٢].

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا﴾ أي: غرابين تقاتلا[٣] فقتل أحدُهما الآخرَ، فجعلَ.

﴿ يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يحفرُ فيها[٤] حُفيرةً، فوارى فيها الغرابَ المقتولَ، وفعلَ ذلك.

﴿ لِيُرِيَهُۥ﴾ أي: ليريَ قابيلَ.

﴿ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ أي: جيفته، فثَمَّ قال:

---

(١) «لتأكله» زيادة من «ظ».

(٢) «وأنتن» زيادة من «ظ».

(٣) «تقاتلا» زيادة من «ظ».

(٤) «أي: يحفر فيها» زيادة من «ظ».

﴿ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ على حملِه، لا على قتلِه. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ بخلافٍ عنه: (يُوَارِي) (فَأُوَارِي) بالإمالةِ، ووقفَ رويسٌ بخلافٍ عنهُ: (يَا وَيْلَتَاه) (يَا أَسَفَاه) (يَا حَسْرَتَاه) بزيادةِ هاءٍ[1].

قالَ ابنُ عباس رضي الله عنهما: لما قُتِلَ ولدُ آدمَ عليه السلام وهو بمكةَ، اشتاكَ الشجرُ، وتغيرتِ الأطعمةُ، وحَمِضَتِ الفواكهُ، واغبرَّتِ الأرضُ، فقالَ آدمُ: قد حدثَ في الأرضِ حدثٌ، فكانَ قتلُ ولدِه[2].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما أيضاً[3]: مَنْ قالَ: إنَّ آدمَ قالَ شعراً، فقد كذبَ؛ إنَّ محمداً والأنبياءَ في النهي عن الشعر سَواءٌ، بل رثَى ولدَه بالسريانية، فأخذها يعربُ بنُ قحطانَ، وكان يتكلَّمُ بالعربيةِ والسريانيةِ، وهو أولُ مَنْ خَطَّ بالعربية، وكانَ يقولُ الشعرَ، فرتَّبَها ووزنَها شعراً، وهي:

تَغَيَّـرَتِ الْبِـلَادُ وَمَـنْ عَلَيْهَـا ... فَـوَجْـهُ الأَرْضِ مُغْبَـرٌّ قَبِيـحُ
تَغَيَّـرَ كُـلُّ ذِي طَعْـمٍ وَلَـوْنٍ ... وَقَـلَّ بَشَـاشَـةُ الْـوَجْـهِ الصَّبِيـحِ

وزيدَ فيه أبياتٌ منها:

وَمَـا لِـي لاَ أَزِيـدُ بِسَكْـبِ دَمْـعٍ ... وَهَـابِيـلُ تَضَمَّنَـهُ الضَّـرِيـحُ
أَرَى طُـولَ الْحَيَـاةِ عَلَـيَّ غَمّـاً ... فَهَـلْ أَنَـا مِـنْ حَيَـاتِـي مُسْتَـرِيـحُ

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٩، ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٤_٢٠٥).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٦٥)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ١٣٩).
(٣) «أيضاً» زيادة من «ظ».

وبعدَ قتلِ هابيلَ بخمسِ سنينَ، ولدتْ حواءُ شيثاً، وتفسيرُه: هِبَةُ الله، يعني: أنه خلفٌ من[1] هابيلَ، وأُنزل عليه خمسونَ صحيفةً، وصار وصيَّ آدمَ ووليَّ عهدِه، وبقي نسلُه، وأما قابيلُ فإنه[2] هربَ بأختِهِ إقليميا، وعبدَ النارَ، واتخذَ أولادُه آلاتِ اللهو، وانهمكوا في اللهو[3] وشربِ الخمورِ والزنا والفواحش، وعبادةِ النار، حتى غَرَّقهم الله تعالى بالطوفان أيام نوح عليه السلام[4].

***

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] قال ﷺ: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدمَ[5] الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[6].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بسببِ ذلكَ القتلِ. قرأ أبو جعفرٍ: (مِنِ اجْلِ ذَلِكَ)

---

(١) في «ظ»: «عن».

(٢) «فإنه» زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «الملاهي».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٦٥)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ١٤٠).

(٥) «آدم» سقطت من «ظ».

(٦) رواه البخاري (٣١٥٧)، كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (١٦٧٧)، كتاب: القسامة، باب: بيان إثم من سن القتل، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

بكسر النونِ وحذفِ الهمزة ونَقْلِ حركتِها إلى نون (مِن)، وهي لغة، وقراءة العامة: بجزم النونِ وفتح الهمزة مقطوعاً[1].

﴿كَتَبْنَا﴾ قضينا.

﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وخُصَّ بنو إسرائيل بالذكر؛ لأن قتل النفس فيهم كان محظوراً؛ لأنهم أولُ أمةٍ نزلَ الوعيدُ عليهم في قتلِ الأنفس بحسبِ طغيانِهم وسفكِهم الدماءَ.

﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ﴾ قتل.

﴿نَفْسٍ﴾ أي: لم يقتلها قصاصاً.

﴿أَوْ﴾ بغير.

﴿فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من كفرٍ وزِناً أو قطعِ طريقٍ ونحوِ ذلك.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ من حيثُ إن قتلَ الواحد والجميع سواءٌ في استجلابِ غضبِ الله، والعذابِ العظيمِ.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: استنقذها من هلكة.

﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: يجبُ على الكلِّ شكرُه.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات الواضحة تأكيداً للأمر. قرأ أبو عمرٍو (رُسْلُنَا) بجزم السين، والباقون: برفعها، وكذلك (رسلهم) و(رسلكم) حيثُ وقع[2].

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (١/٦٦٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٠٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/٤٠٨)، و«الغيث» =

﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المكتوبِ عليهم.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ بالقتلِ وانتهاكِ المحارمِ، والإسرافُ: التباعدُ عن حدِّ الاعتدالِ في الأمر.

***

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله تعالى عنه: «أَنَّ قَوْماً مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، [فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرِضُوا، وَاسْتَوْخَمُوا الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ](١) بِلِقَاحٍ مِنْ الصَّدَقَةِ، وأمرهم أَنْ يشربوا من أبوالِها وأَلبانِها، فانطلقوا، وفعلوا ذلك، فلما صَحُّوا، قَتلوا الراعيَ، وساقوا النَّعَمَ، فبلغَ ذلكَ(٢) النبيَّ ﷺ خبرهم(٣) من أولِ النهارِ، فأرسلَ في إثرِهم، فما ارتفعَ النهارُ حتى جِيءَ بهم إليه، فأمر بهم فَقُطِعت أَيديهم وأرجلُهم، وسمر(٤) أعينَهم، وأُلقوا في الحَرَّةِ يَسْتسقونَ فلا يُسْقَوْنَ».

= للصفاقسي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٧).

(١) ما بين معكوفتين سقطت من «ش».

(٢) «ذلك» زيادة من «ظ».

(٣) «خبرهم» ساقطة من «ظ».

(٤) في «ظ»: «سملت».

وحكى أهلُ التاريخِ أنهم قطعوا أيدي الراعي ورجليه، وغرزوا الشوكَ في عينيه حتى ماتَ، وأُدخلَ المدينةَ ميتاً، وكان اسمه يساراً، وكان نُوبيّاً رحمه الله، وكانَ هذا الفعل من هؤلاء[1] المرتدين سنةَ ستٍّ من الهجرةِ الشريفة[2].

قال أبو قلابةَ: فهؤلاء قومٌ سرقوا وقَتلوا وكفروا بعدَ إيمانهم، وحاربوا اللهَ ورسولَه[3]. قال[4]: فأنزلَ الله في ذلكَ:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: أولياءه.

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ ومحاربةُ المسلمينَ في حكمِ محاربةِ رسولِه.

﴿وَيَسۡعَوۡنَ﴾ أي: وَسَعوا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ أي: مفسدين.

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت من الحدِّ.

﴿لَهُمۡ خِزۡيٞ﴾ ذل وفضيحةٌ.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لِعِظَمِ ذنوبِهم.

* * *

---

(١) «هؤلاء» زيادة من «ظ».

(٢) «الشريفة» زيادة من «ظ».

(٣) رواه البخاري (٦٤١٩)، كتاب: المحاربين من أهل الكفر والردة، باب: لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، ومسلم (١٦٧١)، كتاب القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين.

(٤) «قال» ساقطة من «ظ».

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: فإن جاؤوا قبلَ القدرةِ عليهم تائبينَ، استثناءٌ مخصوصٌ بما هو حقُّ الله تعالى، يدلُّ عليه قوله عزوجل: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

اتفقَ الأئمةُ رضي الله عنهم على أن حكمَ هذه الآيةِ مرتَّبٌ[١] في المحارِبين، وهم قطاعُ الطريقِ من أهلِ الإسلامِ، وإن كانتْ نزلتْ في المرتدِّين، وقد ثبتَ في «صحيح مسلم»، و«كتاب النسائي»، وغيرِهما: أن النبيَّ ﷺ إنَّما سَمَلَ أعينَ أولئكَ؛ لأنهم سملوا أعينَ الرعاء[٢]، فكان هذا[٣] قصاصاً منه.

واختلفوا فيمن يستحقُّ اسمَ المحاربة، فقال أبو حنيفةَ رحمه الله: لا تكونُ المحاربةُ في المِصْرِ، إنما تكون خارجاً من المصر، وخالفه أبو يوسفَ فقال: لو كانَ في المصر ليلاً، أو بينهم وبين المصر أقلُّ من مسيرة سفر، فهم قطاعُ الطريق، وعليه الفتوى؛ نظراً لمصلحةِ الناسِ، وقال مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ رحمهم الله تعالى: حكمُهم في المصرِ والصحراءِ واحدٌ.

---

(١) في «ت»: «مترتب».

(٢) رواه مسلم (١٦٧١)، (٣/١٢٩٨)، كتاب: القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين، والنسائي (٤٠٤٣)، كتاب: تحريم الدم، باب: ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ومعاوية بن صالح على يحيى بن سعيد في هذا الحديث.

(٣) في «ظ»: «ذلك».

واختلفوا في حكمِ المحاربِ، فقال أبو حنيفةَ رحمه الله: إذا قتلَ ولم يأخذْ مالاً، قُتِلَ، وإن لم يكنِ المقتولُ مكافِئاً له، وإن أخذَ المالَ ولم يَقتلْ، قُطعت يدُه ورجلُه من خلافٍ، وإذا أخذَ المالَ وقَتَل، فالسلطانُ مخيَّرٌ فيه، إن شاءَ قطع يدَه ورجلَه، وإن شاء لم يقطعْ، وقتلَه وصلَبَهُ، ولا يُصْلَبُ أكثرَ من ثلاثةِ أيام.

وقال مالكٌ: الإمامُ مخيرٌ في الحكم على المحاربين، يحكمُ عليهم بما شاءَ من الأحكامِ التي أوجبها الله تعالى؛ من القتلِ، أو الصلبِ، أو القطعِ، أو النفي، وإن لم يقتلوا ولم يأخذوا مالاً، على ما[1] يراهُ فيهم ردعاً لهم، ولا يُشترط أن يكونَ المقتولُ مكافئاً له كقول أبي حنيفة رحمه الله.

وقال الشافعيُّ رحمه الله تعالى: إذا أخذَ المالَ، قُطعتْ يدُه اليمنى ورجلُه اليسرى، فإن عادَ، فَيُسراه ويُمناه، وإذا قتلَ مَنْ يكافئه، قُتل حتماً، وإذا أخذَ المالَ وقتلَ، قُتِلَ، ثم صُلِبَ ثلاثاً.

وقال أحمد رحمه الله: إذا قتلَ مَنْ يكافئه أولا؛ كولدِه وعبدٍ، وذمّيٍّ، وأخذَ المالَ، قُتِلَ حتماً، ثم صُلِبَ المكافِئُ دونَ غيرِه، وصلبُه حتى يشتهرَ، ومن قتلَ ولم يأخذِ المال، قُتل حتماً، فلا أثرَ لعفو وليٍّ، ولم يصلبْ، ومن أخذَ المالَ ولم يقتلْ، قُطعت يدُه اليمنى ورجلُه اليسرى في مقامٍ واحدٍ، وحُسِمَتا، وخُلِّيَ، فإنْ كانتْ يمينُه مقطوعةً، أو مستحقَّةً في قصاصٍ، أو شَلاَّءَ، قطعتْ رجلُه اليسرى فقط، فإذا أخافَ السبيلَ ولم يأخذِ المالَ ولم يَقْتُلْ؛ نُفي بالاتفاق. واختلفوا في معنى النفي.

فقال أبو حنيفةَ رحمه الله: نفيُه سجنُه، فينفى من سَعَةِ الدنيا إلى

---

(١) في «ظ»: «حكم بما».

ضِيقِها، وقال مالكٌ: هو أن يُطلب أبداً[1] بالخيلِ والرَّجلِ حتى يوجد[2] فيقامَ عليه حدُّ اللهِ تعالى، أو يَخْرُجَ من دارِ الإسلام هَرَباً ممن يطلبُه.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: يُخرجُ من بلد إلى بلدٍ، ويُطلب لتقامَ عليه الحدودُ.

وقال أحمدُ: يُشَرَّدُ، فلا يُترك يأوي إلى بلد ولو عبداً حتى تظهرَ توبتُه، وإن كانوا جماعةً نُفوا متفرقين.

وهل يُعتبر النصابُ في المالِ الذي يأخذُه المحارِبُ كما يُعتبر في السارقِ؟ فقال مالك: لا يُعتبرُ، وقال الثلاثةُ: يُعتبرُ، ويأتي ذكرُ النصابِ قريباً عندَ تفسيرِ آيةِ السرقة.

واتفقوا على أن للرجلِ أن يقاتلَ عن نفسِه وأهلِه ومالِه، فإن كَفَّ المحارب، تركَهُ، وإن لم يكفَّ وقتلَه، فدمه هدرٌ، فإن تاب المحارِبون، وجاؤوا تائبين قبلَ القدرةِ عليهم، سقطَ عنهم ما كان حداً[3] لله تعالى، وأُخِذوا بحقوقِ الآدميين من نفسٍ وجراحٍ ومالٍ، باتفاق.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ القربة.

---

(١) «أبداً» سقطت من «ظ».

(٢) في «ظ»: «يؤخذ».

(٣) في «ظ»: «حقاً».

وأصلُ الوسيلةِ: التوصُّلُ إلى الشيء رغبةً فيه.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ بالوصولِ إليه، والفوزِ بكرامته.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ ﴾.

[٣٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من صنوف الأموال.

﴿ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ ﴾ ليجعلوهُ فديةً لأنفسِهم.

﴿ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ ﴾ ذلكَ الفداءُ ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ تصريحٌ، المقصودُ منهُ:

* * *

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ ﴾.

[٣٧] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ ﴾ أي: يتمنونَ الخروجَ.

﴿ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ دائمٌ لا يزولُ.

* * *

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ مبتدأٌ، خبرهُ:

﴿ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ أي: أيمانهما، وكذلك هو في مصحفِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، والمرادُ بأيديهما: يَدَيهما، وُضِعَ الجمعُ موضعَ الاثنين لئلا يجمعَ في كلمةٍ واحدةٍ بينَ تثنيتين نحو: ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤]. والسرقةُ: أخذُ مالِ الغيرِ في خُفيةٍ.

واتفقَ الأئمةُ على أن من سرقَ نِصاباً من المالِ من حرزٍ لا شُبهةَ له فيه، تُقْطَعُ يدُه اليمنى من الكوعِ، وتُحْسَمُ، ولا يجبُ القطعُ بسرقةِ ما دونَ النصابِ بالاتفاق.

واختلفوا في قَدْرِ النِّصابِ.

فقال أبو حنيفة: هو دينارٌ، أو عشرةُ دراهمَ مضروبةٍ من النُّقْرَةِ، أو ما قيمتُه عشرةُ دراهمَ.

وقالَ مالكٌ وأحمدُ: ربعُ دينارٌ من الذهبِ، أو ثلاثةُ دراهمَ من الوَرِقِ، أو عرضٌ يساوي أحدَهما.

وقال الشافعيُّ: ربعُ دينارٍ خالصاً، أو قيمتُه من دراهمَ وغيرِها.

ثم إذا سرقَ ثانياً، تُقطعُ رجلُه اليسرى من مفصِلِ القدمِ بالاتفاق، فإن سرقَ ثالثاً ورابعاً، فقالَ أبو حنيفةَ وأحمدُ: يُحبسُ حتى يتوبَ، ولا يقطع أكثرُ من يدٍ ورجلٍ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: يُقطعُ في الثالثة يدُه اليسرى، وفي الرابعةِ رجلُه اليمنى، ثم إذا سرقَ بعدَه، يُعَزَّرُ ويُحبسُ حتى تظهرَ توبتُه.

واختلفوا في ثبوتِ حدِّ السرقةِ بالإقرار، فقالَ الثلاثةُ: يثبتُ بإقرارِ السارقِ مَرَّةً، وقالَ أحمدُ: لا يثبتُ إلا بإقرارٍ[1] مَرَّتينِ، وهو قولُ

---

(١) في «ن»: «بإقراره».

أبي يوسفَ وزُفَرَ، فإن رجعَ عن الإقرارِ، قُبِلَ رجوعُهُ، وسقطَ القطعُ عندَ الثلاثِة، وعندَ مالكٍ: إن رجعَ إلى شُبْهَةٍ، سقطَ عنه القطعُ، وإن رجعَ إلى غيرِ شبهةٍ، فعنه روايتان، وأما المالُ، فلا يسقطُ بالاتفاق. ولا قطعَ على المنتهِبِ والمختلسِ والغاصبِ والخائنِ بالاتفاق.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ نصبٌ على الحالِ، ومثلُه.

﴿نَكَٰلًا﴾ أي: عقوبةً ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ يقالُ: نكلْتُ به: إذا فعلتُ به ما يجبُ أن ينكلَ به عن ذلكَ الفعلِ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله.

* * *

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ رجعَ عن ارتكابِ السرقة. قرأ أبو عمرٍو: (مِنْ بَعْد ظُّلْمِهِ) بإدغامِ الدالِ في الظاء.

﴿وَأَصۡلَحَ﴾ العملَ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ يقبلُ توبتَه، فلا يعذِّبُه في الآخرة.

فأما القطعُ، فلا يسقطُ عنه بالتوبةِ عندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ، وفي الأظهر من مذهبِ الشافعيِّ، وعندَ أحمدَ إذا تابَ قبلَ ثبُوتِه، سقطَ بمجرَّدِ التوبةِ قبلَ إصلاحِ العملِ.

وإذا قُطع السارقُ وكانَ المسروقُ قد تلفَ، فقال أبو حنيفةَ: لا يجبُ عليه ما سرقَ؛ لأنه لا يجتمعُ عندَه قطعٌ وضمانٌ، وقال الثلاثةُ: يجتمعُ، إلا عندَ مالكٍ إذا كانَ السارقُ مُعْسِراً، وأما إذا كانَ المسروقُ قائماً عندَه، يُستردُّ لمالكِهِ بالاتفاق؛ لأنَّ القطعَ حَقُّ الله، والغُرْمَ حَقُّ العبدِ، فلا يمنعُ أحدُهما الآخَر.

* * *

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الخطابُ مع النبيِّ ﷺ، والمرادُ بِهِ الجميعُ.

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ على الصغيرةِ.

﴿ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الكبيرةَ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

* * *

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ونزل تسليةً للنبيِّ ﷺ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ﴾. قرأ نافعٌ: بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي، والباقونَ: بفتح الياءِ وضمِّ الزاي[١].

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي: يبادرونَ إلى موالاةِ الكفار. تلخيصُه: لا تهتمَّ بمسارعةِ المنافقينَ في موالاةِ الكفار؛ فإنِّي ناصرُك عليهم. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (يُسَارِعُونَ) بالإمالةِ[٢].

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقونَ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ يعني: اليهودَ.

﴿سَمَّٰعُونَ﴾ أي: قوم سَمَّاعونَ ﴿لِلْكَذِبِ﴾ أي: قابلونَ لما يختلقُه أَحبارُهم من الكذبِ على اللهِ ورسولِه؛ كقولِه: سمعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ أي: قَبِلَ.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ﴾ أي: لأجل قوم.

﴿ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ المعنى: هؤلاءِ الجماعةُ الذين جاؤوك من اليهودِ هم جواسيسُ لطائفةٍ أخرى منهم لم تَجِئْكَ؛ لأنه كانَ قد زنى يهوديٌّ بيهوديَّةٍ، وكانا مُحْصَنَيْنِ شَرِيفين عندَ أهلِ خيبر، وكان حدُّهما الرجمَ،

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٩).

فكرهوا رَجْمَهما، فأرسلوا بهما مع جماعةٍ من قريظةَ والنضيرِ ليسألوا النبيَّ ﷺ عن حدِّهما عندهَ، وقالوا: إنْ أَمَرَكُم محمدٌ بالجَلْدِ، فاقبلوا، وإن أمرَكُم بالرَّجْم، فاحْذَروا، فعلَى هَذا (سَمَّاعونَ) الأولى لأهلِ خيبر، والثانيةُ قريظةُ والنضيرُ، فحكمَ ﷺ بالرجم، فَرُجِما عندَ باب المسجد بعدَ إنكارِهم ذلكَ، وبعد أن أراهم عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ ذلكَ الحكمَ في التوراة، فكان الزاني بالمرأة حالةَ الرجم يَحْنَى على المرأةِ يَقيها الحجارةَ، وقالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»(١).

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: يميلونه عن مواضعِهِ التي وُضع عليها من الصحةِ ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ أي: الحكمَ المغيَّرَ، وهو الجلدُ ﴿فَخُذُوهُ﴾.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾ محمداً وحكمَهُ ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ إضلالَه وعذابَه.

﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ لن تقدِر على دفعِه عنه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفرِ، فيه رَدٌّ على من يُنْكِرُ القَدَر.

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ هوانٌ بالجزيةِ، ورؤيتُهم من محمدٍ ﷺ وأصحابه ما يكرهون ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الخلودُ في النار.

***

---

(١) رواه مسلم (١٧٠٠)، كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـًٔاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾.

[٤٢] ونزلَ في كعبِ بنِ الأشرفِ وفيمَنْ كانَ مثلَه يقبلُ شهادةَ الزورِ، ويحكم ويرتشي:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ: (السُّحُتِ) بضمِّ الحاء، والباقون: بسكونها(١)، وهو الحرامُ الذي يلزم صاحبَه العارُ، من سحَتَهَ: إذا استأصَلَهُ؛ لأنه مسحوتُ البركة، وسُمِّيَتِ الرّشوةُ سُحْتاً؛ لسحتِها المروءةَ والدينَ، والرشوةُ في الحكمِ: إذا رشوتَهُ ليحقَّ لكَ باطِلاً، أو يبطلَ عنكَ حقّاً.

ولا خلافَ بينَ الأئمةِ أَنَّ أخذَ الرشوةِ على إبطالِ حقٍّ أو ما لا يجوزُ سحتٌ حرامٌ، ولا ينفذُ القضاءُ بالرشوة بالاتفاق، قالَ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ»(٢)، وفي روايةٍ: «وَالرَّائِشَ»، وهو الماشي بينهما(٣)،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٠).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٨٠)، كتاب: الأقضية، باب: في كراهية الرشوة، والترمذي (١٣٣٧)، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٣١٣)، كتاب الأحكام، باب: التغليظ في الحيف والرشوة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» =

وأما إذا لم يكن للقاضي رزقٌ في بيتِ المال، فأخذَ جُعْلاً من الخصمِ، جازَ إذا قضى بالحقِّ، وهو مذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ، وعنَد أبي حنيفةَ إذا أرادَ القاضي أن يكتبَ السجلَّ، ويأخذَ على ذلك أجراً، يأخذ منه مقدارَ ما يجوزُ أخذهُ لغيرِه، وكذا لو تولَّى القسمةَ بنفسِه بأجرٍ، وعندَ مالكٍ لا ينبغي أن يأخذَ رزقَه إلاَّ من الحبسِ، أو من الجزيةِ، أو من عُشورِ أهلِ الذمَّة.

﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ خيَّرَ اللهُ رسولَه ﷺ في الحكمِ بينَهم إن شاء، وإن شاءَ تركَ.

واختلفوا في حكم الآيةِ اليومَ هل للحاكمِ الخيارُ في الحكمِ بينَ أهلِ الذمَّةِ إذا تحاكموا؟ فقالَ أكثرُ أهلِ العلم: هو حكمٌ ثابتٌ، وليسَ في سورةِ المائدةِ منسوخٌ، وحكامُ المسلمينَ بالخيارِ في الحكمِ[1] بينَ أهلِ الكتابِ، إنْ شاؤوا حكموا، وإن شاؤوا لم يحكموا، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، وقالَ قومٌ: حكمُ الآيةِ منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، فيجبُ على حاكم المسلمينَ الحكمُ بينهم، وهو قولُ أبي حنيفةَ وأصحابِه، فأما إذا كانتِ الخصومةُ بينَ مسلمٍ وذميٍّ، فيجبُ الحكم بينَهما بالاتفاق؛ لأنه لا يجوزُ لمسلمٍ الانقيادُ لحكمِ أهل الذمة.

﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن الحكم بينهم.

﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ نصبٌ؛ لقيامِه مقامَ المصدرِ؛ أي: ضرراً.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين.

= (١٤١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠٦٨)، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ.

(١) «في الحكم» ساقطة من «ن».

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ ﴾ هذا تعجُّبٌ للنبي ﷺ؛ أي: وكيفَ يجعلونك حَكَماً بينَهم.

﴿ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ وهو الرجمُ.

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ ﴾ الحكمِ.

﴿ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالمصدِّقينَ لك في الحكم.

* * *

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ يكشفُ ما استُبْهِمَ من الأحكام.

﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ يعني: أنبياءَ بني إسرائيلَ ﴿ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ وانقادوا لأمرِ اللهِ.

﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ أي: يحكمون بها في تحاكُمِهم.

﴿ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ ﴾ من ولدِ هارونَ الذينَ التزموا طريقةَ النبيين، وجانَبوا دينَ اليهودِ.

﴿ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ العلماءُ، واحدُهم (حِبْرٌ) بكسرِ الحاءِ وفتحِها، وهو العالمُ المُحْكِمُ.

﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ ﴾ أي: استُودِعوا.

﴿ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ وأُمروا بحفظِه من التضييع والتحريف.

﴿ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ما فيه من الأحكامِ.

﴿ شُهَدَآءَ ﴾ رقباءَ؛ لئلاَّ يبدل.

﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ ﴾ في إظهارِ نعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجمِ، والحكمِ بالحقِّ خوفَ الظَّلَمَةِ.

﴿ وَٱخْشَوْنِ ﴾ في تركِ أحكامي. أثبتَ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ في (وَاخْشَوْنِي) حالةَ الوصل، وأثبتَها يعقوبُ وَصْلاً ووَقْفاً، وأسقطها الباقونَ في الحالين[1]. قالَ البيضاويُّ: نهيٌ للحكَّامِ أن يخشوا غيرَ اللهِ في حكوماتِهم، ويُداهنوا فيها خشية ظالمٍ، أو مراقبةِ كبيرٍ[2].

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ﴾ ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتُها.

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ هو الرشوةُ والجاهُ.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ مُستهيناً به، منكِراً لهُ.

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ لاستهانتِهم به، وتمرُّدِهم بأنْ حكموا

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١١).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٣٢٨).

بغيره، ولذلكَ وصفَهم بقولهِ: [(الكافرون)[1]](الظالمون) و(الفاسقون) فكفرُهم لإنكاره، وفسقُهم بالخروج عنه، وظلمُهم بالحكمِ على خلافِه، ويجوزُ أن تكونَ كلُّ واحدةٍ من الصفاتِ الثلاثِ باعتبار حالٍ انضمَّت إلى الامتناعِ عن الحكم به ملائمةٍ لها، أو لطائفةٍ؛ كما قيل: هذهِ في المسلمين؛ لاتصالها بخطابهم، والظالمونَ في اليهود، والفاسقونَ في النصارى، انتهى تفسير البيضاوي.

وقال ابنُ عباس: «وليسَ بكفرٍ ينقلُ عن الملَّةِ، بلْ إذا فعلَ ذلكَ، فهو به كافرٌ، وليسَ كمَنْ كفرَ باللهِ واليوم الآخر»[2].

وعنه: «الكافرونَ والظالمونَ والفاسقونَ كلُّها في الكافرين»[3].

***

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ فَرَضْنا على اليهودِ.

﴿ فِيهَآ ﴾ في التوراةِ ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ أي: نفسَ القاتلِ بنفسِ المقتول.

﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ تُفْقَأُ بها ﴿ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ ﴾ يُجْدَعُ به.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٨٠).

﴿ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ﴾ تُقطعُ بها.

﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ تُقلعُ بها، وسائر الجوارح قياسٌ عليها في القصاص.

﴿ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ أي: ذاتُ قصاص، فبهذا تعميمٌ بعد تخصيصٍ. قرأ الكسائيُّ: (والعينُ) (والأنفُ) (والأذنُ) (والسنُّ) (والجروحُ) بالرفع على القطع مما قبلَها، والاستئنافِ بها، وافقه في (والجروح) خاصَّةً ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وقرأ الباقون الخمسةَ: بالنصب على العطف، وقرأ نافعٌ (والأُذْنَ بِالأُذْنِ) بإسكانِ الذال فيهما، والباقون: بالرفع[1].

﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: القصاصِ.

﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ للمتصدِّقِ بأن يكفِّرَ اللهُ عنه من سيئاته، قال ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ، كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ بِقَدْرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ»[2].

وتقدَّمَ حكمُ القتلِ العمدِ والخطأ، وقدرُ الدِّيَةِ، وحكمُ الكفارة، واختلافُ الأئمةِ في ذلكَ مستوفًى في سورة النساء بعدَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [الآية: ٩٢]، وتقدمَ اختلافُ الأئمةِ في القِصاص بينَ المسلمِ والكافرِ، والحرِّ والعبدِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ١٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢، ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٢_٢١٣).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٤٦)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٨/ ٢٩٩)، عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ بهذا اللفظ.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وصفٌ لهم بالعتوِّ في كفرِهم حينَ ظلموا آياتِ اللهِ بالاستهانةِ، وتمرَّدوا بأنْ حكموا بغيرها.

***

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ وأَتْبَعْنا.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: آثار النبيين المتقدِّمي الذِّكْرِ.

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ حالٌ من (عيسى).

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدَّمَهُ.

﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ يعني الإنجيل.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

***

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ قرأ حمزة: (وَلِيَحْكُمَ) بكسر اللام ونصب الميم؛ أي: لكي يحكمَ، وقرأ الباقونَ: بسكون اللامِ وجزمِ الميمِ على الأمرِ(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، =

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الخارجونَ عن أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والآيةُ تدلُّ على أن الإنجيلَ مشتملٌ على الأحكام، وأن اليهوديةَ منسوخةٌ ببعثةِ عيسى عليه السلام، وأنه كانَ مستقلاً بالشرعِ، وحملُها على: ولْيَحْكُموا بما أنزلَ اللهُ فيهِ؛ من إيجابِ العملِ بأحكامِ التوراةِ خلافُ الظاهرِ.

***

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾.

[٤٨] ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن.

﴿ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: من الكتب المنزلة من قبل.

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ أي: رقيباً وشاهداً لها بالصحة، قال حَسَّانُ:

إنَّ الْكِتَابَ مُهَيْمِنٌ لِنَبِينا ... وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبَابِ

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٤).

﴿ فَٱحْكُم ﴾ يا محمدُ.

﴿ بَيْنَهُم ﴾ أي: بينَ أهلِ الكتابِ إذا ترافعُوا إليكَ.

﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ عادلاً.

﴿ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُهُ: ولا تُعْرِضْ عَمَّا جاءكَ من الحقِّ متبعاً أهواءَهُم.

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ سَبيلاً واضِحاً وسُنَّةً، وأرادَ بهذا: أن الشرائعَ مختلفةٌ، ولكلِّ أهلِ مِلَّةٍ شريعةٌ، قال قتادةُ: الخطابُ للأممِ الثلاثِ: أمةِ موسى، وعيسى، وأمةِ محمدٍ صلواتُ الله عليهم أجمعين: التوراةُ شريعةٌ، والإنجيلُ شريعةٌ، والقرآنُ شريعةٌ، والدينُ واحدٌ، وهو التوحيدُ.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على دينٍ واحدٍ.

﴿ وَلَٰكِن ﴾ فرَّقكم فِرَقاً.

﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾ ليختبرَكُم.

﴿ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ من الكتبِ والشرائعِ المختلفةِ ليظهرَ لكم أَيُّكم الطائعُ من العاصي.

﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ فابتدِرُوا إلى العملِ بالطاعات، وأصلُ السَّبْقِ: التقدُّمُ في السير.

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ استئنافٌ فيه تعليلُ الأمرِ بالاستباق[1]، ووعدٌ ووَعيدٌ للمبادِرينَ والمقصِّرينَ.

﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ بالجزاءِ الفاصلِ بينَ المحقِّ والمبطلِ، والعاملِ والمقصِّرِ.

***

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) ﴾.

[٤٩] ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم ﴾ التقديرُ: وأمرنا أَنِ احكُمْ.

﴿ بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ﴾ أي: واحذرْ فتنتَهُمْ.

﴿ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أن يضلُّوكَ ويصرفوكَ عنه. رُوي أنَّ أحبارَ اليهودِ قالوا: اذهبوا بنا إلى محمدٍ نَفْتِنُهُ عن دينه، فقالوا: يا محمدُ! قد عرفتَ أنَّا أحبارُ اليهود، وإنا إن اتبعناكَ، اتبعَنا اليهودُ كلُّهم، وإنَّ بيننا وبينَ قومنا خصومةً، فنتحاكمُ إليكَ، فاقضِ لنا عليهم، ونحن نؤمنُ بك ونصدِّقُكَ، فأبى ذلكَ رسولُ الله ﷺ، فنزلت:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾[2] عن الحكمِ المنزَلِ، وأرادوا غيرَهُ.

---

(١) في «ن»: «بالاستئناف».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٦/٢٧٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/١١٥٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٩).

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾ بأنْ يعجِّلَ لهم العقوبةَ في الدنيا ببعضِ عمَلهم.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿ لَفَٰسِقُونَ ﴾ متمرِّدُونَ في الكفر، مُعْتَدُونَ فيه.

* * *

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾ يطلبونَ. قرأ ابنُ عامرٍ: (تبْغُونَ) بالخطاب، والباقونَ: بالغيبِ(١).

﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ خطابٌ للموقنين؛ فإنهم الذين يتبينون أنْ لا أحدَ أحسنُ حكماً من الله.

* * *

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ونزلَ نهياً عن موالاةِ الأعداءِ في الدينِ:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ فلا تعتمدوا عليهم، ولا تعاشروهم معاشرةَ الأحبابِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٦).

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ في العونِ والنُّصرةِ؛ فإنهم متفقونَ على خلافِكم ومضادَّتِكم.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ فيعينهُمْ.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ من جملتِهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسَهُمْ بموالاةِ الكافرينَ.

***

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاقٌ، وهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ وأصحابُه منَ المنافقينَ.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: في موالاتِهم ومعونَتِهم.

﴿يَقُولُونَ﴾ اعتِذاراً:

﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ﴾ بأنْ يدورَ الدهرُ علينا من جَدْبٍ وغَلَبَةٍ وغيرِهما، ولا يتمُّ أمرُ محمدٍ، فنزلَ توبيخاً لهم، وإيماءً إلى تتمةِ أمرِه ﷺ:

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ بنصرِ محمدٍ ﷺ، وإظهارِ دينِه.

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ هو(١) إجلاءُ اليهودِ من ديارِهم.

---

(١) في «ت»: «من».

﴿ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ من موالاةِ الكفارِ.

﴿ نَٰدِمِينَ ﴾ فضلاً عَمَّا أظهروهُ مما أشعر على نفاقهم.

***

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَيَقُولُ ﴾ أي: وحينئذٍ يقولُ.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (ويقولَ) بالواوِ ونصبِ اللام عطفاً على (أَنْ يَأْتِيَ)؛ أي: وعسى أن يقولَ الذين آمنوا، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَيَقُولُ) بالواوِ ورفعِ اللامِ على الاستئناف، وقرأ الباقون، وهم ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: بغير واو، ورفعِ اللامِ، وكذلك هو في مصحفِ أهل العاليةِ[(١)]، واستُغني عن حرفِ العطفِ لمناسبةِ هذه الآية بما قبلَها؛ يعني: يقولُ الذينَ آمنوا في وقتِ إظهارِ اللهِ نفاقَ المنافقين:

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ ﴾ أي: حلفوا بأغلظِ الأيمانِ.

﴿ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ ﴾ مؤمنينَ مثلَكم؟ ثم قالَ المؤمنونَ داعينَ متعجِّبينَ من صنيعِ المنافقين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٦ـ٦٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٧ـ٢١٨).

﴿حَبِطَتْ﴾ بطَلَتْ.

﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحةُ.

﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ الدُّنيا بافتضاحِهم، والآخرةَ بالعذابِ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ﴾ أي: يرجعْ.

﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ كافراً بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (يَرْتَدِدْ) بدالين مظهرَتين على الأصل، الثانيةُ مجزومة بـ(مَنْ)، وقرأ الباقونَ: (يَرْتَدَّ) بدالٍ واحدةٍ مشدَّدَةٍ مفتوحةٍ لالتقاء الساكنين[١].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ غيرهم مكانَهم.

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ والمرادُ بالقومِ: أبو بكرٍ وأصحابُه الذين قاتلوا أهلَ الردَّةِ ومانعي الزكاةِ، ورُوي أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، وقيل: هم أحياءٌ من اليمنِ جاهدُوا يومَ القادسية أيامَ عمرَ[٢].

﴿أَذِلَّةٍ﴾ أرقَّاءَ رحماءَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤١٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٧).

﴿ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هم لَيِّنُونَ متواضعون لهم.

﴿ أَعِزَّةٍ﴾ أشداء غلظاء.

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كالسَّبُعِ على فريستِه.

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ المعنى: إنهم الجامعونَ بينَ المجاهدةِ في سبيلِ الله، والتصلُّبِ في دينه؛ بخلافِ المنافقينَ؛ فإنهم يَخْرجون في جيش المسلمين خائفينَ ملامةَ أوليائِهم من اليهودِ، فلا يعملون شيئاً يلحقُهم فيه لومٌ من جهتِهم، واللَّوْمَةُ: المَرَّةُ من اللَّومِ.

﴿ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما وُصِفَ به القومُ من لينِ جانبِهم للمؤمنين، وشدَّتِهم على الكافرين، وعدمِ خوفِهم.

﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ يمنحُه ويوفِّقُ له.

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثيرُ الفضل.

﴿ عَلِيمٌ﴾ من هو أهلٌ.

* * *

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

[٥٥] ولما نَهى عن موالاةِ الكَفَرة، ذَكَرَ عَقِبَهُ مَنْ هو حقيقٌ بها، فقالَ:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وإنما قال: وَلِيُّكُمْ ولم يقلْ: أَوْلياؤكم للتنبيه على أن الولايةَ لله على الأصالةِ، ولرسولِه والمؤمنينَ على التبع، رُوي أن عبدَ اللهِ بنَ سلامٍ جاءَ للنبيِّ ﷺ وقالَ: إنَّ قومَنا قُرَيظَةَ والنضيرَ قد أقسموا إنهم لا يُجالسُونا، فنزلت هذه الآيةُ، فقرأها عليه رسولُ الله ﷺ

فقالَ: «رَضينا باللهِ وبرسولِه والمؤمنينَ أولياءَ»(١).

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ مُتَخَشِّعونَ في صلاتِهم وزكاتهم، وقيل: نزلَتْ في عليٍّ رضي الله عنه حينَ سألَه سائلٌ وهو راكعٌ في صلاتِه، فطرحَ له خاتمَهُ(٢)، واستدلَّ بها الشيعةُ على إمامتِه زاعمينَ أن المرادَ بالوليِّ: المتولِّي للأمورِ، والمستحقُّ للتصرُّفِ فيها.

***

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ومَنْ يَتَّخِذْهم أولياءَ.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ أنصارَ دينِ اللهِ.

﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لأنه تعالى ناصرهم.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ونزلَ في رفاعةَ بنِ زيدٍ وسُويدِ بنِ الحارثِ، أظهرا الإسلامَ، ثم نافقا، وكان رجالٌ من المسلمينَ يوادُّونهما:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٨٨). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٠٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٠٦).

﴿قَبۡلِكُمۡ﴾[1] هم اليهودُ؛ لأنهم كانوا يستهزئون بالدِّينِ.

﴿وَٱلۡكُفَّارَ﴾ أي: لا تتخذوا المستهزئينَ والكفارَ.

﴿أَوۡلِيَآءَۚ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ: (وَالْكُفَّارِ)[2] بخفضِ الراء؛ يعني: من الكفارِ، وقرأ الباقونَ: بالنصب؛ أي: لا تتخذوا الكفارَ أولياءَ[3].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بتركِ المناهي.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ لأن الإيمانَ حقاً يقتضي ذلكَ.

* * *

﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصلاةَ أو المناداةَ.

﴿هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ﴾ لأن اليهودَ كانوا يقولونَ للمسلمينَ عندَ قيامِهم إلى الصلاة: قاموا لا قاموا، صَلَّوا لا صلَّوا، وقالَ نصرانيٌّ من أهلِ نجرانَ لما سمعَ المؤذِّنَ يقولُ: أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله: أَحرقَ اللهُ الكاذبَ، فدخلَ خادمُه ذاتَ ليلةٍ بنارٍ، وأهلهُ نيامٌ، فطارتْ شرارةٌ فأحرقَتْهُ معَ بيتِه وأهلِه.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٩٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٦٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٠).

(٢) «والكفار» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢٠).

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، خبرُه:

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فإن السَّفَهَ يؤدِّي إلى الجهلِ بالحقِّ والهزءِ به، والعقلُ يمنعُ منهُ.

***

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩)﴾.

[٥٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: هل تُنكرونَ منا وتَعيبونَ إلاَّ إيماننا.

﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ من الكتبِ المنزلَةِ.

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ تلخيصه: وما تُنكرون إلا مخالفتَنا إياكم؛ حيثُ دخلْنا الإيمانَ وأنتم خارجونَ منه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ: (هَل تَّنقِمُونَ) بإدغامِ اللامِ في التاء، والباقون: بالإظهارِ(١)، والآيةُ خطابٌ لليهودِ حينَ سألوا رسولَ الله ﷺ عمَّن يؤمنُ به، فقالَ: «﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]»، فلما ذكرَ عيسى، جَحَدوا نبوَّتَهُ، وقالوا: لا نعلمُ ديناً شَرّاً من دينِكم(٢).

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٢)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤١٢).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أُخبرُكم.

﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرتمُ(١)؛ يعني قولهم: لا نعلَمُ ديناً شرّاً من دينكم.

﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاءً.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ والمثوبةُ به(٢) مختصةٌ بالخيرِ، كالعقوبة بالشرّ، فوُضعت هاهنا موضعَها توسُّعاً، ونصبُها على التمييز.

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعدَه من رحمتِه.

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ يعني: اليهودَ، سخطَ عليهم بكفرِهم، وانهماكِهم في المعاصي بعدَ وضوحِ الآيات.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ وهم أصحابُ السبت.

﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ وهم كفارُ أهلِ مائدةِ عيسى، وعن ابنِ عباس: «أنَّ المسخينِ كلاهما من أصحابِ السبتِ، مُسخِتْ شبابُهم قردةً، ومشايخُهم خنازيرَ»(٣).

---

(١) في «ن»: «ذكرتموه».

(٢) «به»: زيادة من «ن».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٩٣).

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ أطاعَ الشيطانَ. قرأ حمزةُ: (وعَبُدَ) بضمِّ الباءِ وجرِّ (الطَّاغُوتِ) إضافةً، جعلَه اسماً على فعلٍ؛ كَعَضُدٍ، فهو بناءٌ للمبالغةِ والكثرةِ، وقرأ الباقونَ: بفتح الباءِ والتاءِ، جعلوهُ فعلاً ماضياً، وعطفُه على فعلٍ ماضٍ وهو (غَضِبَ) و(لَعَنَ)[1]، والمعنى عندهم: ومَنْ عبدَ الطاغوتَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الملعونونَ.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ لأن مكانَهم النارُ.

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن طريقِ الحقِّ، ولما نزلتْ هذه الآيةُ، قالَ المسلمونَ لهم: يا إخوةَ القردةِ والخنازيرِ! فنكسوا رؤوسَهم افْتِضاحاً.

* * *

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ونزلَ فيمَنْ كان يدخلُ على النبيِّ ﷺ ويُظهر الإيمانَ نفاقاً:

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ يعني: هؤلاءِ المنافقينَ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بكَ وصدَّقناك.

﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ أي: دخلوا وخرجوا كافرينَ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ من النفاقِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢٢).

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ ﴾ أي: الشركِ.

﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ الظلمِ.

﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ الرُشَا. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، وخلفٌ: (السُّحْتَ) في الحرفين بجزم الحاءِ، والباقون: بالرفع(١).

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ لبئسَ شيئاً عملوهُ.

* * *

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ يعني: العلماءَ.

﴿ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ ثم وبَّخَ علماءهم في تركِهم نهيَهُمْ، فقال:

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ ودلَّتِ الآية على أن تارك النهي(٢) عن المنكرِ كمرتكبِ المنكَرِ، فالآيةُ توبيخٌ للعلماءِ في تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

---

(١) تقدمت عند تفسير الآية (٤٢) من هذه السورة.

(٢) «النهي» ساقطة من «ن».

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] قال ابنُ عباسٍ: إنَّ اللهَ قدْ بسطَ على اليهودِ حتَّى كانوا من أكثرِ النّاسِ مالاً، فلمَّا عَصَوُا اللهَ في أمرِ محمدٍ ﷺ، كَفَّ عنهم ما بَسَطَ عليهم من السَّعةِ، فقال فنحاصُ بنُ عازوراءَ: يدُ اللهِ مغلولَةٌ، ولم ينكرِ اليهودُ عليه مقالتَهُ، وأشركوا معه، فنزلَ:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[1] أي: محبوسَةٌ عن إدرارِ الرزقِ علينا، نسبوه إلى البخلِ.

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أُمْسِكَتْ ومُنِعَتْ عن فعلِ الخيرِ، وأجابهم تعالى: أنا الجوادُ وهمُ البخلاء، وأيديهم هي المغلولةُ.

﴿ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ أي: أُبْعِدوا وعُذِّبوا بسببِ قولهم.

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وليسَ المرادُ حقيقةَ الجارحةِ المتركِّبَةِ؛ لأنه تعالى منزَّهٌ عن التركيبِ، وإنَّما هي صفةٌ من صفاتِ ذاتِه؛ كالسمعِ والبصرِ، قالَ جلَّ ذكرُه: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وقال ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[2]، واللهُ أعلمُ بصفاته، فعلى العبادِ فيها الإيمانُ والتسليمُ، وأَنْ يُمِرُّوها كما جاءتْ بلا كيفٍ؟

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٩٣-٦٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧)، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿يُنفِقُ﴾ أي: يرزقُ.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من التوسيعِ والتضييقِ، لا اعتراضَ عليهِ. قرأ أبو عمرٍو: (يَنْفِق كَّيْفَ) بإدغام القاف في الكاف

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ أي: اليهودَ.

﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآنُ.

﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ أي: كلَّما نزلَتْ آيةٌ، كفروا بها؛ لحسدِهم.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ أي: بينَ اليهودِ والنصارى، أو بينَ طوائفِ اليهودِ.

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ جعلَهم مختلفين في دينِهم، مُتباغِضين، وتقدَّمَ اختلافُ القراء في حكمِ الهمزتين من كلمتينِ في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكذلك اختلافُهم في قوله ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ﴾.

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي: لحربِ النبيِّ ﷺ بإفسادِ أمرِه.

﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ بقهرِهم ونصر نبيِّه؛ أي: كلَّما حارَبوا، غُلِبوا.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بكفرِهم وإضلالِ غيرِهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فلا يجازيهم إلا شرّاً.

***

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمدٍ وما(١) جاءَ بهِ.

---

(١) في «ت»: «وبما».

﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ الكفرَ ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ التي فعلوها.

﴿ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ولجعلناهُمْ من الدَّاخلين فيها، فيه تنبيهٌ أن الإسلامَ يَجُبُّ ما قبلَه، وأن الكتابيَّ لا يدخلُ الجنةَ ما لم يُسْلِمْ.

***

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾.

[٦٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ عَمِلُوا بما فيهما.

﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ يعني: القرآنَ وجميعَ الكتب.

﴿ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ بقطرِ السماءِ.

﴿ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ بالنباتِ، والمرادُ: سَعَةُ الرزقِ.

﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ﴾ عادلةٌ؛ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه.

﴿ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ بئسَ شيئاً عملُهم.

***

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾.

[٦٧] ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي: جميعَ المنزلِ إليك.

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تخفْ إلا اللهَ، ومن خصائصِهِ ﷺ وبرِّ اللهِ تعالى به أَنَّ اللهَ تعالى خاطبَ جميعَ الأنبياءِ بأسمائهم، فقال: (يا آدمُ) (يا نوحُ) (يا إبراهيمُ) (يا داودُ) (يا عيسى) (يا زكريا) (يا يحيى)، ولم يخاطَبْ هو إلا (يا أيُّها الرسولُ) (يا أيها النَّبيُّ)(يا أيُّها المزمِّلُ) (يا أيها المدثِّرُ).

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي: إن لم تبلغْ مجموعَهُ.

﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فما أَدَّيتَ شيئاً منها؛ لأن كتمانَ بعضِها يضيِّعُ ما أُدِّي منها؛ كتركِ بعض أركانِ الصلاة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، ويعقوبُ: (رِسَالاَتِهِ) على الجمع، والباقون: على التوحيد[(١)]، ثم قالَ مشجِّعاً له:

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ أي: يحفظُكَ.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فلا يَصِلونَ إليك بقتلٍ ولا غيرِه، ونزلت بعدَما شُجَّ وجهُه، وكُسرت رَباعِيَتُهُ، والمرادُ بالناسِ: الكفارُ؛ لقولِهِ بعدُ[(٢)]:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

عن عائشةَ رضي الله عنها: كانَ النبيُّ ﷺ يُحْرَسُ حتى نزلتْ هذهِ الآيةُ، فأخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَهُ من القُبَّةِ وقالَ لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! انْصَرِفُوا؛ فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ»[(٣)].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٨).

(٢) في «ت»: «بعده».

(٣) رواه الترمذي (٣٠٤٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المائدة، وقال: =

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾ من الدِّينِ وما أنتم عليهِ لا اعتدادَ به، فهو كلا شيءٍ.

﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ ﴾ ومِنْ إقامتِها الإيمانُ بمحمدٍ ﷺ؛ فإنَّ جميعَ الكتبِ ناطقةٌ بوجوبِ الطاعةِ لهُ.

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ ﴾ فلا تحزنْ.

﴿ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ففي المؤمنين كفايةٌ عنهم.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على الحقيقةِ.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ تقدَّم تفسيرُه، واختلافُ القراءِ فيه في سورةِ البقرةِ.

﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ أي: ثبتَ على الإيمان.

= غريب، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٨).

﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ وفي الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُهُ: إنَّ الذين آمنوا، والذين هادوا، مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ والصابئون والنصارى كذلك. قرأ يعقوبُ: (فَلاَ خَوْفَ) بفتحِ الفاءِ وعدمِ التنوين، والباقونَ: بالرفع والتنوين(١).

***

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ في التوحيدِ والنبوَّةِ.

﴿ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ﴾ ليبينوا لهم أمرَ دينِهم.

﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ ﴾ مما يخالفُ أهواءَهُمْ.

﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ ﴾ كمحمدٍ وعيسى.

﴿ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ يعني: قتلوا؛ كزكريا ويحيى.

***

﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ظنُّوا أنهم لا يُعذَّبونَ بذنوبهم. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وحمزةُ، والكسائيُّ: (تَكُونُ) برفعِ النونِ على معنى:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤، ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٠).

أنه لا تكونُ، وقرأ الباقون: بالنصبِ[1]، كما لو لم تكنْ قبلَه (لا).

﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ عن الحقِّ بعبادةِ العجلِ.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قَبلَ توبتَهم حينَ تابوا.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ بسؤالِ الرؤيةِ، المعنى: رَماهُم اللهُ بالعمى والصَّمَمِ.

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فمُجازيهم[2] وفْقَ أعمالِهم.

***

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ يعني: الملكائيةَ واليعقوبيةَ منهم.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: إني عبدٌ مربوبٌ مثلُكم.

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في عبادتِه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣١).

(٢) في «ن»: «فيجازيهم».

﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ يُمْنَعُ من دخولِها.

﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ فإنها المعدَّةُ للمشركين.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يَنصرونهم من النارِ.

* * *

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾.

[٧٣] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ أي: أحدُ.

﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ يعني: المرقوسيةَ؛ لأنهم يقولون: الإلهيةُ مشتركةٌ بينَ اللهِ ومريمَ وعيسى، وكلُّ واحدٍ من هؤلاء إلهٌ، فهم ثلاثةٌ، ومن قالَ: إن الله ثالثُ ثلاثةٍ، ولم يردِ الآلهةَ[1]، لم يكفرْ؛ لقولِه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، ولقولِه ﷺ لأبي بكرٍ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟»[2]، ثم قالَ ردّاً عليهم:

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وما في الموجوداتِ إلاَّ إلهٌ واحدٌ متعالٍ عن الشركَةِ، و(مِنْ) مزيدةٌ للاستغراقِ.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ ولم يوحِّدوا.

---

(١) في «ن»: «الإلهية».

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم (٢٣٨١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: ليمسَّنَّ الذين بقُوا منهم على الكفرِ.

***

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ ﴾ أي: ألا يتوبونَ بالانتهاءِ عن تلكَ العقائدِ، ويستغفرونَ بالتوحيدِ والتنزيهِ.

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يغفرُ لهم إنْ تابوا.

***

﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ثم نَفَى عن عيسى الألوهيةَ، وأثبت لهُ ولأمهِ البشريةَ بقولِه:

﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ ﴾ مضتْ.

﴿ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ فهو رسولٌ من جنسِ الرسلِ الماضين، يموتُ ويمضي، ولو كانَ إلهاً، لكانَ دائماً.

﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ ﴾ كثيرةُ الصِّدْقِ.

﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ أي: يحتاجان إليه كالآدميينَ، ومَنْ هذهِ صفتهُ، كيفَ يكونُ إلهاً؟! ثم عجبَ من كفرِهم معَ قيامِ البرهانِ على بشريَّتِهما فقالَ:

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: الدَّلالاتِ على ذلك، ثم عجبَ ثانياً من تركِهمُ الإيمانَ معَ وضوحِ الدليلِ، فجاءَ بـ(ثم) للتراخي بينَ العجبينِ فقال:

﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ كيفَ يُصْرَفون عن الحقِّ، وتقدَّم في سورةِ آلِ عمران أنَّ (ثُمَّ) للترتيبِ بمهلَةٍ.

* * *

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ﴾ هو عيسى وكلُّ معبودٍ غيرِ اللهِ.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ يملكُ الضرَّ والنفعَ، فهو الإلهُ على الحقيقةِ.

* * *

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ تتجاوَزُوا

﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ والغلوُّ والتقصيرُ كلٌّ منهما مذمومٌ في الدين.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ﴾ والأهواءُ جمع الهوى، وهو ما تدعو إليه شهوةُ النفسِ.

﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: أسلافَهم وأئمتَهم الذين ضلُّوا قبلَ مبعثِ محمدٍ ﷺ في شريعتِهم، والخطابُ للذين كانوا في عصرِ النبيِّ ﷺ.

﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من أصحابِهم.

﴿وَضَلُّوا۟﴾ ثانياً لما بُعِثَ النبيُّ ﷺ.

﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن قصدِ طريقِ محمدٍ ﷺ.

* * *

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ يعني: أهلَ أيلةَ، لعنَهم داودُ، فمُسخوا قردةً، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِهم في البقرةِ.

﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾ أي: وعلى لسانِ عيسى؛ يعني: كفارَ أصحابِ المائدةِ، لعنَهم عيسى، فمُسخوا خنازير، ويأتي ذكرُ قصتِهم أواخرَ السورة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المسخُ.

﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ أي: بسببِ اعتدائِهم بما حرَّمَ اللهُ.

* * *

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾ أي: لا ينهى بعضُهم بعضاً.

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ ذمٌّ لتركِهم النهيَ.

* * *

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ من اليهودِ: كعبِ بنِ الأشرفِ وأتباعِه.

﴿ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مشركي مكةَ يستمدُّونَهم على النبيِّ ﷺ.

﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي: لبئس شيئاً قدَّموه لمعادِهم.

﴿ أَن سَخِطَ ﴾ أي: غضبَ.

﴿ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ.

* * *

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ ﴾ يعني: الكفارَ.

﴿ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ خارجونَ عن أمرِ الله تعالى.

* * *

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ يعني: مشركي العرب؛ لشدةِ شكيمتِهم وتضاعُفِ كفرِهم.

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ﴾ لِلينِ جانبِهم، وقلَّةِ حرصِهم على الدنيا، وليسَ المرادُ جميعَ النصارى، بلْ مَنْ أسلمَ؛ كالنجاشيِّ وأصحابِه لما قدمَ عليهم المسلمونَ في الهجرةِ الأولى في السنةِ الخامسةِ من مبعَثِ رسولِ الله ﷺ، واسمُ النجاشيِّ أَصْحَمَةُ، ومعناهُ بالعربيِّ عَطِيَّةُ، وإنما النجاشي اسمُ الملكِ؛ كقولِهم: قيصرَ، وكسرى.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: قربُ المودة.

﴿ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ ﴾ علماءَ.

﴿ وَرُهۡبَانًا ﴾ عُبَّاداً.

﴿ وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ لا يتعظَّمون عن الإيمان.

***

﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾.

[٨٣] ﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ والمرادُ: وفدُ النجاشيِّ إلى النبيِّ ﷺ، لما سمعوا القرآنَ، رَقَّتْ قلوبُهم، وفاضَتْ عيونُهم بالدمعِ.

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ المقرِّينَ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ.

***

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ولما عَيَّرهم اليهودُ بالإيمانِ، قالوا منكِرينَ على أنفسِهم تركَ الإيمانِ بعدَ[1] قيامِ البرهانِ:

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ وحدَهُ.

﴿ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: في أمةِ محمدٍ ﷺ.

* * *

﴿ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الذين أحسنوا النظرَ والعملَ.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وهي النارُ الشديدةُ الاتقّادِ.

* * *

---

(١) في «ن»: «مع».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

[٨٧] ونزلَ نهياً لجماعةٍ من الصحابةِ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ حينَ حلفوا أن يترَهَّبُوا، ويَلْبَسوا المُسُوحَ، ويقوموا الليلَ، ويصوموا النهارَ، ويَجُبُّوا مذاكيرَهم، وهم: أبو بكرٍ الصدّيقُ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ، وأبو ذرٍّ الغفاريُّ، وسالمٌ مولَى [أبي][1] حذيفةَ، والمقدادُ بنُ الأسودِ، وسلمانُ الفارسيُّ، ومعقلُ بنُ مقرنٍ، وعثمانُ بنُ مظعونٍ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[2] من اللذاتِ التي تَشْتهيها النفوسُ مما أحلَّ اللهُ.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ لا تتجاوزوا الحلالَ إلى الحرامِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

قالَ ﷺ: «إنَ خِصاءَ أُمَّتي الصِّيامُ، وَإِنَّ سِياحَتَهُمُ الْجِهادُ فِي سَبيلِ اللهِ، وَإِنَّ رَهْبانِيَّتَهُمُ الْجُلوسُ فِي الْمَساجِدِ، وَانْتِظارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ»[3].

***

---

(١) لم ترد في جميع النسخ، والصواب إثباتها.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٠٤_٧٠٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص: ٢٩٠)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٧٠)، وفي «تفسيره» (١/ ٧٠٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٢٢٦)، عن عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾ حثٌّ على استعمالِ الحلالِ.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالَتْ: «كان النبيُّ ﷺ يُحِبَّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ»(١).

***

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ ﴾ كائناً.

﴿ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه واختلافُ الأئمةِ فيه في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ نظيرِ هذهِ الآيةِ.

---

(١) رواه البخاري (٥١١٥)، كتاب: الأطعمة، باب: الحلواء والعسل، ومسلم (١٤٧٤)، كتاب: الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوِ الطلاق. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٠٧)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٤).

﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ: (عَقَدْتُمْ) بالقصرِ والتخفيفِ، ورواهُ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ كذلك، إلا أنه بألفٍ بعدَ العين، وقرأ الباقونَ: بالتشديد من غير ألفٍ، وعقدُ اليمينِ: توثيقُها باللَّفظِ معَ العزمِ عليها. المعنى: إنَّما يؤاخِذُكم بيمينِكم إذا حنثتُمْ فيها.

﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ ﴾ أي: سترُ الحنثِ.

﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾.

واختلفوا في قدرِ الكفارة وحكمِها:

فقال أبو حنيفةَ: نصفُ صاعِ بُرٍّ لكلِّ مسكينٍ، أو صاعٌ من شعيرٍ أو تمرٍ أو زبيبٍ، أو قيمةُ ذلكَ، والصاعُ ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقيِّ.

وقال أبو يوسف: خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ، أو يُغَدِّيهم ويُعَشِّيهم، ولا بدَّ من شِبَعِهم[1] في الأكلتينِ، ويجوزُ عندَه صرفُها إلى العبدِ والذميِّ، ولا يجوزُ عندَه التكفيرُ قبلَ الحنثِ.

وقال مالكٌ: لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ من حنطَةٍ أو غيرِها مِمَّا هو قوتٌ لهم بالمدِّ الأصغرِ بمدِّ النبيِّ ﷺ إذا أخرجَ الكفارةَ بالمدينة، وفي بقيةِ الأمصارِ وسطٌ منَ الشبع، وهو رِطْلانِ بالبغداديِّ من الخبز، وشيءٌ من الإدامِ.

وقالَ الشافعيُّ: لكلِّ مسكينٍ مُدُّ حَبٍّ من غالبِ قوتِ بلدِه.

وقالَ أحمدُ: لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ من بُرٍّ، أو مُدَّانِ من شعيرٍ أو تمرٍ أو

---

(١) «ولا بد من شبعهم» ساقطة من «ن».

زبيبٍ[1]، وقدرُ المدِّ رطلٌ وثلثٌ عراقيٌّ، ورطلٌ وسبعُ رطلٍ وثلثُ سبعِ رطلٍ مصريٍّ، وثلاثُ أواقٍ وثلاثةُ أسباعِ أوقيةٍ دمشقيةٍ، وأوقيتانِ وستةُ أسباعِ أوقيةٍ حلبيةٍ، وأوقيتانِ وأربعةُ أسباعِ أوقيةٍ قدسيةٍ، ومئةٌ وواحدٌ وسبعونَ درهماً وثلاثةُ أسباعِ درهمٍ ومئةٌ وعشرونَ مثقالاً، ويأتي ذكرُ الصاعِ في سورةِ التوبةِ عندَ ذكرِ الزكاة إن شاء الله تعالى.

واتفق مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ على عدمِ جوازِ صرفِها إلى رقيقٍ وذميٍّ، وعلى عدمِ جوازِ إخراجِ القيمةِ وغداء المساكينَ وعشائهم، وعلى أنه يجوز التكفيرُ قبلَ الحنثِ وبعدَه.

﴿ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ﴾ خيرِ قوتِ عيالِكم.

﴿ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ ﴾ فعندَ أبي حنيفةَ المقصودُ منها ردُّ العُرْيِ، فكلُّ ثوبٍ يصيرُ به مُكْتَسِياً يسمَّى كسوةً، وعندَ مالكٍ إن كانوا رجالاً، ثوباً ثوباً، وإن كُنَّ نساءً، فثوبين ثوبين، درعاً وخماراً لكلِّ امرأةٍ منهنَّ، وعندَ الشافعيِّ ما يُسَمَّى كسوةً؛ كقميصٍ، أو عِمامةٍ، أو إزارٍ، وعندَ أحمدَ للرجلِ ثوبٌ يجزئُه أن يصلِّيَ فيه، وللمرأةِ درعٌ وخمارٌ.

واختلفوا فيما إذا أطعمَ خمسةً وكسا خمسةً، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يجزئُه، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يجزئُه.

وكذلكَ اختلافُهم فيما إذا أطعمَ من جنسينِ، فأطعمَ خمسةً بُرّاً، وخمسةً تمراً، أو خمسةً براً، وخمسة شعيراً.

﴿ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ سليمةٍ من كلِّ عيبٍ يَضُرُّ بالعملِ ضرراً بيِّناً بالاتفاق،

---

(١) من قوله: «القربة وأصل الوسيلة...» في الآية (٣٥) من هذه السورة، (ص: ٢٩١) إلى هنا سقط من (ش)، وهو بمقدار (٨) لوحات من النسخ الخطية الأخرىٰ.

والأئمةُ الثلاثةُ يشترطونَ الإيمانَ في عتقِ الرقبةِ قياساً على كفارةِ القتلِ، وأبو حنيفةَ جَوَّزَ عتقَ الرقبةِ الكافرةِ في جميعِ الكفاراتِ سوى كفارةِ القتلِ، فالحانثُ مخيَّرٌ بينَ الإطعامِ والكسوةِ والتحريرِ بالاتفاق إنْ وجدَ ما يفضُلُ عن قوتِه وقوتِ عيالِه.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً منها.

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعاتٍ عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ، وقالَ مالكٌ والشافعيُّ في الأظهر: لا يجبُ التتابعُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ.

﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحَنِثْتُمْ.

﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ فلا تَنْكُثوها إن لم تكن على تركِ مندوبٍ أو فعلِ مكروهٍ، فإن كانتْ على شيءٍ منها، فالأولى الحنثُ، قال ﷺ لعبدِ الرحمنِ بنِ سَمُرَةَ: «لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ، وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»[1]. وقالَ ﷺ: «إِنِّي وَاللهِ لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا، وَتَحَلَّلْتُهَا»[2]، وقولُه: «تَحَلَّلْتُهَا» من التحلُّلِ، وهو

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤٨)، في أول كتاب: الأيمان والنذور، ومسلم (١٦٥٢)، كتاب: الإيمان، باب: ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها...، عن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٤)، كتاب: أبواب الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين، ومسلم (١٦٤٩)، كتاب: الأيمان، باب: ندب من=

التخلُّصُ من عُهْدَةِ اليمينِ، والخروجُ من حرمتِها إلى ما يحلُّ منها بالكفارةِ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك البيانِ.

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أعلامَ شرائِعه.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمةَ التعليم.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) ﴾.

[٩٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ ﴾ جمعُ نُصُبٍ.

﴿ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُ الخمرِ والميسرِ في سورةِ البقرةِ، وتقدَّمَ في صدرِ هذهِ السورةِ تفسيرُ الأنصابِ والأزلامِ.

﴿ رِجْسٌ ﴾ خبيثٌ.

﴿ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ من تزْيينِهِ.

﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ الضميرُ للرِّجْسِ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تُفْلِحوا بالاجتنابِ عنه.

***

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾.

= حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها...، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أي: بسببهما، أمَّا العداوةُ في الخمرِ لأنَّ الشاربينَ إذا سكروا، عَرْبَدُوا وتَشاجَرُوا كما فعلَ الأنصاريُّ الذي شجَّ رأسَ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِه في سورةِ البقرةِ، وأما العداوةُ في الميسرِ، قالَ قَتادةُ: كانَ الرجلُ يُقامِرُ على الأهلِ والمالِ، ثمَّ يبقى حزيناً مسلوبَ الأهلِ والمالِ.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ واختصاصُ الصلاةِ من بينِ الذكر، كأنه قيلَ: وعن الصلاةِ خصوصاً.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ استفهامٌ، ومعناهُ الأمرُ.

***

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ المحارمَ.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ في تحريمِ ما أمرَ بتحريمِه، وعلى المرسِلِ أن يعاقبَ ويُثيبَ بحسبِ ما يُعْصى ويُطاع، قال ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ»(١).

***

(١) رواه البخاري (٥٣٥٣)، في أول كتاب: الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣)، كتاب: الأشربة، باب: عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها بمنعه إياها في الآخرة، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ونزلَ فيمن استعملَ شيئاً من الخمرِ والميسرِ من المؤمنينَ قبلَ التحريمِ:

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ أكلوا من مالِ القمارِ، وشربوا من الخمرِ قبلَ التحريم. قرأ أبو عمرٍو: (الصَّالِحَات جُّنَاحٌ) بإدغامِ التاءِ في الجيمِ[1].

﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ الشركَ ﴿ وَّءَامَنُواْ ﴾ ثبتوا على الإيمانِ.

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ ﴾ الخمرَ والميسرَ بعدَ التحريمِ.

﴿ وَّءَامَنُواْ ﴾ ازدادوا إيماناً.

﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ ﴾ محارمَ اللهِ تعالى، وكررَ الاتقاءَ تأكيداً.

﴿ وَّأَحْسَنُواْۗ ﴾ طاعةَ اللهِ تعالى.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فلا يؤاخذُهم بشيء.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٦).

[٩٤] ولما كانوا محرمينَ عامَ الحُدَيبيةِ، ابتلاهُمُ اللهُ بالصيدِ، وكانتِ الوحوشُ تَغْشاهم في رحالِهم بحيثُ تمكَّنُوا من صيدِها أَخْذاً بأَيديهِم، وطَعْناً برماحِهم وهُم مُحْرِمونَ، فنزلَتْ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] ليختبرنَّكُمْ ليظهرَ المطيعُ من العاصي.

﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ إنما خصَّ فقالَ: ﴿بشيءٍ﴾؛ لأنهُ ابتلاهمُ اللهُ بصيدِ البرِّ خاصَّةٍ.

﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ ﴾ يعني: الفرخَ والبيضَ وما لا يقدرُ أن يفرَّ. قرأ أبو عمرٍو: (مِنَ الصَّيْد تَّنَالُهُ) بإدغامِ الدالِ في التاء[2].

﴿ وَرِمَاحُكُمْ﴾ تنالُ كبارَهُ.

﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ ليتميزَ الخائفُ من عقابه باجتنابِ الصيدِ ممَّنْ لا يخافُهُ؛ لضعفِ قلبِه، وقلةِ إيمانِه.

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بصيدِه بعدَ التحريم.

﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فالوعيدُ لاحقٌ به.

***

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧١١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٦).

مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ونزلَ في رجلٍ يُقالُ له: أبو اليَسَرِ شدَّ على حمارٍ وحشيٍّ وهو محرمٌ فقتلَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾(١) جمعُ حَرامٍ؛ أي: محرِمونَ بالحجِّ وبالعمرةِ.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ والمتعمدُ: القاصدُ للشيءِ مع العلمِ بالإحرامِ، والمخطئُ: هو الذي يقصدُ شيئاً فيصيبُ صيداً، والناسي: هو الذي يتعمَّدُ الصيدَ ولا يذكرُ إحرامَهُ، فيجبُ الجزاءُ في العمدِ والخطأِ والنسيانِ بالاتفاقِ، وعن أحمدَ روايةٌ: لا شيءَ على المخطئِ والناسي؛ لأن اللهَ سبحانه لما خَصَّ المتعمِّدَ بالذكرِ، دلَّ على أنَّ غيرَه يخالفُه، قالَ: والأصلُ براءةُ الذِّمَّةِ، فمنِ ادَّعى شغلَها، فعليهِ الدليلُ، والصحيحُ من مذهبِهِ: وجُوبُ الجزاءِ.

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (فَجَزَاءٌ) منوَّن (مِثْلُ) رَفْعٌ على البدل من الجزاء، وقرأ الباقون بالإضافة(٢)؛ أي: يجبُ عليه ما يقرُبُ من الصيدِ المقتولِ شَبَهاً بهِ من حيثُ الخلقةُ، والذي يُجزِئ من الصيدِ شيئانِ: دوابٌّ، وطيرٌ، فيجزئ ما كانَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧١٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧١٢-٧١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٧).

من الدوابِّ بنظيرِه في الخِلْقةِ والصورةِ عندَ الثلاثةِ، وقالَ أبو حنيفةَ: إنما يعتبرُ بالمثلِ في القيمةِ دونَ الخِلْقةِ، فَيُقَوَّمُ الصيدُ بدراهمَ في المكانِ الذي قتلَه، وفي أقربِ موضعٍ إليه إنْ كانَ لا يباعُ الصيدُ في موضعِ قُتِلَ، فيشتري بتلكَ القيمةِ هَدْياً يذبُحه إن شاءَ، أو يشتري بها طعاماً، ويُطعم للمساكينِ، كُلُّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ من بُرٍّ، أو صاعاً من شعيرٍ أو تمرٍ، وإن شاءَ صامَ عن كلِّ نصفِ صاعٍ يوماً.

وقال مالكٌ: في النَّعامَةِ بَدَنَةٌ، وفي بقرِ الوحشِ وحمارِه بقرةٌ، وفي الضَّبُعِ والثعلبِ شاةٌ، وفي نحوِ الضَّبِّ والأرنبِ القيمةُ طعاماً، وفي الحمامِ كُلِّه قيمتُه، إلا حمامَ مكةَ، فإنَّ فيه شاةً اتباعاً للسلف في ذلكَ.

وقالَ الشافعيُّ: في النَّعامةِ وبقرِ الوحشِ وحمارِه كقولِ مالكٍ، وفي الغزالِ عَنْزٌ، وفي الأرنبِ عَناقٌ، واليربوعِ جَفْرَةٌ، وما لا نقلَ فيه يحكمُ بمثلِه عَدْلان، وفيما لا مثلَ لهُ القيمةُ.

وقال أحمدُ في النعامة كقولِ مالكٍ والشافعيِّ، وفي حمارِ الوحشِ وبقرِه والأَيِّلِ والثَّيْتَلِ والوعِلِ بقرةٌ، وفي الضبع كبشٌ، وفي الغزالِ شاةٌ، وفي الوَبْرِ والضَّبِّ جَدْيٌ، وفي اليربوعِ جفرةٌ لها أربعةُ أشهرٍ، وفي الأرنبِ عناقٌ، وفي الحمامِ شاةٌ، وفيما لا مثلَ له وهي سائرُ الطير قيمتُه. واتفق مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ على أنه مخيَّرٌ في الصيدِ المِثْلِيِّ بينَ ذبحِ مثلِه، والصدقةِ به على مساكينِ الحرمِ، أو بينَ أن يقوِّمَ المثلُ ويَشتري به طعاماً، فيطعمَ كلَّ مسكينٍ مُدّاً، أو يصومَ عن كلِّ مدٍّ يوماً.

واختلفوا في المحرمِ إذا دلَّ حلالاً على صيدٍ فقتلَهُ الحلالُ، فقال مالكٌ والشافعيُّ: لا شيءَ عليه، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: عليه الجزاءُ.

﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بالجزاءِ.

﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: عدلانِ من المسلمينَ، فينظرانِ أشبهَ الأشياءِ إلى المقتولِ، فيحكمان به، ويجوزُ أن يكونَ القاتلُ أحدَ العدلينِ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا يجوز.

﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي: يبلغُ بالهديِ الحرمَ، فيُنْحَرُ فيه، ويُتصدَّقُ به على مساكينِه عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ يُذبحُ بالحرمِ، ويُتصدَّقُ به حيثُ شاءَ، والاختيارُ عندَ مالكٍ أن يطعمَ القاتلُ حيثُ وجبَ الجزاءُ عليه، فإن أطعمَ في مكانٍ غيرِه، أجزأَ عنه.

﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ أي: هي طعام. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ: (كَفَّارَةُ) بغير تنوين (طَعَامٍ) بالخفضِ على الإضافة، والباقون: بالتنوين، ورفعِ (طعام)[1].

﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ أو ما ساواه من الصوم، والعَدْل بالفتح: المثلُ من غيرِ جنسِه، والمراد: أن الجانيَ مخيرٌ في جزاءِ الصيدِ بينَ ذبحِ المثلِ من النَّعَمِ، والتصدُّقِ بلحمه، وبينَ أن يقوِّمَ المثلُ دراهمَ يشتري بها طعاماً، فيتصدقُ به، أو يصومُ كما تقدَّمَ ذكرُه قريباً في فقهِ الآيةِ، وله أن يصومَ حيثُ شاءَ بالاتفاق؛ لأنه لا نفعَ فيه للمساكين.

﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ جزاءَ معصيته، وأصلُ الوبالِ: الثقلُ.

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ قبلَ تحريمِ الصيدِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٨).

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى ما نُهي عنه.

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ في الآخرةِ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِمَّنْ أصرَّ على عصيانِه.

***

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ كلُّ ما صِيدَ منه، والمراد بالبحرِ: جميعُ المياهِ.

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ المأكولُ منهُ.

﴿مَتَٰعًا﴾ أي: تمتيعاً.

﴿لَّكُمْ﴾ بأنْ تأكلوه طَرِيّاً.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المارَّةِ؛ بأنْ يتزوَّدوهُ لأسفارِهِمْ، فكلُّ ما صِيدَ من البحرِ مما لا يعيشُ إلا في الماءِ حلالٌ عندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ في البحرِ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»(١)، ويحرمُ عندَ الشافعيِّ ما يعيشُ في برٍّ وبحرٍ؛ كضِفْدِعٍ، وسَرَطانٍ، وحيَّةٍ، ويحرمُ عندَ أحمدَ الضفدعُ، والحيَّةُ، والتمساحُ، ومالكٌ أباحَ جميعَهُ سواءٌ كانَ مِما له شبهٌ في

---

(١) رواه أبو داود (٨٣)، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، والنسائي (٥٩)، كتاب: الطهارة، باب: ماء البحر، والترمذي (٦٩)، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٦)، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

البرِّ، أو مما لا شبهَ لهُ، من غيرِ احتياجٍ إلى ذَكاةٍ، وسواءٌ تلفَ بنفسِه، أو بسببٍ، وتَوَقَّفَ في خنزيرِ الماءِ فقط، وقالَ أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يحلُّ مما في البحرِ إلاَّ السمكُ.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ صيدُ البحرِ حلالٌ للمحرمِ كغيرِه بالاتفاق، وأما صيدُ البرِّ، فحرامٌ على المحرِمِ، ويحرُمُ في الحرَمِ مطلقاً بالاتفاق، والصيدُ: هو الحيوانُ الوحشيُّ الذي يحلُّ أكلُه، فلا يجوزُ للمحرِمِ أن يأكلَ مما صادَهُ، بالاتفاقِ، واختلفوا فيما اصطادَهُ الحلالُ لأجلِه، فقالَ الثلاثةُ: لا يجوزُ للمحرِمِ أكلُه، سواءٌ صِيدَ بعلمِهِ، أو بغيرِ علمِه، وقالَ أبو حنيفةَ: يجوزُ لهُ أكلُ ما صِيدَ له إذا لم يكنْ قَدْ دَلَّ عليهِ، وأما إذا لم يُصَدْ لهُ، ولا من أجلِه، فيجوزُ أكلُه، بالاتفاقِ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تشديدٌ وتنبيهٌ عقبَ هذا التحليلِ والتحريمِ.

* * *

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ سميت كعبةً؛ لتربيعها، والعربُ تسمِّي كلَّ بيتٍ مربعٍ كعبةٍ. قرأ الكسائيُّ: (الكَعْبَة) بإمالة الباء حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيث.

﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (قِيَماً) بغيرِ ألفٍ بعدَ الياء، والباقون:

بالألف؛ أي: قواماً لهم في أمرِ دينهِم ودنياهم(١).

﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي: الأشهرَ الحرمَ، وهي: ذو القعدةِ، وذو الحجَّةِ والمحرَّمُ، ورجبٌ.

﴿وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ تقدَّم تفسيرُهما في أولِ السورةِ.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قرأ أبو عمرٍو: (وَالْقَلاَئِد ذَّلِكَ) بإدغامِ الدالِ في الذال في هذا الحرفِ لا غيرُ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ من مصالِحِكم، وجميعِ الوجودِ.

﴿عَلِيمٌ﴾ فتتقونَهُ.

* * *

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾.

[٩٨] ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن عَصاهُ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لمن أَطاعَهُ.

* * *

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾.

[٩٩] ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ التبليغُ، ليسَ له الهدايةُ والتوفيقُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ أي: تظهرونَهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٩).

﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: تُسِرُّونَ وتُخفونَ من كفرٍ ونفاقٍ.

***

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ونزل نهياً للمسلمين عن الإيقاعِ بحجاجِ المشركينَ، وتقدمتِ القصةُ في أولِ السورةِ:

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ أي: الحرامُ والحلالُ.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ ﴾ فإنَّ المحمودَ القليلَ خيرٌ من المذمومِ الكثيرِ.

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تتعرَّضُوا للحجَّاجِ، وإنْ كانوا مشركينَ.

﴿ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ راجينَ أن تبلُغوا الفلاحَ.

***

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ونزلَ تأديباً للمؤمنينَ لما أكثروا على النبيِّ ﷺ السؤالَ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ ﴾ أي: تظهرْ لكم، وتقدَّمَ التنبيهُ على اختلافِ القرَّاءِ في حكمِ الهمزتين من كلمتينِ عندَ قولِه: (وَالْبَغْضَاءَ إِلى)، وكذلكَ اختلافهم في (أَشْيَاءَ إِنْ).

﴿ تَسُؤْكُمْ ﴾ إن أُمِرْتُم بالعملِ بها .

﴿ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا ﴾ أي : التكاليفِ الضيقةِ .

﴿ حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ أي : زمنَ الوحيِ .

﴿ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ أي : تلكَ التكاليفُ التي تسؤكم ، وتُؤْمروا بتحمُّلها .

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ أي : ما سَلَفَ من مسائِلِكم .

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ لا يُعاجِلُكُم بعقوبةِ ما يفرطُ منكُم .

* * *

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ قَدْ سَأَلَهَا ﴾ الضميرُ للمسألة التي دلَّ عليها : (تسألوا) .

﴿ قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ كما سألَتْ ثمودُ صالحاً الناقةَ ، وسأَلَ قومُ عيسى المائدةَ .

﴿ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ فأُهلكوا . قرأ أبو عمرٍو ، وحمزةُ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، وهشامٌ : (قَد سَّأَلَهَا) بإدغام الدالِ في السين ، والباقون : بالإظهار[(١)] .

* * *

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

[١٠٣] ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي : ما شَرَعَ .

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٠٥) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٠٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٠) .

﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ كانَ في الجاهليةِ إذا ولدَتِ الناقةُ خمسةَ أَبْطُنٍ، بَحَرُوا أُذُنَها؛ أي: شَقُّوها، وتُرِكَتْ، فلا تُركبُ، ولا تُحلبُ.

﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ البعيرِ يُسَيَّبُ بِنَذْرٍ يكونُ على الرجلِ، فيكونُ بمنزلةِ البَحيرةِ.

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ الشاةُ إذا ولدَتْ ذكراً، كانَ لآلهتِهم، وإن ولدَتْ أنثى، فهي لهم، فإن ولدَتْ ذكراً وأنثى، قالوا: وَصَلَتْ أَخاها، فلم تُذْبح للآلهة.

﴿وَلَا حَامٍ﴾ هو من رُكِبَ ولدُ ولدِه منَ البعيرِ، يقال: حَمَى ظهرَهُ، فلا يُركبُ. فمعنى الآية: الردُّ والإنكار لما ابتدعَهُ أهلُ الجاهلية. رُوِيَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (حَامِي)[1].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتحريمِهم ما حَرَّموا.

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبةِ ذلكَ إليهِ.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحلالَ من الحرامِ، لكنَّهم يقلِّدونَ كبارَهم.

***

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ في تحليلِ الحرثِ والأنعامِ، وبيانِ الشرائعِ والأحكامِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٢٤١).

﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ المعنى: إذا دُعِيَ الكفارُ إلى الإيمانِ، قالوا: كافِينا دينُ آبائِنا.

﴿أَوَلَوْ﴾ واوُ الحالِ دخلَتْ عليها همزةُ الإنكارِ، وتقديرُه: أَحَسْبُهُمْ دينُ آبائِهِمْ ولو.

﴿كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ من التوحيد.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه. المعنى: لا يجوزُ الاقتداء إلا بالعالمِ المهتدي.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: الزموا صلاحَ أنفسِكم.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ وليسَتْ هذهِ الآيةُ نازلةً في تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ؛ لما رُوي أن أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ»(١)، وعنِ ابنِ مسعودٍ في هذهِ الآية: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مَا قُبِلَ مِنْكُمْ، فَإِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، والترمذي (٢١٦٨)، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، وقال: صحيح، وابن ماجه (٤٠٠٥)، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٥٢).

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعاً، الضالُّ والمهتدي.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وعدٌ ووعيدٌ للفريقين، وتنبيهٌ على أن أحداً لا يؤاخَذُ بذنبِ غيرِه.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ولما سافرَ تميمُ بنُ أوسٍ الداريُّ، وعَدِيُّ بنُ بَدَّاءَ إلى الشامِ، وهما نصرانيانِ، ومعهما بُدَيْلٌ مولى عمرِو بنِ العاصِ، وكانَ مسلماً، فلما قَدِموا الشامَ، مرضَ بديلٌ، فكتبَ كتاباً فيه جميعُ ما معه، وألقاه في متاعِه، ولم يخبرْ صاحبيهِ، فلما اشتدَّ وجعُه، أمرَهما أن يدفَعا متاعَه إذا رجَعا إلى أهلِهِ، وماتَ بديلٌ، ففتشا متاعَه، فأخذا منهُ إناءً من فِضَّةٍ منقوشاً بالذهبِ فيه ثلاثُ مئةِ مثقالٍ فضةً، فغَيَّباهُ، ثم قَضَيا حاجَتَهما، وانصرَفا إلى المدينةِ، فدفعا المتاعَ إلى أهلِ الميت، ففتشوا، وأصابوا الصحيفةَ فيها تسميةُ ما كانَ معه، فجاؤوا تميماً وعديّاً، فقالوا: هل باعَ صاحبُنا شيئاً من متاعِه؟ قالا: لا، قالوا: فهل اتَّجَرَ تِجارةً؟ قالا: لا، قالوا: فهل طالَ مرضُه فأنفقَ على نفسِه؟ قالا: لا، قالوا: إنا وجدْنا في متاعِه صحيفةً فيها تسميةُ ما معه، وإنا فقدنا منها إناءً من فضةٍ مموهاً بالذهب، فيه ثلاثُ مئةِ مثقالٍ فضةً، فجحدا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فأصرَّا على الإنكار، فأنزل الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾[1] أي: فيما أُمرتم شهادةُ بينِكم، والمرادُ بالشهادة: الإشهادُ.

﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ﴾ إذا شارَفَهُ فظهَرَتْ أمارتُهُ.

﴿ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ﴾ أي: ليشهدِ اثنانِ على الوصية.

﴿ ذَوَا عَدۡلٖ ﴾ أي: أمانةٍ وعقلٍ.

﴿ مِّنكُمۡ ﴾ أي: من أهلِ دينِكم يا معشرَ المؤمنين.

﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ أو من غيرِ دينِكم وملّتِكُمْ.

﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ سافرتُم فيها.

﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ أي: قاربتم الأجلَ.

﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا ﴾ أي: تَسْتوقفونهما.

﴿ مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: صلاةِ العصرِ؛ لأنَّ جميعَ أهلِ الأديانِ يعظِّمونَ ذلك الوقتَ، ويتجنبونَ فيه الحلفَ الكاذبَ.

﴿ فَيُقۡسِمَانِ ﴾ يَحلِفانِ.

﴿ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾ أي: شَكَكْتُم، ووقعتَ لكم الريبةُ في قولِ الشاهدينِ وصدِقهما اللّذينِ ليسا من أهلِ ملّتِكم، فإن كانا مسلمينِ، فلا يمينَ عليهما بالاتفاق.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٢٨)، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ .. ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٧).

﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ لا نحلفُ باللهِ كاذبينَ على عوضٍ نأخذُه، أو مالٍ نذهبُ به، أو حقٍّ نجحدُه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كانَ المشهودُ له ذا قرابةٍ مِنَّا.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ وأضيفتِ الشهادةُ إلى اللهِ تعالى لأمرِه بها. وقرأ يعقوبُ: (شَهَادَةً) بالتنوين (آللهِ) ممدودٌ، جُعل الاستفهامُ عوضاً عن حرفِ القسمِ، ورُويَ عن أبي جعفرٍ: (شَهَادَةً) منونة (أَللهِ) بقطعِ الألفِ وكسر الهاءِ من غيرِ استفهامٍ على ابتداءِ اليمين؛ أي: واللهِ[1].

﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾ إنْ كتمناها، فلما نزلَتْ هذه الآيةُ، صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ العصرَ، ودَعا تميماً وعَدِيّاً، فاستحْلَفَهُما عندَ المنبرِ باللهِ الذي لا إلهَ إلاَّ هوَ أنهما لم يختانا شيئاً مما دُفِعَ إليهما، فحلَفا على ذلك، وخلَّى رسولُ اللهِ ﷺ سبيلَهما.

* * *

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ثم ظهرَ الإناءُ، واختلفوا في كيفيةِ ظهورِه، فرُوِي عن ابنِ عباسٍ: «أنه وُجدَ بمكةَ، فقالوا: اشتريناهُ من تميمٍ وعَدِيٍّ»، وقال آخرونَ: لما طالتِ المدةُ، أظهراهُ، فبلغَ ذلكَ بني سهم، فأتوهما في ذلك، فقالا: إنا كنا قد اشترينا منهُ هذا، فقالوا: ألم تزعما أنَّ صاحبَنا لم يبعْ شيئاً من

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٧).

متاعِه؟! قالا: لم يكنْ عندَنا بينةٌ، وكرهنا أن نقرَّ لكم به، فكتمْنا ذلك، فرفعوهما إلى رسولِ الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾[1] اطُّلِعَ، وأصلُ العَثْرَةِ: الوقوعُ على الشيءِ.

﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ أي: فَعَلا ما أوجبَ إثماً بخيانتِهما وبأيمانِهما الكاذِبة.

﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ من أولياءِ الميتِ.

﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقامَ اللَّذَيْنِ خانا.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ أي: استحقَّ فيهم ولأجلهم الإثمُ، وهم ورثةُ الميتِ، استحق الحالفانِ بسببهما الإثمَ، و(على) بمعنى (في). قرأ حفصٌ: (اسْتَحَقَّ) بفتح التاء والحاء، وقراءة العامة: بضمِّ التاءِ على المجهولِ و(الأَوْلَيَانِ) تثنيةُ الأَوْلى، والأَوْلى هو الأقربُ؛ أي: الأحقُّ بالشهادةِ؛ لقرابتِه ومعرفتِه، وقرأ حمزةُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ويعقوبُ (الأَوَّلِينَ) بالجمعِ، فيكونُ بدلاً من (الذين)[2]، والمرادُ منهم: أولياءُ الميتِ، ومعنى الآيةِ على القراءاتِ كلِّها: إذا ظهرتْ خيانةُ الحالِفَيْنِ يقومُ اثنانِ آخرانِ من أقاربِ الميتِ.

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي: يمينُنا أحقُّ من

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٢١-٢٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٣-٢٤٤).

يمينِهما؛ كقوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ [النور: ٦]؛ أي: يمينُه.

﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ في قولِنا: إنَّ شهادتَنا أحقُّ من شهادتِهما.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ كُنَّا حلفْنا على باطلٍ، وأخذنا ما ليسَ لنا، فلما نزلَتِ الآيةُ، قام عمرُو بنُ العاصِ، والمطَّلِبُ بنُ أبي وداعةَ السَّهميانِ، فحلفا باللهِ بعدَ صلاةِ العصرِ، ودُفِعَ الإناءُ إليهما وإلى أولياءِ الميتِ، فكانَ تميمٌ الداريُّ بعدما أسلمَ يقولُ: صدقَ اللهُ ورسولُه، أنا أخذتُ الإناءَ، فأتوبُ إلى اللهِ وأستغفرُه.

* * *

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكمُ الذي تقدَّمَ.

﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقربُ.

﴿أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ على نحوِ ما تحمَّلُوها من غيرِ تحريفٍ وخيانة فيها.

﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أن تردَّ اليمينُ على المدَّعِينَ بعدَ أيمانِهم فيفضَحُوا بظهورِ الخيانةِ، واليمينِ، وإنَّما جُمعَ الضميرُ؛ لأنه حكمٌ يَعُمُّ الشهودَ كلَّهم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾ سماعَ قبولٍ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ إلى طريقِ الجنةِ.

واختلِفَ في حكمِ الآية، فقالَ قومٌ: هو منسوخٌ، ولا تُقبلُ شهادةُ الذميِّ

على مسلمٍ، وإنما جازتْ أولَ الإسلامِ؛ لقلةِ المسلمينَ، ثم نُسختْ بقولِه تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وإليه ذهبَ أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعيُّ رضي الله عنهم، وقالَ قومٌ: حكمُها ثابتٌ، وقضى به أبو موسى الأشعريُّ بالكوفةِ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، وعملَ بهِ القاضي شُرَيْحٌ، وإليه ذهبَ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه، واستدلَّ بالآيةِ على جوازِ قبولِ شهادةِ أهلِ الكتابِ الرجالِ في الوصيةِ في السفرِ إذا لم يوجَدْ غيرُهم، وحضرَ الموصيَ الموتُ، مسلماً كانَ أو كافراً، ويحلِّفُهما الحاكمُ بعدَ العصرِ وُجوباً: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ وإنها لوصيةُ الرجلِ، فإنِ اطُّلِعَ على خيانتِهما، قامَ آخرَانِ من أولياءِ الموصي، فحلَفا باللهِ: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ ولقدْ خانا وكتَما، ويقضى لهم، واللهُ أعلمُ.

* * *

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١٠٩)﴾.

[١٠٩] ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ هو يومُ القيامةِ ظرفاً ليهدي؛ أي: لا يَهْديهم إلى الجنةِ يومئذٍ.

﴿فَيَقُولُ﴾ لهم.

﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أي: ما الذي أجابَتْكُم به أُمَمُكم حينَ دعوتُموهم إلى توحيدي وطاعتي؟ وهذا السؤالُ للأنبياءِ الرُسلِ إنما هو لتقومَ الحجَّةُ على الأمم.

﴿قَالُوا۟﴾ أي: فيقولون.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ قال ابن عباس: «معناه: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إلا علمٌ أنتَ أعلمُ بهِ منَّا»(١).

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فتعلمُ ما نعلمُ مما أجابونا وأظهروا لنا، وما لم نعلمْ مما أضمَرُوا في قلوبِهم. قرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (الْغِيُوبِ) بكسر الغين حيثُ وقعَ، وضَمَّها الباقون(٢).

***

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ هذا من صفةِ يومِ القيامة؛ كأنه قالَ: اذكرْ يومَ يجمعُ اللهُ الرسلَ، وإذْ يقولُ اللهُ لعيسى، وذكرُ النعمةِ: شكرُها، والمرادُ: النعمُ، لفظُه واحدٌ، ومعناه جمعٌ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥، ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٥).

﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ مريمَ، ثم ذكرَ النعمَ فقال:

﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ يعني: جبريلَ عليه السلام.

﴿ تُكَلِّمُ ﴾ يعني: وتكلِّمُ.

﴿ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ صَبِيّاً.

﴿ وَكَهْلًا ﴾ نَبِيّاً، قالَ ابنُ عباسٍ: «أرسلَه اللهُ وهو ابنُ ثلاثينَ سنةً، فمكثَ في رسالتِه ثلاثينَ شهراً، ثم رفعَهُ اللهُ إليه»[١].

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: الخطَّ.

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ يعني: العلمَ.

﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ﴾ كصورةِ.

﴿ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا ﴾ حيّاً يطيرُ.

﴿ بِإِذْنِى ﴾ وتقدَّمَ اختلافُ القراءِ في (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) و(طَيْراً) في سورةِ آلِ عمرانَ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ وكذلكَ اختلافُهم هاهنا.

﴿ وَتُبْرِئُ ﴾ تُصَحِّحُ.

﴿ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ من قبورِهِمْ أحياءً.

﴿ بِإِذْنِى ﴾ وتقدَّم تفسيرُه في سورةِ آل عمران.

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ ﴾ منعتُ.

﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يعني: اليهودَ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٣٠).

﴿عَنكَ﴾ حينَ هَمُّوا بقتلِك.

﴿إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدَّلالاتِ المعجزاتِ، وهي التي ذكرنا.

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ﴾ يعني: ما جاءكُم به من البيناتِ.

﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: سَاحِرٌ بعد السينِ، فيكونُ راجعاً إلى عيسى عليه السلام[1].

***

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾.

[١١١] ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أي: أَلْهَمْتُهُم، وهم[2] خواصُّ أصحابِ عيسى عليه السلام، وتقدَّمَ ذكرُهم في سورةِ آلِ عمرانَ. قرأ ابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامرٍ بخلافٍ عنه: (الْحَوَارِيِّينَ) بالإمالة.

﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ حينَ وَفَّقْتُهم.

﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ مخلِصونَ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٠-٧٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٧).

(٢) في «ن» و«ت»: «وهو».

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

[١١٢] ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ والمائدةُ: الخوانُ الذي عليه الطَّعامُ. قرأ الكسائيُّ: (هَل تَّسْتَطِيعُ) بالتاء وإدغام لام (هَلْ) (رَبَّكَ) بنصبِ الباء؛ أي: هل تستطيعُ أن تدعُوَ وتسألَ ربَّكَ، وقرأ الباقون: (يَسْتَطِيعُ) بالياء (رَبُّكَ) برفعِ الباء(١)، ولم يقولوه شاكِّينَ في قدرةِ الله تعالى، ولكن معناهُ: هل يُنْزِلُ أم لا؟

﴿ قَالَ ﴾ لهم عيسى:

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ من أمثالِ هَذَا السؤالِ.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بكمالِ قدرتِه، وصِحَّةِ نبوَّتي.

* * *

﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

[١١٣] ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ أكلَ تبرُّكٍ لا أكلَ حاجةٍ.

﴿ وَتَطْمَئِنَّ ﴾ تسكنَ.

﴿ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ أي: نزدادَ إيماناً ويقيناً بأنَّكَ رسولُ الله.

﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ للهِ بالوحدانيةِ والقدرةِ، ولكَ بالنبوةِ والرسالةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٧).

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

[١١٤] ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ أي: يكونُ يومُ نزولِها عيداً نُعظِّمُهُ.

﴿ لِّأَوَّلِنَا ﴾ لمن في زمانِنا.

﴿ وَءَاخِرِنَا ﴾ لمن يأتي بعدَنا، قالوا: نزلَتْ يومَ الأحدِ، فلذلكَ اتَّخذَهُ النصارى عيداً.

﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ۖ ﴾ دلالةً وحجَّةً.

﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أي: خيرُ مَنْ أَعْطى ورزَقَ.

* * *

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

[١١٥] ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ مُجيباً لعيسى:

﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ يعني: المائدة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: (مُنَزِّلُهَا) بالتشديد؛ لأنَّها نزلَتْ مراتٍ، والتَّفعيلُ يدلُّ على التدبيرِ مرةً بعدَ أخرى، و قرأ الباقون: بالتخفيف؛ لقوله: ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا ﴾[1] .

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ أي: بعدَ نزولِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٩).

﴿ فَإِنِّيٓ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (فَإِنِّي) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ أي: جنسَ عذابٍ.

﴿ لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني عالَمي زمانِهم، والصحيحُ أنها نزلَتْ، رُوي أن عيسى عليه السلام لما سألوه نزولَ المائدةِ، لبسَ صوفاً وتضرَّعَ وبكى، وقالَ: ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً ﴾ الآية، فنزلَتْ سفرةٌ حمراءُ بينَ غَمامتينِ من فوقِها وتحتِها، وهم ينظرونَ، وهي تهوي مُنْقَضَّةً حتى سقطَتْ بينَ أيديهم، فبكى عيسى، وقالَ: اللهمَّ اجعلْني منَ الشاكرين، اللهمَّ اجعلْها رحمةً، ولا تجعلْها عقوبةً، فقالَ عيسى: لِيَقُمْ أحسنُكم عملاً فَلْيَكْشِفْ عنها، ويذكرِ اسمَ اللهِ تعالى، فقالَ شمعونُ رأسُ الحواريين: أنتَ أولى بذلك، فقامَ عيسى فصلَّى وبكى طويلاً، ثم كشفَ المنديلَ عنها، وقال: باسمِ اللهِ خيرِ الرازقينَ، فإذا هو بسمكةٍ ليسَ عليها فُلوسُها، تسيلُ دسماً، عندَ رأسِها ملحٌ، وعندَ ذَنَبِها خَلٌّ، وحولَها من جميعِ ألوانِ البقولِ ما خلا الكُرَّاثَ، وخمسةُ أرغفةٍ على واحدٍ زيتونٌ، وواحد عسلٌ، وواحد سمنٌ، وواحد جبنٌ، وواحد قديدٌ، فقالَ شمعونُ: أمن طعامِ الدُّنيا أمْ منْ طعامِ الآخرة؟ فقال عيسى: ليسَ منهُما، ولكنه شيءٌ افتعلَهُ اللهُ بالقدرةِ الغالبةِ، كلوا مما سألتُم يُمْدِدْكم ربكم، فقالوا: كنْ أولَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٩).

آكلٍ منها، فقال: معاذَ اللهِ أن آكلَ، لكنْ يأكلُ منها مَنْ سألها، فخافوا فلم يأكلوا، فأطعمَها أهلَ الفاقةِ، وكانوا أكثرَ من ألفٍ، فيهم المرضى والفقراءُ، فأكلوا حتى شبعوا، وإذا هي كهيئتها حينَ نزلَتْ، ثم طارتْ وما أكل منها فقيرٌ إلا استغنى، ولا مريضٌ إلا عوفيَ، [وكانتْ تنزلُ ضحًى، فيأكلُ منها الأغنياءُ والفقراءُ، فإذا فاءَ الفيءُ، طارتْ][(١)]، وكانت تنزلُ يوماً وتغيبُ يوماً كناقةِ ثمودَ، ترعى يوماً، وتَرِدُ يوماً، فلبثت كذلكَ أربعينَ صباحاً، وأوحى الله إليه أنِ اجعلْ رزقي في الفقراءِ دونَ الأغنياءِ، ففعلَ، فعظُمَ على الأغنياءِ، وأذاعوا القبيحَ حتى شَكُّوا وشَكَّكوا فيهِ الناسَ، فوقعتْ فيه الفتنةُ في قلوبِ المرتدِّينَ، ثم أوحى الله إلى عيسى أني آخِذٌ بشرطي من المكذِّبينَ، قد اشترطتُ عليهم أنِّي معذبُ من كفرَ منهم عذاباً لا أُعذِّبُه أحداً من العالمينَ بعدَ نزولِها، فقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فَمُسخ منهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثونَ رجلاً، باتوا من ليلتِهم على فُرُشِهم معَ نسائِهم، فأصبحوا خنازيرَ يسعَوْنَ في الطرقاتِ، ويأكلونَ العَذِراتِ، فلما رأى الناسُ ذلكَ، فزعوا إلى عيسى، وبَكَوا، فلما أبصرتِ الخنازيرُ عيسى، بكَتْ وجعلَتْ تُطيف بعيسى، وجعلَ عيسى يدعوهُم بأسمائِهم، فيشيرونَ برؤوسِهم ويبكونَ، ولا يقدرونَ على الكلام، قال الله تعالى لمحمدٍ ﷺ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد: ٦]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، فسألَ

---

(١) من قوله: «وكانت تنزل ضحىً. . .» إلى قوله: «طارت» ساقط من «ن».

عيسى ربَّهُ أَنْ يُميتهُم، فأماتهم بعدَ ثلاثةِ أيام، فما رأى أحدٌ من الناسِ منهم جيفةً في الأرضِ[1].

***

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ أي: صَيِّروني.

﴿وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والصحيحُ أنَّ هذا القولَ إنَّما يُقالُ له يومَ القيامةِ؛ بدليلِ قولِه تعالى: ﴿۞يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]؛ لأن هذا استفهامُ توبيخٍ وإثباتِ الحجةِ على قوم عيسى؛ لأنه تعالى عالم أَنَّ عيسى لم يقلْ ذلكَ، وتقدَّمَ اختلافُ القُرَّاءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمةٍ في سورةِ البقرةِ عندَ قولِه تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، وكذلك اختلافُهم في (أَأَنْتَ). قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (وَأُمِّي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[2]، قالوا: فإذا سمعَ عيسى هذا

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٣٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٠).

الخطابَ، أرعدَتْ مفاصلهُ، وانفجرت من أصلِ كلِّ شعرةٍ عينُ دمٍ، ثم ﴿قَالَ﴾ منزِّهاً مبرهناً عن نفسه:

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك.

﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: ما ينبغي لي قولُ ما لم يثبتْ لي قولُه. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (لِي) بإسكانِ الياءِ: والباقون: بفتحها[1].

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: تعلمُ معلومي، ولا أعلمُ معلومَك.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ما كانَ وما يكون.

***

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ ثم فَسَّرَ ما أُمِرَ بهِ فقالَ:

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وَحِّدُوهُ، ولا تشركوا بهِ شيئاً.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رَقيباً أمنعُهم من الكفرِ.

﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: وقتَ دوامي فيهم.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قبضْتني إليك.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ تحفظُ أعمالَهم.

﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ من مقالَتي ومقالَتِهم.

* * *

﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾.

[١١٨] ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ لا اعتراضَ عليكَ، وفيه تنبيهٌ على أنهم استحقُّوا التعذيبَ.

﴿ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ أي: للمؤمنين منهم.

﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في الملكِ.

﴿ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في القضاءِ، معناه: إن تعذِّبْ، فعدلٌ، وإن تغفرْ، ففضلٌ.

* * *

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾.

[١١٩] ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ﴾ قرأ الجميعُ سوى نافعٍ: (يَوْمٌ) برفعِ الميم على خبرِ (هذا)، وقرأ نافع: بنصبِ الميم ظرفاً لخبر (هَذا)[١]، وهو محذوفٌ تقديرُه: هذا المذكورُ من كلامِ عيسى يقعُ يومَ.

﴿ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدنيا.

﴿ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ في الآخرةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١) و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٦).

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت غرفها وأشجارها.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾ أي: الظَّفرُ.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي عَظُمَ خيرُه وكَثُرَ.

***

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

[١٢٠] ثم عَظَّمَ نفسَه تعالى فقالَ:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ تنبيهٌ على كذبِ النصارى، وفسادِ دعواهُم في المسيح أنَّه إلهٌ، فأخبرَ تعالى أنَّ ملكَ السمواتِ والأرضِ له دون عيسى، ودونَ سائرِ المخلوقين، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مكيةٌ، وآيُها مئةٌ وخمسٌ وستونَ آيةً، وحروفُها اثنا عشرَ ألفاً وأربعُ مئةٍ واثنانِ وعشرونَ حرفاً، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ واثنتانِ وخمسونَ كلمةً، نزلتْ ليلاً جملةً، حولها سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يُسَبِّحون، فقال النبيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ، وخرَّ ساجداً»(١).

وعنه ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأَنْعَامِ لَمْ يَقْطَعْهَا بِكَلَامٍ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ما سَلَفَ مِنْ عَمَلٍ»(٢).

وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه: «نزَلَتْ سورةُ الأنعامِ بمكَّةَ، إلا قولَه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ إلى آخرِ ثلاثِ آياتٍ، وقولَه تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إلى قولِه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهذه الستُّ آياتٍ مدنياتٌ»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٣٣)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٥٠)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٦٢٨).

(٢) ذكره العيني في «عمدة القاري» (١٨/ ٢١٨)، وعزاه إلى أبي القاسم عبد المحسن القيسي في كتاب «الفائق في اللفظ الرائق».

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٤٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بدأ سبحانهَ بحمدِ نفسِه تنبيهاً على أنَّ الحمدَ كلَّه لهُ، لا شريكَ له فيه، وتقدَّمَ تفسيرُهُ في الفاتحة.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: اخترعَ وأوجدَ.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خصَّهما بالذِّكْرِ؛ لأنهما أعظمُ الموجودات، وجمعَ السمواتِ لأنها سبعُ طباق، ووَحَّدَ الأرضَ لاتِّصالِ بعضِها ببعضٍ طولاً وعرضاً.

﴿وَجَعَلَ﴾ أي: وخلقَ.

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفرَ.

﴿وَٱلنُّورَ﴾ الإيمانَ، وجمعَ الظلمةَ ووَحَّدَ النورَ؛ لأن التوحيدَ متحدٌ، والكفرَ مِلَلٌ، وهما كنايتان عنهما، وقالَ الجمهورُ من المفسرين: المرادُ بهما سوادُ الليلِ وضياء النهارِ، قال ابنُ عطيةَ: والنورُ هنا للجنسِ فإفرادُهُ بمثابةِ جمعِه(١).

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعدَ هذا البيان.

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يُساوونَ بينهَ وبينَ أصنامهم، وأصلُ العدلِ: المساواةُ، وعن كعبٍ قالَ: «فاتحةُ التوراةِ فاتحةُ الأنعامِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/٢٦٦).

﴿يَعۡدِلُونَ﴾ وخاتمةُ التوراةِ خاتمةُ هودٍ ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[1] [هود: ١٢٣].

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام، والخلقُ نسلُه، والفرعُ يضافُ إلى أصلِه، فلذلكَ خاطبَهم بالجمعِ إذ كانوا ولدَه، رُوي: «أن الله عز وجل بعثَ جبريلَ إلى الأرضِ ليأتيَهُ بطائفة منها، فقالتِ الأرضُ: إني أعوذُ باللهِ منكَ أن تنقصَ مني، فرجعَ ولم يأخذْ، قالَ: يا ربِّ! إنها عاذَتْ بك، فبعثَ ميكائيلَ فاستعاذَتْ، فرجعَ، فبعثَ اللهُ مَلَكَ الموتِ، فعاذَتْ منه بالله، فقال: وأنا أعوذُ باللهِ أن أخالفَ أمرَهُ، فأخذَ من وجهِ الأرضِ، فخلطَ الحمراءَ والسوداءَ والبيضاءَ، فلذلكَ اختلفَت ألوانُ بني آدمَ، ثم عجنَها بالماءِ العذبِ والملحِ والمرِّ، فلذا اختلفتْ أخلاقُهم، فقال اللهُ لملكِ الموت: رحمَ جبريلُ وميكائيلُ الأرضَ ولم ترحَمْها، لا جرمَ أجعل أرواحَ من أخلُقُ من هذا الطين بيدِكَ»[2].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «خلقَ اللهُ آدمَ من ترابٍ، وجعلَه طيناً، ثم تركَهُ حتى كانَ حمأً مسنوناً، ثم خلقَهُ وصَوَّرَهُ وتركَهُ حتى كانَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٧٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٨)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٩٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦).

صَلْصالاً كالفَخَّارِ، ثم نَفَخَ فيهِ روحَه»[1].

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي: قدَّرَ مدةً إلى الموتِ.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ من الموتِ إلى البعثِ، وهو البرزَخُ.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تَشُكُّونَ في البعثِ لاستبعادِ الإيمانِ بعدَ نصبِ الدلائلِ.

* * *

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المعبودُ.

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ المستحقُّ للعبادةِ، والمدُعوُّ بالألوهِيَّةِ.

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فلا يخفى عليه شيءٌ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملونَ من خيرٍ وشرٍّ، فُيثيبُ عليه، ويعاقِبُ.

* * *

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ يعني: أهلَ مكةَ.

﴿مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كانشقاقِ القمرِ وآيِ القرآنِ.

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تارِكينَ لها غيرَ ملتفتينَ إليها.

* * *

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٥٨٠).

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ يعني : القرآنَ .

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ ﴾ أخبارُ ، جمعُ نبأ .

﴿ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : سيعلمونَ عاقبةَ استهزائِهم إذا عُذِّبوا .

* * *

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ أهلِ كلِّ عصرٍ ، وهم الجماعةُ المقترنون في زمانٍ واحدٍ .

﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ أعطيناهم ما لم نُعْطِكم .

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم ﴾ أي : المطرَ .

﴿ مِّدْرَارًا ﴾ أي : دارّاً .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ أي : تحتَ بساتينهم ، فكفروا .

﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا ﴾ خلقْنا .

﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ بدلاً منهم .

* * *

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ ﴾ .

[٧] ولما قيلَ للنبيِّ ﷺ: لن نؤمنَ لكَ حتى تأتِينا بكتابٍ من عندِ اللهِ، ومعه أربعةٌ منَ الملائكةِ يشهدونَ عليه أنَّه من عندِ اللهِ، وأنَّك رسولُه، أنزلَ اللهُ تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾[١] أي: مكتوباً في صحيفةٍ.

﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ولم يقتصروا على الرؤية؛ لأن اللمسَ أنفى للشكِّ.

﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ تعنُّتاً وعِناداً.

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي: هلا أُنزل على محمدٍ.

﴿ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ لوجبَ العذابُ؛ فإنَّ سنةَ اللهِ جَرَتْ في الكفارِ بإهلاكهم عندَ وجودِ ما يقترحونَ.

﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ لا يُمْهلون طرفةَ عينٍ.

* * *

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ ﴾ .

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩).

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المرسَلَ إليهم.

﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي: على صورةِ رجلٍ؛ ليتمكَّنوا من رؤيتِه؛ لأن البشرَ يضعُفونَ عن مشاهدةِ الملائكةِ.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي: خَلَطْنا عليهم ما يخلِطون، وشَبَّهْنا عليهم، فلا يدرون أملكٌ هو أم آدميٌّ؟!

* * *

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠)﴾.

[١٠] ثم قال مسلياً نبيَّهُ ﷺ:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استُهزِىء بكَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَقَدُ اسْتُهْزِئَ) بضم الدال حيثُ وقع، وأبو جعفرٍ: بنصب الياءِ بغيرِ همزٍ[١].

﴿فَحَاقَ﴾ أحاطَ.

﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: جزاءُ استهزائِهم من العذابِ.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٦)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣، ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٦).

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ .

[١١] ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ لهؤلاءِ المستهزئينَ :

﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معتبرينَ .

﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الهالِكين قبلَكُم .

***

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢﴾ .

[١٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ توبيخاً للكفارِ :

﴿لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ فإن سكتوا، كانت تقريراً لهم .

﴿قُل لِّلَّهِ ۚ﴾ ثم قالَ استعطافاً لهم ليؤمنوا :

﴿كَتَبَ﴾ أي : أوجبَ .

﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾ فلا يعاجلُهم بالعقوبةِ، في الحديثِ : «إنَّ رَحْمَتِي سَبقَتْ غَضَبي»(١) .

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللامُ لامُ القسم، والنونُ نونُ التوكيدِ، مجازُهُ : واللهِ لَيَجْمَعَنَّكُمْ .

---

(١) رواه البخاري (٦٩٨٦)، كتاب : التوحيد، باب : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ، ومسلم (٢٧٥١)، كتاب : التوبة، باب : في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

﴿إِلَىٰ﴾ أي: في.

﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيجازيكُم على شِرْكِكُم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ فيه.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ غَبَنُوها؛ لاختيارِهم الكفرَ.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم محكومٌ عليهم بالعذابِ.

* * *

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾ أي: ما استقرَّ.

﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والمراد: ما سَكَنَ وما تحرَّكَ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكلِّ مسموعٍ.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ لكلِّ معلومٍ.

* * *

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ولما دُعِيَ النبيُّ ﷺ إلى الشركِ، قالَ تعالى:

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ربّاً ومعبوداً.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعِهما بلا مثالٍ.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي: يرزقُ ولا يُرْزَقُ.

﴿قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ من هذهِ الأمةِ، وقيلَ لي:

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)﴾.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادةِ غيرِه.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يومَ القيامة. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[2].

***

﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦)﴾.

[١٦] ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ يعني: العذابَ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يُصْرَفْ) بضمِّ الياءِ وفتحِ الراء، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (مَنْ يَصْرِفْ) بفتح الياء وكسر الراء[3]؛ أي: من يصرفِ اللهُ عنهُ العذابَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، =

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يومَ القيامة.

﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ نجّاهُ وأنعمَ عليهِ.

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ النجاةُ الظاهرةُ.

* * *

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: يُنْزِلْ بكَ يا محمدُ شدةً وبليةً.

﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ لا دافعَ.

﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ عافيةٍ ونعمةٍ.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الخيرِ والضرِّ.

* * *

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ القادرُ الغالبُ، والمرادُ بفَوْقَ: علوُّ القدرةِ والشأنِ؛ كقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمرِه.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بالعبادِ.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٨).

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩﴾.

[١٩] ولما أتى أهلُ مكةَ رسولَ الله ﷺ، وقالوا: أَرِنا مَنْ يشهدُ بصدقِكَ، فإنا لا نَرى أحداً يصدِّقُكَ.

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ أي: أيُّ شهيدٍ أعظمُ شهادةً؟ فإن أجابوك، وإلا.

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ هو.

﴿شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ يشهدُ لي بالحقِّ، وعليكم بالباطلِ؛ لأنه سبحانه إذا كانَ الشهيدَ، كانَ أكبرَ شيءٍ شهادةً.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم﴾ لأخوِّفَكُم.

﴿بِهِۦ﴾ يا أهلَ مكةَ.

﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أي: ومن بلغَهُ القرآنُ إلى يومِ القيامةِ، وهو دليلٌ على أنَّ أحكامَ القرآنِ تعمُّ الموجودينَ وقتَ نزولِه ومَنْ بعدَهم، وأنه لا يُؤاخَذُ بها من لم يبلغْهُ، ثم استفهمَ مُوَبِّخاً فقالَ:

﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ﴾ فإن شهدوا، فأنت.

﴿قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ﴾ مثلَ شهادتِكم.

﴿قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أي: بل أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا هوَ.

﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ يعني: الأصنامَ. واختلفَ القراءُ في (أَئِنَّكُمْ) فقرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ورُوَيْسٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الهمزةِ الأولى، وتسهيلِ الثانيةِ بينَ بينَ؛ أي: بينَ الهمزةِ والياء،

وفصلَ بينَ الهمزتين بألفٍ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وقالونُ، واختلِفَ عن هشام، وقرأ الكوفيونَ، وابنُ عامرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الهمزتين[1].

***

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ يعني: التوراةَ والإنجيلَ.

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ أي: النبيَّ ﷺ.

﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ من الصبيانِ.

﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ غبنوها.

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لتضييعِهم ما يُكتسَبُ به الإيمانُ.

***

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ الافتراءَ العظيمَ من الكذِب.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فأشركَ به غيرَه.

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ يعني: القرآنَ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٦)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٠٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٩).

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فضلاً ممن لا أحدَ أظلمُ منه .

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ مَنْ عَبَدَ ومَنْ عُبِدَ .

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾ آلهتُكم .

﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم شركاءُ الله، فيشفعوا لكم؟ والزعمُ قولٌ بالظنِّ شبهِ الكذبِ، والمرادُ من الاستفهامِ: التوبيخُ. قرأ يعقوبُ: (يَحْشُرُهُمْ) (ثُمَّ يَقُولَ) بالياء فيهما، والباقون: بالنون فيهما[١] .

* * *

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ أي: قولَهم وجوابَهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَكُنْ) بالياءِ على التذكير؛ لأنَّ الفتنةَ بمعنى الافتتانِ، وقرأ الباقون: بالتاء، لتأنيثِ الفتنة[٢]، وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (فِتْنَتُهُمْ) بالرفع، وجعلوهُ اسمَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٥٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٩).

كان، وقرأ الباقونَ: بالنصبِ، فجعلوا اسمَ كانَ قولَه: (إلاَّ أَنْ قَالُوا)، و(فِتْنَتَهُمْ) الخبرَ[1].

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (رَبَّنَا) بالنصبِ على النداءِ المضافِ، وقرأ الباقونَ: بالخفضِ على نعتِ (واللهِ)[2]، وجوابُ القسم.

﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ فثَمَّ يُختم على أفواهِهم، وتشهدُ عليهم جوارحُهم.

* * *

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ثم عجبَ تعالى منهم فقالَ:

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ ﴾ باعتذارِهم بالباطلِ.

﴿ وَضَلَّ ﴾ ذهبَ.

﴿ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ يختلقونَ من الشركاءِ.

* * *

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦١).

[٢٥] ولما قالَ النضرُ بنُ الحارث: واللهِ ما أدري ما يقولُ محمدٌ، إلا أَني أراهُ يحرِّكُ لسانَه، ويقولُ أساطيرَ الأولين مثلما كنتُ أحدثُكم عن القرونِ الماضية، فقالَ أبو سفيان: إني أرى بعضَ ما يقولُ حقاً، نزل:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[1] حينَ تتلو القرآنَ.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطيةً، جمعُ كِنان.

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لئلاَّ يفهموا القرآنَ.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صَمَماً وثِقلاً.

﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ﴾ أي: دلالةٍ على صدقِكَ.

﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما القرآنُ.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أباطيلُ.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمعُ أسطورة، وأُسطارة، وهو ما سُطِرَ، وقيل: هي التُّرَّهاتُ.

***

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآنِ والرسولِ واتِّباعِه.

﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بأنفسِهم؛ أي: يبعدونَ، فَيضِلُّون ويُضلون، نزلت في كفار مكة، وقال ابن عباس: نزلتْ في أبي طالبٍ، كان ينهى الناسَ عن أذى

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥).

النبيِّ ﷺ، وينأى عن الإيمانِ به، ورُوي عنه: أَنَّه ﷺ لما عرضَ عليهِ الإسلامَ، قالَ: لولا أن تُعَيِّرني قريشٌ، لأقررتُ بها عينَكَ، ولكنْ أَذُبُّ عنكَ ما حَييتُ، وقال في ذلك أبياتاً:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَابْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي ... وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِيناً قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّه ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلاَ الْمَلاَمَةُ أَوْ حَذَارَ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذَاكَ مُبِينَا[1]

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ أي: وما يُهلكونَ بذلك.

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا يرجعُ وبالُ فعلِهم إلا عليهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّ ضررَهُ لا يتعدَّاهم إلى غيرِهم.

***

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ حُبِسوا على الصراطِ، معناه: لو تراهُمْ في تلكَ الحالةِ، لرأيتَ عجباً.

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمنياً للرجوعِ إلى الدُّنيا.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ العامةُ: (وَلاَ نُكَذِّبُ)

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:١١٨ـ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٣٥).

(ونَكُونُ) بالرفع على معنى: ياليتنا نُرَدُّ ونحنُ لا نكذِّبُ ونكونُ من المؤمنينَ، وأبو عمرٍو: على أصلهِ في إدغام الباءِ في الباءِ، **وقرأ** حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ويعقوبُ (وَلاَ نُكَذِّبَ) (ونَكُونَ): بنصبِ الباءِ والنونِ بإضمارِ (أن) على جواب التمني؛ أي: ليتَ ردَّنا وقعَ وألا نكذبَ ونكونَ، والعربُ تنصبُ جوابَ التمنِّي بالواوِ كما تنصبُ بالفاءِ، **وقرأ** ابنُ عامرٍ: (نكذبُ) بالرفعِ إخبارٌ، (ونكونَ) بالنصبِ تمنياً؛ لأنهم تمنوا أَن يكونوا من المؤمنينَ، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذِّبونَ بآياتِ ربهم إن رُدُّوا إلى الدنيا[1].

***

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لقولهم؛ أي: ليسَ على ما قالوا: أنهم لو رُدُّوا لآمنوا، بل.

﴿بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهرَ لهم.

﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾ يُسِرُّونَ.

﴿مِن قَبْلُ ۖ﴾ من نفاقِهم وقبائحِ فعالِهم بشهادةِ جوارِحِهم عليهم، فتمنَّوا ذلكَ ضَجَراً، لا عَزْماً على أنهم لو رُدُّوا لآمنوا.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٥٤٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦ـ١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٢ـ٢٦٣).

﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ ﴾ إلى الدنيا .

﴿ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾ من الكفر والمعاصي .

﴿ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في قولهم .

* * *

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ عطفٌ على (لعادوا) :

﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ الضميرُ للحياةِ .

﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ كما كانوا يقولونَ قبلَ معاينةِ القيامةِ .

* * *

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ أي : حُبسوا للتوبيخِ والسؤال .

﴿ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا ﴾ أي : البعثُ والعذابُ .

﴿ بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾ إقرارٌ مؤكَّدٌ باليمينِ .

﴿ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ بسببِ كفركم .

* * *

﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ إذا فاتَهم النعيمُ، ولقاءُ اللهِ: البعثُ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامةُ، وسميت ساعةً؛ لسرعةِ الحساب.

﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة.

﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا ﴾ ندامَتَنا.

﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا ﴾ قصَّرْنا.

﴿ فِيهَا ﴾ في الحياةِ الدنيا.

﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ ﴾ آثامَهم.

﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ قيَّدَهُ بالظهرِ؛ لأن الحملَ غالباً يكونُ عليه.

﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي: بئسَ الحملُ حملوا.

* * *

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ باطلٌ وغرورٌ.

﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الشركَ.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنَّ الآخرةَ أفضلُ من الدنيا. قرأ ابنُ عامرٍ: (وَلَدَارُ الآخِرَةِ) بلام واحدةٍ وجرِّ (الآخِرَةِ) إضافةً؛ أي: دارُ الساعةِ الآخرةِ، وكذلكَ هي في مصاحفِ أهلِ الشام، وقرأ الباقون: بلامينِ وتشديدِ الدالِ للإدغام، وبالرفعِ على النعتِ، وكذا هو في مصاحِفهم[1]، وسميتْ آخرةً؛

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، =

لتأخُّرِها على الدار الأولى، كما سُميت الأولى دُنيا؛ لدنوِّها من الخلقِ الأولِ، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، وقرأ الباقونَ: بالغيب[1].

***

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ولما قالَ أبو جهلٍ: إنَّا لا نكذِّبُكَ يا محمدُ، بل نكذِّبُ ما جئتَ به، نزلَ تسليةً له، ووعداً ووعيداً لهم:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ فيكَ، وفيما جئتَ به؛ من التكذيبِ؛ لأنَّهم إذا كذَّبوا ما جاءَ به، فقد كذَّبوه. قرأ نافع: (لَيُحْزِنُكَ) بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي، والباقونَ: بفتح الياء وضمِّ الزاي[2]، وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ بعدَ العلمِ لفظةُ (إنَّ)، فهي بفتحِ الهمزةِ إلاَّ في موضعين:

أحدُهما: هنا: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ والثاني:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ في سورةِ المنافقين، وإنما كانَ كذلكَ في هذينِ

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٤).

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤، ٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٥).

الموضعينِ؛ لأنه يأتي بعدَهما لامُ الخبرِ، فلذا انكسرا.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: في الحقيقةِ؛ إذْ جحدُهم عنادٌ؛ أي: إنما يكذِّبونَ اللهَ بجحدِهم. قرأ نافعٌ، والكسائيُّ: (يُكْذِبُونَكَ) بسكونِ الكافِ وتخفيفِ الذالِ؛ من الإكذابِ، وهو أن يجدَه كاذباً، وقرأ الباقونَ: بالتشديدِ؛ من التكذيبِ، وهو أن ينسبَه إلى الكذب، ويقولَ له: كذبت[1].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالةِ على صدقِك ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

* * *

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ثم آنسَهُ بقوله:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كَذَّبهم قومُهم كما كَذَّبَكَ قومُكَ قريشٌ.

﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ الذي كُنَّا وعدْناهم به في قولنا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، وهذا تسليةٌ له.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ المتضمنةِ للنصرِ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من أخبارهم ما تسكنُ بهِ نفسُك.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٥).

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] وكان ﷺ يكرهُ كفرَهم، ويحبُّ مجيءَ الآياتِ لِيُسلموا، فنزل:

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ ﴾ عَظُمَ وشقَّ عليك.

﴿ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ عن الإسلامِ.

﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ ﴾ تطلبَ.

﴿ نَفَقًا ﴾ سَرَباً تستترُ فيه.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا ﴾ مصعداً.

﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتصعدَ فيه.

﴿ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ فافعلْ، ثم عَرَّفَهُ تعالى أنه ليسَ بيدِه شيءٌ من أمرِهم فقالَ:

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ مشيئةَ قدرةٍ وقهرٍ.

﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ فآمنوا كلُّهم، وهذا ردٌّ على القدريَّةِ المفوضةِ الذين يقولون: إن القدرةَ لا تقتضي أن يؤمنَ الكافرون، وإنَّ ما يأتيه الإنسانُ من جميعِ أفعالِه لا خلقَ لله فيه، تعالى اللهُ عن قولِهم.

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ليسَ المرادُ لا تكونَنَّ ممن يجهلُ أنَّ اللهَ لو شاءَ لجمعَهم على الهدى؛ إذ فيه إثباتُ الجهلِ لصفةٍ من صفاتِ الله، وذلك لا يجوزُ على الأنبياء، وإنما المقصودُ وعظُه ألاَّ يتشبَّهَ في أمرِه بسماتِ الجاهلين.

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ثم أخبرَ أن حرصَه على هدايتِهم لا ينفعُ؛ لعدم سمعهم كالموتى بقوله:

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ يعني: المؤمنينَ الذين يقبلونَ ما يسمعونَ فينتفعونَ به.

﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني: الكفارَ.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فيَجزيهم بأعمالِهم.

***

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ يعني: رؤساءَ قريشٍ.

﴿ لَوْلَا ﴾ هلاَّ.

﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي: مما اقترحوه.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾ تضطُّرهم إلى الإيمان؛ كنتق الجبل لبني إسرائيل. قرأ ابنُ كثير: (يُنْزِلَ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد[١].

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤ و٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٧).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عليهم من إنزالها؛ لأنها لو نزلت ولم يؤمنوا، لأُهلكوا.

* * *

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تدبُّ على وجهها.

﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ في الهواء، وقيدَ بالجناح؛ لنفيِ المجاز؛ لأنه يقالُ لغير الطائر: طارَ: إذا أسرعَ.

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في كونها مرزوقةً مقدراً[١] آجالُها.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: ما غفلْنا في اللوحِ المحفوظِ؛ لأن جميع الأشياء مكتوبةٌ فيه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال ابن عباس: «حَشْرُهَا مَوْتُها»[٢]، وقال أبو هريرةَ: «يحشرُ اللهُ تعالى الخلقَ كلَّهم يومَ القيامةِ البهائمَ والدوابَّ والطيرَ وكلَّ شيءٍ، فيؤخذُ للجمَّاءِ من القَرْناءِ، ثمَّ يُقال: كوني تُراباً، فحينئذ يتمنَّى الكافرُ أنْ لو كانَ تُراباً»[٣].

* * *

(١) في «ن»: «مقدرةً».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٦٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١).

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ مبتدأ، خبرُه:

﴿صُمٌّ وَبُكۡمٌ﴾ لا يسمعون خيراً، ولا يقولونه.

﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ في الضلالاتِ.

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، خبرُه:

﴿يُضۡلِلۡهُ﴾ بخذلانه.

﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ بأنْ يرشدَه إلى الهدى.

* * *

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَرَأَيْتَكُمْ) وَ(أَرَأَيْتُمْ) و(أَرَأَيْتَ) (أَفرَأَيْت) بتسهيلِ الهمزةِ التي بعدَ الراء، وجعلِها بينَ الهمزةِ والألفِ تخفيفاً؛ لئلاَّ يجتمعَ همزتان في فعلٍ مع اتصالِ الضميرِ به، وعن ورشٍ إبدالُها ألفاً، والكسائيُّ يُسقطها أصلاً حيثُ وقعَ، والباقونَ بتحقيقِها على الأصل، والتاءُ مفتوحةٌ مع الكافِ والهاءِ في الواحدِ والاثنينِ، وجمع المذكرِ والمؤنث، نحو: (أرأيتكَ) (أرأيتكُما)[1] (أرأيتكُنَّ)[2]، ولا محلَّ

---

(١) «أرأيتكما» ساقطة من «ش» و«ظ».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، =

للكافِ من الإعرابِ، ولا يجوزُ أن يكونَ مرفوعاً، تقديره: أرأيتُم أنفسَكم، وليس الغرضُ أن يَرَوْا أنفسَهم، إنما الغرضُ أن يروا غيرَهم، ومعنى أرأيتكُمْ: أخبروني، ومفعولُه محذوفٌ تقديرُه: أرأيتكُمْ عبادَتَكُمُ الأصنامَ هل تنفعُكُم.

﴿ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ عندَ الموتِ.

﴿ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: القيامةُ.

﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ في صرفِ العذابِ عنكم.

﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ الأصنامَ تنفعُكم؟ وجوابُه محذوفٌ؛ أي: فادعوهُ.

***

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ثم أخبر أنهم لا يدعونَ سواهُ في الشدائدِ فقالَ:

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ بلْ تَخُصُّونَهُ بالدعاءِ.

﴿ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: ما تدعونَ إلى كشفِه.

﴿ إِن شَآءَ﴾ أن يتفضَّلَ عليهم، ولا يشاءُ في الآخرةِ.

﴿ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ وتتركونَ آلهتكُمْ في ذلكَ الوقتِ.

***

= و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٧ـ٢٦٨).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ فلم يؤمنوا .

﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ بالشدَّةِ والجوعِ .

﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرضِ والزَّمانةِ .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ أي : يتوبون ، والتضرُّعُ : السؤالُ بالتذلُّلِ .

* * *

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ .

﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابُنا .

﴿ تَضَرَّعُوا۟ ﴾ فآمَنوا ، معناه : نفيُ التضرعِ ؛ أي : لم يتضرَّعوا إذْ جاءهم بأسُنا .

﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فلم يؤمنوا .

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي .

* * *

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ تركوا ما ذُكِّروا به من المواعِظِ والإنذارِ .

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من نِعَمِ الدُّنيا، وهذا فتحُ ابتلاء. قرأ ابنُ عامرٍ، وابنُ وردانَ عن أبي جعفرٍ: (فَتَّحْنَا) بتشديد التاء، والباقونَ: بالتخفيف[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ﴾ أُعْجِبوا.

﴿بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ من النعمِ، وبَطِروا فلم يتوبوا.

﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأةً.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون، والإبلاسُ: الحزنُ المعترضُ من شدةِ اليأسِ، وأصلُه الإطراقُ ومن الحزنِ والندمِ.

* * *

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ المتخلفُ في أدبارِهم؛ أي: استُؤْصِلوا فلم يبقَ لهم[2] باقيةٌ.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على إهلاكِهم.

* * *

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٨).

(٢) «لهم» ساقطة من «ش».

[٤٦] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أيُّها المشركون.

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أي: أَصَمَّكُم.

﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أعماكُم.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلا تفقهونَ شيئاً.

﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذَ منكم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدَّالة[١] على صدقِكَ.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يُعرضون عنها. قرأ ورشٌ (بِهُ انْظُرْ) بضم الهاء[٢]، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ورويسٌ بخلافٍ عنه: (يَصْدِفُونَ) بإشمامِ الصادِ الزايَ[٣].

* * *

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ فجأةً.

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ معاينةً ترونَه، ثم استفهمَ مقرِّراً فقال:

---

(١) في «ش»: «والدلالات».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١، ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٠).

﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ هلاكَ سخطٍ وتعذيبٍ .

* * *

﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ المؤمنين بالجنةِ .

﴿ وَمُنذِرِينَۖ ﴾ الكافرينَ بالنار .

﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ ﴾ ما يجبُ إصلاحُه .

﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ من العذابِ .

﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ بفوتِ الثوابِ .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ كفروا و :

﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ﴾ يُصيبهم .

﴿ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ يكفرونَ .

* * *

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ونزل حين اقترحوا الآيات :

﴿ قُلْ ﴾ لهم .

﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ مقدوراتُه ، فأُنزِلُ ما اقترحتُموه .

﴿ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ فأخبرُكم به .

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ فأقدرُ على ما لا يقدرُ عليه البشرُ .

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ من الله ، وذلك غيرُ مستحيلٍ في العقلِ مع قيامِ الدليلِ والحججِ البالغةِ .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ الكافرُ .

﴿ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ المؤمنُ .

﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ أنهما لا يستويانِ؟!

***

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ وَأَنذِرْ ﴾ خوِّفْ .

﴿ بِهِ ﴾ أي : بالقرآنِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ ﴾ يُبْعثوا .

﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ واللفظُ يعمُّ كلَّ مؤمنٍ بالبعثِ من مسلمٍ ويهوديٍّ ونصرانيٍّ .

﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي : من دون الله .

﴿ وَلِىٌّ ﴾ قريبٌ ينفعُهم .

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفعُ لهم. تلخيصُه: خَوِّفْهم بالقرآنِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فينزجروا.

***

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ولما أُمِرَ ﷺ بإنذارِ غيرِ المتقين ليتقوا، أُمِرَ بعدَ ذلكَ بتقريبِ المتقينَ، ونُهي عن طردِهم؛ تكريماً لهم، وذلك أنه ﷺ كانَ قد عزمَ على إزالةِ بلالٍ وأصحابِه الفقراءِ من مجلسِه، ومجالسةِ الأقرعِ بنِ حابسٍ وأصحابِه رجاءَ حسنِ إسلامِهم، قالوا: وكتبَ لابنِ حابسٍ بذلكَ كتاباً، فنزل:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[١] يعبدونَ.

﴿رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ والمرادُ: الدوامُ على ذلك. قرأ ابنُ عامرٍ (بِالغُدْوَةِ) بضمِّ الغينِ وسكون الدال، وواوٍ بعدها، وقرأ الباقون: بفتح الغين والدال، وألفٍ بعدها[٢].

﴿يُرِيدُونَ﴾ بعملِهم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، كتاب: الزهد، باب: مجالسة الفقراء، عن خباب ـ رضي الله عنه ـ. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:١١٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧١).

﴿وَجْهَهُۥ﴾ أي: يخلصون عملَهم لله تعالى، ولما طُعِنَ في هؤلاء، وتُكُلِّم فيهم عندَ النبي ﷺ، نزلَ:

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ إنْ حسابُهم إلاَّ على الله.

﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: لا تُؤْخَذُ بحسابهم، ولا هم بحسابِكَ حتى يهمَّكَ إيمانُهم بحيثُ تطردُ المؤمنين طمعاً فيه.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ فتبعدَهم، جوابٌ للنفي، وهو قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ فعلتَ ذلكَ، جوابٌ النهي، وهو قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ فدعاهم ﷺ وهو يقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: مثلَ ذلكَ الاختبار اختبرنا بعضَ الناسِ ببعضٍ، فابتلَيْنا الغنيَّ بالفقيرِ، والشريفَ بالوضيع، فإذا رأى الشرفاءُ والأغنياءُ الوضعاءَ والفقراءَ سبقوهم إلى الإيمانِ، تكَبَّروا، فكانَ ذلكَ فتنةً لهم، فذلك قولُه:

﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ يعني: المشركين.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أي: أهؤلاءِ الذين أُنعِمَ عليهم

بالإسلام دوننَا، ومُيِّزوا به علينا، ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١]، فقال تعالى:

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: اللهُ أعلمُ بمَنْ يشكرُ الإسلامَ إذا هداه. قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (بِأَعْلَمْ) بإسكانِ الميم عند الباء، وتقدم الكلامُ عليه في سورة البقرة.

***

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) ﴾.

[٥٤] ثم أمر ﷺ بالسلام عليهم إكراماً لهم فقيل:

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ثم قل لهم:

﴿ كَتَبَ ﴾ أي: أوجبَ.

﴿ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ فكان ﷺ إذا رآهم، بدأَهم بالسلامِ وقال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِالسَّلاَمِ»(١).

﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ أي: جاهِلاً بتحريمِه.

﴿ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ بعدَ عمله المعصيةَ.

﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ أخلصَ توبتَه.

﴿ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ،

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢١).

وخلفٌ: (إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ) (فَإِنَّهُ) بكسرِ الألف فيهما على الاستئنافِ، وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: بفتحِ الألفِ فيهما بدلاً من الرحمة؛ أي: كتبَ على نفسه أنَّه من عملَ منكم، ثم جعل الثانيةَ بدلاً عن الأول؛ كقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]. وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بفتح الأولى بدلاً من الرحمة، وكسرِ الثانية على الاستئناف؛ لأنها بعدَ الفاء[١]، قال القرطبيُّ: وهي قراءةٌ بينةٌ[٢].

***

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ آياتِ القرآنِ في صفةِ المطيعين والمجرمين.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ أي: ليظهرَ.

﴿سَبِيلُ﴾ طريقُ.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ العاصين. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء، و(سَبِيلَ) نصبٌ على خطابِ النبيِّ ﷺ؛ أي: لتعرفَ يا محمدُ طريقَ المجرمين، يقال: استبنتُ الشيءَ وَتَبَيَّنْتُه: إذا عرفتُهُ، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ (وَلِيَسْتَبِينَ) بالياءِ (سَبِيلُ) رفعٌ، وقرأ الباقون: (ولتستبينَ) بالتاء (سبيلُ) رفعٌ؛ أي: ليظهرَ ويتَّضح،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٦-٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ٤٣٦).

و(١)السبيلُ يُذكَّر؛ لقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ويؤنَّثُ؛ لقوله: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(٢) [آل عمران: ٩٩].

***

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ بما أُنزلَ عليَّ من الآياتِ في أمرِ التوحيدِ.

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في طردِ الفقراءِ وعبادةِ الأوثان.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إنِ اتبعتُ أهواءكم.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ إن فعلتُ ذلك.

***

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ ويقينٍ.

---

(١) «و» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٣).

﴿مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦٓ﴾ أي: بما جئتُ به، وكانوا قد استعجلوا العذابَ، فقال ﷺ:

﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ لا لي.

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ من القضاءِ: الحكمِ؛ أي: يقضي القضاءَ الحقَّ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ: (يَقُصُّ الْحَقَّ) بضمِّ القاف والصادِ المهملة مشدَّداً؛ أي: يقولُ الحقَّ؛ لأنه في جميعِ المصاحفِ بغير ياء، ولأنه قالَ: (الحقَّ) ولم يقلْ: بالحق، وقرأ الباقون (يَقْضِ) بسكون القافِ وكسر الضادِ المعجمةِ[1]؛ من قضيتُ؛ أي: يحكمُ بالحقِّ؛ بدليل أنه قالَ:

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي: الحاكمين، وحذفتِ الياءُ لاستثقالِ الألف واللامِ؛ كقوله: ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]، ونحوها، وأثبتَ يعقوبُ الياءَ وقفاً. والقضاءُ شرعاً: هو الإلزامُ وفصلُ الحكوماتِ، ومنصبُ القضاءِ فرضُ كفايةٍ بالاتفاق، ويجبُ على من يصلُحُ له إذا طلبَ ولم يوجد غيرُه ممَّنْ يوثَقُ به الدخولُ فيهِ بغيرِ خلافٍ، قال الإمامُ أحمدُ: إلا أن يشغلَهُ عمَّا هو أهمَّ منه. ويُشترطُ في القاضي: العدالةُ والاجتهادُ عندَ الثلاثةِ، وقال أبو حنيفةَ: يجوزُ قضاءُ الفاسقِ، ولا ينبغي أن يُوَلَّى، ويجوزُ تقليدُ الجاهلِ؛ لأنه يقدرُ على القضاءِ بالاستفتاءِ، والأَوْلى أن يكونَ عالماً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٤).

واختلفوا في صحَّةِ قضاءِ المرأةِ، فقال أبو حنيفةَ: يصحُّ قضاؤها فيما تُقْبَلُ فيه شهادتُها، وهو ما عدا الحدودَ والقصاصَ، وقال الثلاثةُ: لا يصحُّ قضاؤها مطلَقاً.

ويجوز القضاء على الغائبِ عندَ الثلاثةِ خلافاً لأبي حنيفةَ.

ويصحُّ التحكيمُ لمن يصلحُ للقضاء بالاتفاق، واختلفوا في حكمِه، فقال أحمد: ينفُذُ حتى في حدٍّ وقَوَدٍ، فهو كحاكم الإمامِ مطلقاً، وقال مالكٌ: حكمهُ ماضٍ في الأموالِ، فلو حكمَ بقتلٍ، أو اقتصَّ أو حدَّ أو لاعَنَ أُدِّبَ ومضى ما لم يكنْ جَوْراً بيِّناً، قالَ الشافعيُّ: يصحُّ مطلقاً في غيرِ حَدٍّ للهِ تعالى، وقال أبو حنيفة مثلَهُ، لكنْ إذا رُفعَ إلى حاكمٍ آخرَ أمضاهُ إن وافقَ مذهبَهُ، وإن لم يُوافقْه أبطلَه، والحكمُ شرعاً: أمرٌ ونهيٌ يتضمَّن إلزاماً.

***

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ ﴾ من العذابِ.

﴿ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ ﴾ أي: لو كان عندي ما استعجَلْتُم به من العذابِ عندي، لأنزلتُهُ وتخلَّصْتُ منكم.

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: بالمشركينَ، وبوقتِ عقوبتِهم.

***

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خزائنه، جمعُ مِفتَح بكسرِ الميم، وهو المفتاحُ، قال الكواشيُّ: وزعمَ بعضُهم أنه جمع مَفْتَحٍ بفتحِ الميم، وهو المخزنُ، ومفاتحُ الغيبِ: الطرقُ الموصلةُ إلى علمهِ تشبيهاً بمفتاحِ الدارِ؛ لأن به يُفتح البابُ، فيُتوصَّلُ إلى ما فيها، والمرادُ: علمُ كلِّ ما غابَ؛ كقيامِ الساعةِ، ومتى يأتي المطرُ، وما تَغيضُ الأرحامُ، وما في غدٍ، والموتُ.

﴿ لَا يَعْلَمُهَآ﴾ أي: الطرقَ الموصلةَ إلى الغيبِ.

﴿ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ﴾ من المفاوزِ والقِفارِ.

﴿وَٱلْبَحْرِۚ ﴾ من القرى والأمصارِ خَصَّهما بالذكر لأنهما أعظمُ المخلوقاتِ المجاورةِ للبشرِ.

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ يريدُ: ساقطةٍ وثابتةٍ.

﴿ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ مبالغةً في إحاطةِ علمِه بالجزئيات.

﴿ وَلَا حَبَّةٍ﴾ من الحباتِ المعروفةِ.

﴿ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ بطونها.

﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «الرَّطْبُ الماءُ، واليابسُ البادية»(١).

﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في اللوحِ المحفوظِ ليعتبرَ الملائكةُ بذلكَ، لا أنه سبحانه كتبَ ذلكَ لنسيانٍ يلحقُه، تعالى عن ذلكَ المعنى، ما من شيءٍ من الأشياءِ إلا وهو يعلمُه حيثُما كان.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٧٩).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ بأن يقبضَ أرواحكم إذا نِمْتُم.

﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم ﴾ كَسَبْتُم من الآثام وغيرِها.

﴿ بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي: يوقظُكم بالنهار.

﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ أي: يتمَّ، وهو مدةُ الحياةِ.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ بعدَ المماتِ.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم ﴾ يخبرُكم.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاةِ عليه.

***

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه في أول السورة.

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ملائكةً، لكلِّ إنسانٍ مَلَكَينِ بالليلِ، ومَلَكَينِ بالنهارِ يحفظونَ أعمالَ بني آدم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ تقدَّم اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتين من كلمتين في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك[١] اختلافُهم في ﴿ جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾.

---

(١) في «ت»: «وكذا».

﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ مَلَكُ الموتِ وأعوانُه، رُوي أن الدنيا بينَ يَدَي ملكِ الموتِ كالمائدةِ الصغيرةِ يقبضُ من هنا وهنا، فإذا كثرتْ عليه الأرواحُ يدعوها فتُجيب. قرأ حمزةُ: (تَوَفَّاهُ) بألفٍ ممالة[1].

﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ أي: يُضَيِّعون ويُقَصِّرون، ومعنى فَرَّطَ: قدم العَجْزَ.

***

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ ﴾ أي: جميعُ العباد.

﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ للحسابِ والجزاءِ.

﴿ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ ﴾ أي: مالِكِهم ومتولِّي أمورِهم حقيقةً، والحقُّ: اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، والشيءُ الحقُّ: هو الثابتُ حقيقةً، ويُستعملُ في الصدقِ والصوابِ أيضاً، يقالُ: قَوْلٌ حَقٌّ؛ أي: صدقٌ وصوابٌ.

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ يومئذٍ لا حكمَ لغيرِه فيه[2].

﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ يحاسبُ الخلائقَ في مقدارِ حلبِ شاةٍ، لا يحتاجُ إلى فكرةٍ ولا عَدٍّ.

***

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩).

(٢) «فيه» ساقطة من «ت».

[٦٣] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ قرأ يعقوبُ: بالتخفيف، والباقون: بالتشديد[١].

﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ شدائِدهما، وكانوا إذا سافروا في البرِّ والبحرِ، وضلوا الطريقَ، وخافوا الهلاكَ، دعوا اللهَ مخلصينَ، فينجيهم، فذلك قولُه:

﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾ علانيةً.

﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً. قرأ أبو بكرٍ عن عاصم: (خِفْيَةً) بكسر الخاء، والباقون: بضمها، وهما لغتان[٢].

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ خَلَّصنا[٣]. قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَنْجَانَا) بألفٍ بينَ النونِ والجيمِ من غير تاءٍ؛ أي: لئن أنجانا اللهُ من هذهِ الظلمةِ، وقرأ الباقون: بالياء، والتاءِ المفتوحة بينَ الجيم والنون، وكذلك هو في مصاحِفهم[٤].

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لله تعالى، والشكرُ: هو معرفةُ النعمةِ معَ القيامِ بحقِّها.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٢).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) «ت» و«ظ» و«ن»: «خلصتنا».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩ـ٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٩).

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ. (يُنَجِّيكُمْ) بالتشديد، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: غمٍّ.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ الأصنامَ به، وهي لا تضرُّ ولا تنفعُ.

* * *

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الصَّيحةُ، والريحُ، والحجارةُ، والطوفانُ؛ كعادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وقومِ نوحٍ وأصحابِ الفيل.

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخسفُ والرجفةُ؛ كقارونَ وقومِ شُعيبٍ.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يَخْلِطَكم فِرَقاً مختلفينَ.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالحربِ والقتلِ في الفتنةِ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نبيِّنُ لهم بالحجَجِ والدَّلالاتِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمونَ ما هم عليه من الشركِ والمعاصي.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٩).

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ۝٦٦ ﴾ .

[٦٦] ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ ﴾ أي : القرآنِ .

﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ الصدقُ لا محالةَ .

﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ بمسلَّطٍ أُلْجِئُكم إلى الإيمانِ، إنما أنا منذرٌ .

* * *

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٦٧ ﴾ .

[٦٧] ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ ﴾ خبر .

﴿ مُّسۡتَقَرّٞ ﴾ منتهى، فيتبين الصدقُ من الكذبِ، والحقُّ من الباطلِ .

﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ تهديدٌ .

* * *

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨ ﴾ .

[٦٨] ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ ﴾ بالاستهزاءِ .

﴿ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني : القرآنَ .

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ لا تجالِسْهم .

﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾ غيرِ الاستهزاءِ .

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ﴾ المعنى : إن شغلَكَ .

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بوسوستهِ حتى تنسى النهيَ . قرأ ابنُ عامرٍ (يُنَسِّيَنَّكَ) بفتح

النون وتشديد السين، من نَسَّى، وقرأ الباقونَ: بسكون النون وتخفيف السين[1]، من أَنْسَى[2].

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: التذكرِ للنهي.

﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالتكذيبِ والاستهزاءِ.

***

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ولما تحرَّج المسلمونَ من مجالسةِ المشركينَ بعدَ النهي، نزل:

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الخوضَ.

﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ آثامِهم.

﴿مِّن شَىْءٍ﴾ أي: ما يلزمُهم بمجالسَتِهم إثمٌ يُحاسَبون عليه.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي: عليهم أن يُذَكِّروهم بإظهارِ الكراهةِ لهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوضَ.

***

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا

---

(١) في «ن»: «النون».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٠).

شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ أي: الذي كان يجبُ عليهم أن يَتَّخِذوه، وهو دينُ الإسلامِ والقرآنِ.

﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ لأنهم كانوا إذا سمعوا القرآنَ، تلاعبوا استهزاءً ولهواً عنهُ.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى أنكروا البعثَ، المعنى: أعرضْ عن المشركينَ، ولا تلتفتْ إليهم.

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾ أي: مخافةَ أن تُسْلَم للهلاكِ.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وأصلُ الإبسالِ: المنعُ، ومنهُ: أسدٌ باسلٌ، لأن فريستَه لا تُفْلِتُ منه.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفعُ عنها العذابَ.

﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي: تَفْتَدِ كلَّ فداءٍ.

﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةً إلى الذين اتخذوا دينَهم لعباً ولهواً.

﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾ ارتهنوا.

﴿بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ شديد الحرارةِ.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ بسببِ كفرِهم.

* * *

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] قيل: ونزلَ لما دعا أبا بكر ابنُه عبدُ الرحمنِ إلى عبادةِ الأصنامِ:

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾ إن عبدْناه.

﴿ وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ إن تركْناه.

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ إلى الشركِ مرتدِّينَ.

﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ بإنقاذِنا منه.

﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ هَوَتْ به؛ أي: طلبتْ هُوِيَّهُ وضلالَته. قرأ حمزةُ: (اسْتَهْوَاهُ) بألف ممالة(١).

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ متردِّدٌ، لا يدري أين يذهبُ.

﴿ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ ﴾ على الطريقِ.

﴿ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾ يقولون له:

﴿ ٱئْتِنَا ﴾ ارجعْ إلينا، فلا يلتفتُ إليهم، وهذا مثلٌ ضربَهُ الله لمن يدعو إلى الآلِهة، ولمن يدعو إلى الله.

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ يزجرُ عن عبادةِ الأصنامِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٤).

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ أي: وقُل: وأُمِرْنا أن نسلمَ ﴿ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ أي: وأُمِرْنا بإقامةِ الصلاةِ وتقوى الله.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تُجمَعون يومَ القيامة.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: حقاً.

﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ والمعنى: فيكونُ جميعُ ما أرادَ من موتِ الناسِ وحياتِهم.

﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: الواقعُ لا محالَة.

﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ يعني: ملكُ الملوكِ يومئذٍ زائلٌ، كقولِه: ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩]، والأمرُ للهِ في كلِّ وقتٍ، والصورُ: القَرْنُ الذي يُنْفَخُ فيه، وهو كهيئةِ البوق.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: ما غابَ عن العبادِ وما يشاهدونَه.

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ سبحانه.

* * *

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: واذكرْ إذْ قالَ.

﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ واسمُه تارحُ، وآزرُ لقبٌ، ومعناهُ: المعوجُّ، واشتقاقُه من الوِزْرِ: الإثم. قرأ يعقوبُ: بضمِّ الراء؛ يعني: يا آزرُ، وقرأ الباقون: بالنصبِ في محل الخفضِ؛ لأنه أعجميٌّ لا ينصرفُ(١).

﴿ أَتَتَّخِذُ﴾ أي: تعبدُ.

﴿ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ دونَ الله.

﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحقِّ.

﴿ مُّبِينٍ﴾ ظاهرِ الدلالةِ. قرأ عاصمٌ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها(٢).

* * *

---

(١) انظر: «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٨).

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: كما أريناهُ البصيرةَ في دينه، والحقَّ في خلافِ قومِه، نُريهِ.

﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: خلقَهما وخلقَ ما فيهما الدَّالِّ على الربوبيةِ والوحدانيةِ، رُوي أنه رأى جميعَ السمواتِ والأرضِ وما فيهما حتى العرش، وأسفل السفل، فرأى عاصياً، فدعا عليه فهلك، ثم آخرَ فدعا عليه فهلك، ثم آخرَ فدعا عليه فهلكَ، ثم آخر فأراد أن يدعوَ عليه، فقال تعالى: أنت مُستجابُ الدعوةِ، فلم تدعُوَنَّ على عبادي، فإنما أنا من أعبدي على ثلاثِ خلالٍ(١): إما أن يتوبَ إليَّ فأتوبَ عليه، وإما أن أُخرجَ منه نسمةً تعبدني، وإما أن يُبعثَ إليَّ، فإن شئتُ عفوتُ عنه، وإن شئتُ عاقبته(٢).

﴿ وَلِيَكُونَ ﴾ عطفٌ على المعنى، معناه: نريهِ ملكوتَ السماواتِ والأرضِ؛ ليستدلَّ به.

﴿ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ من الموقنين، الموقنُ: العالمُ بالشيء عِلْماً لا يمكنُ أن يطرأَ له فيه شكٌّ.

* * *

---

(١) «ت»: «خصال».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦ـ٢٥٧، ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣ـ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٤ـ٢٨٦).

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أي: أظلمَ.

﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، وورشٌ، وابنُ ذكوانَ: (رأى كَوْكَباً) و(رَأَى أَيْدِيَهُمْ) وشبهَه بإمالةِ الراءِ والهمزةِ حيثُ وقع، وافقَهم أبو عمروٍ في إمالةِ الهمزةِ فقط، ورُوي عن السوسيِّ أربعةُ أوجه: فتحُ الراءِ والهمزة وكسرُهما، وفتحُ الراء وكسرُ الهمزة، وعكسُه، ورُوي عن أبي بكر وجهان: كسرُ الراءِ وفتحُ الهمزة، وكسرهما، ورُوي عن حمزةَ: كسرُ الراءِ وفتحُ الهمزة، والباقون: بفتحهما وكذلك (رَأَى الشَّمْسَ)، و(رَأَى الَّذِينَ) في النحل، و(رَأَى الْمُجْرِمُونَ) في الكهف، و(رَأَى الْمُؤْمِنُونَ) في الأحزاب(١).

رُوي أن إبراهيمَ عليه السلامُ ولد في زمنِ نمرودَ بنِ كنعانَ بن سنحاريب بن كوش بن سام بنِ نوح، وهو أولُ من وضعَ التاجَ على رأسِه، ودعا الناسَ إلى عبادته، حُكي أنه رأى له منجّموه أن مولوداً يولد له في سنةِ كذا في عملِه يكونُ خرابُ الملكِ على يديه، فجعل يتتبع الحبالى، ويُوكِّلُ بهنَّ حُرّاساً، فمن وضعتْ أنثى تُركت، ومن وضعت ذكراً حُمل إلى الملكِ فذبحه، وإنَّ أمَّ إبراهيم حملتْ به، واسمها يُوَنَّا، وقيلَ غيرُ ذلك، وكانت شابةً قويةً، فسترتْ حملَها، فلما قربَتْ ولادتُها بعثت تارح أبا إبراهيم إلى سفر، فمضى إليه، ثم خرجت هي إلى غار، فولدت فيه إبراهيمَ وتركَتْه في الغار، وكان مولدُه عليه السلام بكوثى، من إقليم بابل، من أرضِ العراقِ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٠٢).

على أرجحِ الأقوال، في ليلةِ الجمعةِ ليلة عاشوراءَ لمضيِّ ألفٍ وإحدى وثمانين سنةً من الطوفانِ، وكان الطوفانُ بعدَ هبوط آدمِ بألفين ومئتين واثنتين وأربعين سنة، وبين مولد إبراهيم عليه السلام والهجرةِ النبويةِ المحمدية على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلامِ ألفانٌ وثمانُ مئةٍ وثلاثٌ وتسعون سنةً على اختيار المؤرخين، والاختلافُ في ذلك كثيرٌ، وتقدَّمَ ذكرُ وفاتِه وقدرُ عمرِه ومحلُّ قبرِه في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ [الآية: ١٢٤]، وكانت تفتقدُه في الغارِ، فتجده يغتذي بأن يمصَّ أصابعَه فيخرجُ منها عسلٌ وسمنٌ ونحوُ هذا، وكان يشبُّ شباباً لا تشبُّهُ الغلمانُ، يومُه كالشهر، وشهرُه كالسنة، ولم يمكثْ في الغار إلاَّ خمسةَ عشرَ شهراً، وتكلَّم فقالَ لأمِّهِ يوماً: من ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن ربُّ أبي؟ قالت: نمرود قال: فمن ربُّ نمرود؟ قالت له: اسكتْ، فسكتَ فرجعَتْ إلى زوجِها، فقالت له: أرأيتَ الغلامَ الذي كنا نتحدَّثُ به أنه يغيرُ دينَ أهلِ الأرض؟ فإنه ابنُك، ثم أخبرتْه بأمره ومكانِه، فأتاه ونظرَهُ وفرَح به، فقال له إبراهيم: يا أبتاهُ! من ربي؟ فقالَ: أمك، قال: من ربُّ أمي؟ قال: أنا، قال: فمن ربُّكَ؟ قال: النمرود، قال: فمن ربُّ النمرود؟ فلطمَه لطمةً، وقال له: اسكتْ، فذلكَ قولُه عز وجل: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، ثم إن إبراهيمَ قال لأمه يوماً: أخرجيني من الغارِ، فأخرجَتْه عشياً، فلما خرجَ نظرَ وتفكَّر في خلقِ السمواتِ والأرض، ثم قال: إن الذي خلقني ورزقَني ويطعمُني ويسقيني لَرَبِّي، ما لي إلهٌ غيرهُ، ثم نظر إلى السماء فرأى كوكباً، قيل: إنه الزُّهرة، وقيلَ: المشتري(١).

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٧٧٦).

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ ثم أتبعَهُ بصرَهُ ينظرُ إليه.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غاب سَئِمَه.

﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: لا أحبُّ رباً لا يدوم، وهذا يدلُّ على إعمالِ عقلِه وعلمِه؛ إذِ الآفلُ لا يجوز أن يكون إلهاً.

* * *

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ طالِعاً أولَ طلوعِه.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فأَتبعَهُ بصرَهُ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ سئمَه ورجعَ بفكره متوجِّهاً إلى ربه، و﴿قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾ أي: يثبتْني على الهدى.

﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ استعجز نفسَه، واستعاذ بربه في دركِ الحقِّ؛ لأن الهدايةَ والتوفيقَ بيده سبحانه.

* * *

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا﴾ أي: الطالعُ.

﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ من الكواكبِ والقمر.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ سَئِمَها وتوجَّه إلى ربِّه بقلبٍ سليم، ووَجَّهَ وجهَه للحقِّ

بالصدقِ واليقين، و﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ من الأجرام المحدثةِ.

***

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾.

[٧٩] ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ (وَجْهِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ﴾ مائلاً إلى الحقِّ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فنقلَه اللهُ من علمِ اليقين إلى عينِ اليقين.

***

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾.

[٨٠] ثم إن أباه ضمَّه إليه، فشبَّ شباباً حسناً، وروي أن القصةَ التي وقعتْ له في حال مراهقته، وأن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنامَ والشمسَ والقمرَ والكواكبَ، فأراد أن يُنبههم على الخطأ في دينهم، ويرشدَهم إلى الحقِّ من طريقِ النظرِ والاستدلال، فقاله على وجه الاستفهام والتوبيخِ لهم، وإقامةِ الحجةِ عليهم في عبادةِ الأصنامِ والكواكبِ؛ كأنه قالَ لهم: أهذا ربي بزعمكم؟! أو مثلُ هذا يكون رباً؟! ثم عرضَ إبراهيمُ عليه السلام

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٦).

عليهم في حركتهِ وأفولهِ أمارة الحدوثِ، وأنه لا يصلحُ أن يكونَ رباً، ثم في أخرى أعظم منه، ثم في الشمسِ كذلك، فكأنه يقول: فإذا بان في هذه المنيرات أنها لا تصلُحُ للربوبيةِ، فأصنامُكم التي هي خشبٌ وحجارةٌ أحرى أن يبينَ ذلكَ فيها، ولا زال ﷺ في جميعِ أحوالِه مجمِلاً مكمِّلاً حتى أكرمَه اللهُ تعالى بما أكرمَهُ من الآيات البيناتِ، والكراماتِ الباهرات، ثم ألبسَهُ خلعةَ الخلَّة، وجعلَهُ من أولي العزم من الرسل، وجعلَه أبا الأنبياء، وتاجَ الأصفياء، ونورَ أهلِ الأرضِ، وشرفَ أهل السماء، وكان أبوه آزرُ يصنعُ الأصنامَ ويعطيها له ليبيعَها، فكانَ إبراهيمُ يقول: مَنْ يشتري مَنْ يَضُرُّهُ ولا ينفعُه؟! فلا يشتريها أحدٌ، فإذا بارتْ عليه، ذهبَ بها إلى نهرٍ، فصوَّبَ فيه رؤوسَها، وقال لها[1]: اشربي؛ استهزاءً بقومِه وما هم فيه من الضلالة، حتى فشا استهزاؤه بها في قومِهِ وأهلِ قريتِهِ.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ خاصَمُوه في دينه.

﴿قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾ أتجادِلُونني في توحيدِ اللهِ.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ للتوحيدِ والحقِّ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (أَتُحَاجُّونِي) بتخفيف النون، بخلافٍ عن هشامٍ، والباقون: بتشديدِها إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى، ومن خَفَّفَ حذفَ إحدى النونين تخفيفاً[2]، وأثبت أبو عمروٍ، وأبو جعفرٍ الياءَ في: (هَدَانِي) وصلاً،

---

(١) «لها» ساقطة من «ت» و«ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٦).

وأثبتها يعقوبُ في الحالين، وقرأ الكسائيُّ: (هَدَانِ) بالإمالة[1].

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا﴾ أي: الذي.

﴿تُشْرِكُونَ بِهِۦ﴾ أي: لا أخافُ معبوداتِكم؛ لأنها لا تضرُّ ولا تنفعُ، وذلك أنهم قالوا له: احذرِ الأصنامَ؛ فإنا نخافُ أن تمسَّكَ بسوءٍ من خَبَلٍ أو جنونٍ؛ لعيبِكَ إياها، فأجابهم بذلكَ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ أي: إلا أن يشاء أن يُلْحِقَني بشيء من المكروهِ بذنبٍ عملتُه، فتتمُّ مشيئتُه.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاطَ علمُه بكلِّ شيء.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفونَ الحقَّ من الباطلِ.

* * *

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)﴾.

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يتعلقُ به ضررٌ.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجةً. المعنى: لِمَ تُنكرون عليَّ الأَمْنَ في محلِّه، ولا تنكرونَ على أنفسِكم الأمنَ في محلِّ العَطَبِ لأنكم تُشركون باللهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٧).

﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ الموحِّدون أم المشركون؟ وإنما لم يقلْ: أيُّنا أنا أم أنتم؛ احترازاً من تزكيةِ نفسِه.

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ صدقَ القول.

***

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾.

[٨٢] فقال الله تعالى قاضِياً بينَهم:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ ﴾ يَخْلِطوا.

﴿ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ بشركٍ.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ فلما نزلتِ الآيةُ، شقَّ ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسولَ الله! فأيُّنا لم يظلمْ نفسَهُ؟ فقال: «ذَلِكَ إِنَّما هُوَ[1] الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] [لقمان: ١٣].

***

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾.

[٨٣] ﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارةٌ إلى ما احتجَّ به إبراهيمُ على قومِه من قوله:

---

(١) «هو» ساقطة من «ت».

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٨)، كتاب: استتابة المرتدين، باب: ما جاء في المتأولين، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

﴿ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ حجةً.

﴿ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ حتى خَصَمَهم.

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ بالعلمِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ يضعُ كلَّ شيء في موضعِهِ. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (دَرَجَاتٍ) بالتنوين، والباقون: بغير تنوين(١)، وتقدم اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ في سورةِ البقرةِ من تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وكذلك اختلافُهم في (نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ).

***

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ تقدَّم ذكرُهما في سورة البقرة.

﴿ كُلًّا ﴾ منهما.

﴿ هَدَيْنَا ﴾ ووفَّقْنا وأرشدْنا.

﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا ﴾ أي: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ إبراهيمَ، وتقدَّمَ ذكرُه في سورةِ آل عمرانَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٨).

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ يعني: نوحاً؛ لأنه ذكرَ في جملتِهم يونسَ ولوطاً، ولم يكونا من ذريةِ إبراهيمَ و﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ تقدم ذكرُ سليمانَ في سورةِ البقرةِ، وداودَ وأيوبَ في سورةِ النساءِ.

﴿وَيُوسُفَ﴾ هو ابنُ يعقوبَ بنِ إسحقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليهم السلام، ولد لما كان لأبيه من العمر إحدى وتسعون سنةً، ووقعَ له مع إخوتِه وفي ملكِ مصرَ ما سنذكرُه في سورةِ يوسفَ إن شاء الله تعالى، وعاش مئةً وعشرينَ سنةً، وبينَه وبينَ موسى أربعُ مئةِ سنةٍ، وتوفِّيَ بمصرَ، ودُفِنَ بها في وسطِ بحرِ النيلِ في صندوقٍ من الرخامِ، وذلك أنه لما ماتَ، تشاحنَ عليه الناسُ حتى هموا أن يقتتلوا، كلٌّ يحبُّ أن يُدفنَ في محلَّتِهِ رجاءَ بركتِه، ثم رأوا أن يُدفنَ في النيل، فيمرَّ عليه الماءُ، ثم يصلُ إلى جميع مصرَ، فتعمَّهم بركتُه، ففعلوا ذلكَ، ولم يزلْ مدفوناً ثَمَّ حتى كانَ زمنُ موسى وفرعونَ، فلما سارَ موسى ببني إسرائيلَ، نبشَهُ كما تقدَّمَ ذكرُه ملخَّصاً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [الآية: ٥٠]، وحَمَلَهُ على عجلٍ من حديدٍ، ودفنَه بحبرونَ[١] في البقيعِ خلفَ المغارةِ التي بُني عليها الحيزُ السليمانيُّ حذاءَ قبرِ يعقوبَ وجوارَ جَدَّيه إبراهيمَ وإسحاقَ عليهم السلام، وقيل: دُفن بقرب نابلسَ، والأولُ هو المشهورُ عندَ الناس، وقد استفاض فلم ينكرْ.

﴿وَمُوسَىٰ﴾ تقدَّمَ ذكرُه في سورةِ البقرةِ.

---

(١) في «ن»: «جبرون».

﴿ وَهَـٰرُونَ ﴾ في سورةِ النساءِ، تلخيصُه: ومن ذريةِ نوحٍ هَدَينا جميعَ المذكورينَ بعدُ.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: ونجزي المحسنين جزاءً مثلَ جزاءِ إبراهيمَ برفعِ درجاتِه وكثرةِ أولادِهِ والنبوةِ فيهم.

* * *

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ تقدَّم ذكرُهم في آلِ عمرانَ، والمائدةِ، وفي ذكرِ عيسى دليلٌ على أنَّ أولادَ البناتِ من الذريَّةِ، فإذا وقفَ على ذريتِهِ، دخلَ أولادُ البناتِ، وهو مذهبُ مالكٍ، وبه قالَ أبو يوسفَ، وعن أبي حنيفةَ روايتان، والراجحُ المقدَّم من مذهبِ أحمدَ المنصوصُ عنه أنهم لا يدخلونَ إلا بقرينة؛ كقوله: من ماتَ فنصيبُه لولده ونحوه، وعنه روايةٌ ثانيةٌ أنهم يدخلون، اختاره جماعةٌ من أصحابِه، وعليه العملُ.

﴿ وَإِلْيَاسَ ﴾ هو ابنُ بشرِ بنِ فنحاصِ بنِ العيزارِ بنِ هارونَ بنِ عمرانَ، أُرسل إلى أهلِ بعلبكَّ، وسيأتي ذكرُه في سورةِ الصافات إن شاء الله تعالى.

﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الكاملينَ في الصلاحِ.

* * *

﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ ﴾ هو ابنُ إبراهيمَ، تقدَّمَ ذكرُه في سورة البقرة.

﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ هو ابن أخطوبَ بن العجوزِ، استحفظَه إلياسُ على بني

إسرائيلَ، ثم استُنبئ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (واللَّيْسَعَ) بتشديد اللام وسكون الياء، وقرأ الباقون: مخففاً بفتح الياءِ وسكون اللام[1]، وهما لغتانِ، فمن قرأ بلامينِ، فأصلُ الاسم: لَيْسَعُ، ثم دخلتِ الألفُ واللامُ للتعريف، ومن قرأ بلامٍ واحدةٍ، فالاسمُ يَسَعُ، ودخلت الألفُ واللام زائدتين، كزيادتهما في نحو الخمسةَ عشرَ، قال وهبٌ: اليسعُ صاحبُ إلياسَ، وكانا قبل زكريا عليه السلام.

﴿وَيُونُسَ﴾ هو ابنُ مَتَّى، وتقدَّمَ ذكرُه في سورةِ النساءِ.

﴿وَلُوطًا﴾ هو ابنُ هارانَ بنِ آزرَ، سمي لوطاً؛ لأنَّ حبَّه ليطَ بقلبِ عمِّه إبراهيمَ؛ أي: تعلَّق ولَصِقَ، وكانَ إبراهيمُ يحبُّه حباً شديداً، وكان ممن آمنَ به، وهاجرَ معه إلى مصرَ، وعادَ إلى الشام، وأرسلَهُ اللهُ إلى أهل سَدُوم، وكانوا أهلَ كفرٍ وفاحشةٍ، وسنذكر ملخَّصَ أخبارِهم في محلِّه إن شاء الله تعالى، وقبرُه في قريةِ كَفْرِ بَرِيك، [تبعدُ][2] عن حبرونَ نحواً من فرسخٍ من جهةِ الشرق.

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بالنبوَّة.

***

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧)﴾.

[٨٧] ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ عطفٌ على (كلاً)؛ أي: وفضَّلْنا

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٩).
(٢) لم ترد في جميع النسخ والسياق يقتضيها.

بعضَ آبائهم وذرياتِهم وإخوانِهم؛ فإنَّ منهم من لم يكنْ نبياً ولا مَهْدِياً.

﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ ﴾ واخْتَرْناهم.

﴿ وَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ أرشَدْناهم.

﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ تكريرٌ لبيانِ ما هُدوا إليه.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٨٨) ﴾.

[٨٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارةٌ إلى ما دانو به.

﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ دينُ الله.

﴿ يَهْدِي ﴾ يرشدُ.

﴿ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ ﴾ لأنه المتفضلُ بالهداية.

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ ﴾ أي: المذكورونَ مع جلالةِ قدرِهم.

﴿ لَحَبِطَ ﴾ لبطلَ.

﴿ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ وكانوا كغيرِهم في سقوطِ ثوابِ أعمالهم.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ (٨٩) ﴾.

[٨٩] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: الكتبَ المنزلةَ عليهم.

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ العلمَ.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الرسالةَ.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بهذهِ الثلاثةِ.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفارَ مكةَ.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أي: بمراعاتها.

﴿قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ يعني: الأنصارَ، وأهلَ المدينة، وقيلَ: الأنبياءُ الثمانيةَ عشرَ الذين ذكرَهم هاهنا، والباء في ﴿بكافرين﴾ زائدةٌ لتأكيدِ النفي، والمعنى: جميعُ مَنْ ذُكر وَفَّقْنا للإيمانِ بهذهِ الأشياءِ، وليسوا كافرينَ بها، بل يحفظونها.

***

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يعني: الأنبياءَ المتقدِّمَ ذكرُهم.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ فبِسُنَّتِهم.

﴿ٱقْتَدِهْ﴾ اتبعْ طريقَتَهم في التوحيدِ والصبرِ على الميثاقِ دونَ الشرائعِ؛ لأنها مختلفةٌ، والهاءُ فيه هاء الوقف. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (اقْتَدِ قُلْ) بحذفِ الهاءِ في الوصل استغناءً به عنها، وقرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: بإشباعِ كسرةِ الهاءِ وصلتِها بياءٍ في الوصلِ، وهشامٌ: باختلاسِ كسرتها في الوصلِ بغيرِ صلةٍ تشبيهاً لها بما هو أصلٌ،

وقرأ الباقون: بإثباتها في الحالين؛ لثبوتها في المصاحف، وسَكَّنوها وَصْلاً؛ لأنها للسَّكْتِ(١).

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ لهؤلاءِ الكفرةِ المعاندينَ:

﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآنِ.

﴿أَجْرًا﴾ جُعْلاً من جهتِكم كما لم يسألْ مَنْ قبلي من النبيينَ.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآنُ.

﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تذكيرٌ وعِظَةٌ لهم.

***

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظَّموه حقَّ عَظَمته فيما وجبَ لهُ، واستحالَ عليه.

﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ رُوي أن مالكَ بنَ الصيفِ من أحبارِ اليهود ورؤسائهم جاء يخاصمُ النبيَّ ﷺ بزعمه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى! هَلْ تَجِدُ فِيهَا أَنَّ اللهَ يُبْغِضُ الحَبْرَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣)، ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٠-٢٩١).

السَّمِينَ؟! فَأَنْتَ الْحَبْرُ السَّمِينُ، قَدْ سَمِنْتَ مِنْ مَالِكَ الَّذِي يُطْعِمُكَ الْيَهُودُ»، فضحكَ القومُ، فغضبَ، ثم التفتَ إلى عمرَ فقالَ: ما أنزلَ اللهُ على بشرٍ من شيء، فقالَ له قومُه: وَيْلَكَ! ما هذا الذي بلغَنا عنكَ؟! فقالَ: إنه أغضبني، فقلتُ ذلك، فقالوا له: وأنتَ إذا غضبتَ تقولُ على الله غيرَ الحق؟! فَنَزعوهُ من الحبرية، وجعلوا مكانه كعبَ بنَ الأشرفِ، فنزلت الآيةُ[1]، ثم قالَ نَقْضاً لقولهم، ورَدّاً عليهم:

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ يعني: التوراة.

﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ نيِّراً وهادِياً.

﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ دفاترَ مبدَّدة.

﴿تُبْدُونَهَا﴾ تُظهرون ما تحبون.

﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ من نعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجم. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ: (يَجْعَلُونَهُ) (يُبْدُونَهَا) (وَيُخْفُونَ) بالغيبِ في الثلاثة؛ لقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، وقرأ الباقون: بالخطاب فيهن[2]؛ لقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، وقولُه:

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ بالخطابِ لليهودِ؛ أي: علمتم على لسانِ محمدٍ ﷺ ما لم تعلموا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٢)، عن سعيد بن جبير، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٢-٣٩٣).

﴿أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ زيادةً على ما في التوراة، وبياناً لما التبسَ عليكم وعلى آبائِكم الذين كانوا أعلمَ منكم.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ هذا راجعٌ إلى قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، فإنْ أجابوكَ، وإلا أنتَ: فـ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزلَهُ.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ باطِلِهم وجهلِهم.

﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: لاعبينَ، ومعنى الكلامِ التهديدُ.

***

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثيرُ الفائدةِ والنفعِ.

﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتبِ المنزلةِ قبلَه.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ يا محمدُ. قراءة الجمهورِ: بالخطابِ للنبيِّ ﷺ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالغيبِ إخباراً عنه ﷺ(١).

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أصلَ البلادِ مكةَ.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم أهلُ شرقِ الأرضِ وغربِها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالكتابِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، وباقي المصادر السابقة.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ الخمسِ.

﴿يُحَافِظُونَ﴾ يداوِمون.

***

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ونزلَ في مسيلمةَ الكذابِ صاحبِ اليمامة حينَ زعمَ أنه نبيٌّ يوحَى إليه:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ اختلقَ.

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعمَ أن اللهَ بعثَهُ نبياً.

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وهو عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ سرحٍ، كانَ يكتبُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فلما نزلَتْ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ فلما بلغَ قولَه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قالَ عبدُ اللهِ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] تعجُّباً من تفصيلِ خلقِ الإنسانِ، فقال عليه الصلاة والسلام: «اكْتُبْهَا، فَكَذَلِكَ أُنْزِلَت»، فشكَّ عبدُ الله وقال: لئنْ كانَ محمدٌ صادقاً، لقد أُوحيَ إليَّ كما أُوحي إليه، ولئن كانَ كاذباً، لقد قلتُ كما قالَ، ولحقَ بالمشركين مرتداً، ثم أسلمَ قبلَ الفتحِ والنبيُّ ﷺ بمَرِّ الظَّهرانِ[١].

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥)، =

﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ يريدُ المستهزئينَ الذين قالوا: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمدُ.

﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ شدائده، وأصلُه من: غمرَ الشيءُ.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ لقبضِ أرواحِهم، ويقولون إزعاجاً لهم:

﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ أرواحَكم؛ لنقبضَها، والجوابُ محذوفٌ، أي: ولو تراهم في هذه الحالة لرأيت عجباً.

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ أي: الهوانِ.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ من ادِّعاء الولدِ والشريكِ له، ودعوى النبوة والوحي.

﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تتعظَّمونَ فلا تؤمنون.

* * *

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ وُحداناً بلا مالٍ ولا شافعٍ، جَمعَ وحدان كسَكران، هذا خبرٌ من الله أنه يقولُ للكفارِ يومَ القيامة.

﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ على الهيئة التي ولِدتم عليها.

= و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣١٧).

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ أعطيناكُم.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغيرِ اختيارِكم.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ أي: الأصنامَ.

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ للهِ.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (بَيْنَكُمْ) بنصبِ النونِ؛ أي: تقطَّعَ ما بينكم من الوصلِ، وقرأ نافع والباقون: بضم النونِ؛ أي: تقطع[1].

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ ضاعَ وبطلَ.

﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنها شفعاؤكم.

* * *

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾ أي: شاقُّهما بالنباتِ بينَ الزرعِ والنخلِ.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: البشرَ الحيَّ منَ النطفةِ الميتةِ.

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ﴾ أي: النطفةَ الميتةَ من البشرِ الحيِّ، وكذلكَ الطيرُ منَ البيضِ، والحوتُ، وسائرُ الحيوان. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٦).

وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (الْمَيِّتِ) بتشديدِ الياء في الحرفين، والباقون: بالتخفيفِ(١).

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: المحيي المميتُ.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ فكيفَ تُصرَفون عن الحقِّ إلى ضِدِّه؟

* * *

﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ أي: شاقُّه حينَ يتبيَّنُ الصبحُ.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ يسكنُ فيه خلقُه. قرأ الكوفيون: (وَجَعَلَ) على الماضي (اللَّيْلَ) نصباً اتِّباعاً للمُصحفِ، وقرأ الباقون: بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض (اللَّيْلِ) إضافةً(٢).

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ أي: عَلَمي حُسبانٍ يُعْلَم بدورِهما حسابُ الأوقات.

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي سَيَّرَهما.

﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بتدبيرِهما.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٨).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٩٧ ﴾.

[٩٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ﴾ أي: خلقَها لكم.

﴿ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ﴾ الليلِ في.

﴿ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾ لأن راكبَ البحرِ والسائرَ في القفارِ يهتدي بها في الليلِ إلى مقاصدِه.

﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ بيَّنَّاها فَصْلاً فَصْلاً.

﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ فإنَّهم المنتفعونَ به.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ۝٩٨ ﴾.

[٩٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾ خلقَكُم، والإنشاءُ: إثباتُ شيءٍ لم يكنْ قبلَه.

﴿ مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ يعني: آدمَ عليه السلام.

﴿ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وروحٌ عن يعقوبَ: (فَمُسْتَقِرٌّ) بكسر القاف؛ أي: فمنكم مستقِرٌّ، ومنكم مستودَعٌ، وقرأ الباقون: بفتحهما؛ أي: فمنكم مستقَرٌّ ومستودَع، والمستقَرُّ: أرحامُ الأمهاتِ، والمستودَعُ: أصلابُ الآباء، وقيلَ غيرُ ذلك، واتفقوا على فتح الدال من مستودَع(١)؛ لأن المعنى أن اللهَ استودَعه، فهو مفعولٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٩).

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ﴾ أي: بيَّنَّا.

﴿ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ والفقهُ لغةً: الفهمُ.

***

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

[٩٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من السحابِ.

﴿ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ أي: بالماءِ.

﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾ من النباتِ.

﴿ خَضِرًا ﴾ أي: زرعاً رَطْباً.

﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ بعضُه فوقَ بعضٍ مثلَ سنابلِ البُرِّ والشعيرِ وسائرِ الحبوب.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا ﴾ والطَّلْعُ: أولُ ما يخرجُ من ثمر النخلِ.

﴿ قِنْوَانٌ ﴾ جمعُ قِنْوٍ، وهو العِذْقُ.

﴿ دَانِيَةٌ ﴾ قريبةُ المتناوَلِ.

﴿ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ قرأ العامةُ: (جَنَّاتٍ) نصباً عطفاً على (نَبَات)، وقرأ الأعشى عن عاصمٍ: (وَجَنَّاتٌ) بالرفعِ نَسَقاً على قولِه: (قِنْوَانٌ)(١).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٩)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٠).

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ أي: وأخرَجْنا شجرَتَهما.

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ المعنى: مشتبهاً ورقُهما، مختلفاً ثمرُهما؛ لأنَّ ورقَ الزيتونِ يشبهُ ورقَ الرمان.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (ثُمُرِه) بضمِّ الثاء والميم على جمع الثمار، والباقون: بفتحهما على جمع الثمرة[1].

﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ إذا خرجَ ثمرُه لا يكادُ ينتفعُ به.

﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ نضجِه كيفَ يعودُ فخماً ذا نفعٍ ولذةٍ.

وأما الحكمُ في بيعِ الثمرةِ منفردةً عن الشجرِ، فإذا بدا صلاحُها، جازَ بيعُها مطلَقاً، وبشرطِ التبقيةِ، وبشرطِ القطعِ عندَ الثلاثةِ، وعندَ أبي حنيفةَ يجبُ القطعُ في الحالِ، فإذا شرطَ التبقيةَ، بطلَ البيعُ، وإذا لم يبدُ صلاحُها، يجوزُ بيعُها إذا كانت منتفعاً بها بشرطِ القطعِ في الحال، فإن باعَ بشرطِ التبقية بطلَ البيعُ بالاتفاق، وإن لم يشترط القطعَ، بطلَ عندَ الثلاثة، وقال أبو حنيفةَ: البيعُ صحيحٌ، ويؤمرُ بالقطعِ.

وأما الزرعُ إذا اشتدَّ حَبُّهُ، صحَّ بيعُه عند الثلاثةِ، وعندَ الشافعيِّ لا يصحُّ بيعُه دونَ سنبُلِه، ولامعَهُ في الجديدِ.

إذا أصابتِ الثمارَ جائحةٌ بأمرٍ سماويٍّ، وهي التي لا صنعَ لآدميٍّ فيها، فهي من ضمانِ المشتري عندَ أبي حنيفةَ، والشافعيُّ لا يجبُ له وضعَ شيءٍ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠١).

من الثمن، وعند مالكٍ إن أتلفتِ الجائحةُ ثلثَ الثمرةِ فصاعداً، سقطَ عن المشتري بقدرِ ما تَلِفَ، وإن كان دونَ الثلث، لم يرجعْ على البائع بشيء، وعند أحمدَ إن تلفتْ أو بعضُها ولو بعدَ قبضِها وتسلُّمِها رجعَ على البائع ما لم يشترِها مع أصلها، ويؤخِّرْها عن وقتِ أخذِها المعتاد، ولكن يسامحُ في الشيء اليسير الذي لا ينضبطُ، ولو تعَيَّنَتْ به، خُيِّرَ بينَ الإمضاءِ مع الأَرْشِ، وبين الردِّ وأخذِ الثمنِ كاملاً.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تنبيهٌ وتذكيرٌ، ونزلَ توبيخاً لمن أشركَ باللهِ، وردّاً عليه.

***

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠)﴾.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ يعني: الكافرينَ صَيَّروا الجنَّ شركاءَ لله.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يعني: وهو خلقَ الجنَّ.

﴿وَخَرَقُوا۟﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَخَرَّقُوا) بتشديدِ الراءِ على التكثير، وقرأ الباقون: بالتخفيف؛ أي: اختلقوا(١).

﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل تخرُّصاً؛ كقولِ اليهود: عُزيرٌ ابنُ اللهِ، وقولِ النصارى: المسيحُ ابنُ اللهِ، وقولِ كفارِ العربِ: الملائكةُ بناتُ الله، ثم نزَّهَ نفسَهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٣).

﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من وصْفِهِم الفاسدِ المستحيلِ عليه تبارَكَ وتعالى.

* * *

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: مبدِعُهما لا على مثالٍ سبقَ.

﴿ أَنَّىٰ ﴾ أي: كيف.

﴿ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ﴾ زوجةٌ.

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ من المخلوقاتِ مع عدمِ حاجتِهِ إليها. قرأ أبو عمرٍو: (وَخَلَقَ كُّلَ شَيْءٍ) (وَخَلَقَ كُّلَّ دَابَّةٍ) وشبهَه بإدغامِ القافِ في الكاف حيثُ تحرَّكَ ما قبلَها، فإن سكن ما قبلَها، لم يدغمها، نحو قوله: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] وشبهِه.

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا تخفى عليه خافية.

* * *

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفِ بما سبقَ من الصفاتِ، وهو مبتدأٌ.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أخبارٌ مترادفةٌ، تلخيصُه: ذلكُمُ اللهُ المنعوتُ بهذهِ النعوتِ لا يجوزُ أن يُعْبَدَ غيرُه.

﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ فأطيعوهُ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾ رقيبٌ على أعمالِكم، فيجازيكم عليها.

***

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تحيطُ به.

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ لا يفوتُه منها شيءٌ، فيبصرُ ما لا يبصرُ خلقُه، وخلقُهُ لا يُبصرون ما يُبصرُ، والمعتزلةُ يتمسَّكون بظاهرِ هذهِ الآية في نفي رؤيةِ الله عز وجل، ومذهبُ أهلِ السنةِ إثباتُ رؤيتِه سبحانَه في الآخرةِ، جاء به القرآنُ والسنةُ، وعليه اتفاقُ الأئمة، قال الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣] وقال في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٖ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال ﷺ: «إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عياناً»(١)، وقالَ مالكٌ: لو لم يرَ المؤمنونَ ربَّهم يومَ القيامةِ، لَمْ يُعَيِّروا الكفارَ بالحِجابِ، وقال أبو حنيفةَ: واللهُ تعالى يُرَى في الآخرةِ، يراهُ المؤمنونَ في الجنة بأعينِ رؤوسِهم بلا شُبهةٍ ولا كيفيةٍ، ولا يكونُ بينَه وبينَ خلقه مسافةٌ، وقال الشافعيُّ: لما حُجِبَ قومٌ بالسخطِ، دلَّ على أن قوماً يرونه بالرِّضا، وقال أحمدُ: إنَّ الله تعالى يتجلَّى

---

(١) رواه البخاري (٦٩٩٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوْمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾، عن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

في القيامةِ لعبادِه الأبرارِ، فيرونَهُ بالعيونِ والأبصار.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ الرفيقُ بعبادِهِ.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم.

* * *

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ حُجَجٌ.

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ تُبصرون بها الهدى من الضلالة.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ أي: عرفَها، وآمنَ بها.

﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عملَ.

﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنها، فلم يصدِّقْها.

﴿فَعَلَيْهَا﴾ فعلى نفسه، ولها خسرَ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظُ عليكم أعمالَكم، إنْ عليَّ إلا البلاغُ.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نُبيِّنُها.

﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ أي: لئلا يقولوا.

﴿دَرَسْتَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بألفٍ بعدَ الدالِ وإسكانِ السينِ

وفتحِ التاء؛ يعني: قرأتَ، وقرئَ عليكَ؛ أي: قارأتَ أهلَ الكتاب بأن أعنتَهم وأعانوك، نحو: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ [الفرقان: ٤]، **وقرأ** الكوفيون، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ: (دَرَسْتَ) بغير ألف وإسكانِ السين وفتح التاء؛ أي: قرأتَ كتبَ الأولين وجئتَ بالقرآنِ منها، **وقرأ** ابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (دَرَسَتْ) بغير ألفٍ وفتحِ السينِ وإسكانِ التاءِ؛ أي: انمحَتِ الأخبارُ التي تأتينا بها[1].

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ أي: القرآنَ.

﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ الحقَّ من الباطلِ، فيسعدُ قومٌ، ويشقى آخرون.

* * *

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾.

[١٠٦] ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ بالتديُّن به.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: منفرداً.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ لا تجادِلْهُمْ.

* * *

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ توحيدَهُمْ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

﴿مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾ وهو دليلٌ على أنه تعالى لا يريدُ إيمانَ الكافرِ.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ﴾ مُراعِياً أعمالَهم.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ مسلَّطٍ على إكراهِهم على الإسلامِ.

***

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾.

[١٠٨] قال قتادة: كانَ المسلمون يَسُبُّونَ أوثانَ الكفار، فنهاهم الله عن ذلك؛ لئلا يسبوا اللهَ؛ لأنهم قومٌ جَهَلَةٌ، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي: المدعُوِّينَ آلهةً.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا﴾ اعتداءً وظلماً.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ بجهلٍ. قرأ يعقوبُ: (عُدُوّاً) بضمِّ العين والدال وتشديد الواو[١]، فلما نزلتْ قالَ ﷺ: «لا تَسُبُّوا رَبَّكُمْ»، ونهُوا عن سبِّ الآلِهة[٢]، وإنْ كانَ طاعةً؛ لإفضائِه إلى مفسدةٍ أعظمَ منه، قال القرطبيُّ في «تفسيره»: إنَّ الحكمَ بالنهي باقٍ في هذهِ الأمةِ، فمتى خِيفَ أنَّ الكافرَ يسبُّ الإسلامَ والنبيَّ ﷺ واللهَ جَلَّ جلالُه، فلا يحلُّ لمسلمٍ أن يسبَّ دينَهم،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٧).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٣).

ولا صُلْبانَهم، ولا كنائِسَهُم، ولا يتعرَّضَ إلى ما يؤدِّي إلى ذلك[1].

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما.

﴿ زَيَّنَّا ﴾ لهؤلاء المشركين عبادةَ الأوثانِ وطاعةَ الشيطانِ.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ منَ الكفارِ.

﴿ عَمَلَهُمْ ﴾ وفيه ردٌّ على القدرية.

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بالمحاسبةِ والمجازاةِ عليه.

* * *

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) ﴾.

[١٠٩] ولما طلبتْ قريشٌ منه ﷺ نزولَ الملائكةِ، وإحياءَ الموتى، وجَعْلَ الصَّفا ذهباً، وحلفوا أنهم يؤمنونَ عند ذلك، وكان المؤمنون يحبون ذلك ليؤمنَ المشركون، نزل:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ مجتهدينَ في الحلفِ.

﴿ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ يا محمدُ.

﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ لا عندي، وهو القادرُ على المجيء بها، لا أنا.

﴿ وَمَا ﴾ استفهامٌ مبتدأ، خبرُه:

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٦١).

﴿ يُشْعِرُكُمْ ﴾ أي: يدريكم أيها المؤمنون. رُوي عن أبي عمرٍو: (يُشْعِرْكُمْ) بإسكانِ الراء، وروي عنهُ باختلاسها، **وقرأ** الباقون: بإشباع الحركة، وتقدم في سورة البقرة[1].

﴿ أَنَّهَآ ﴾ أي: الآيةَ المقترحةَ.

﴿ إِذَا جَآءَتْ ﴾ الكفارَ[2].

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بها؛ لسبق علمِه بعدمِ إيمانهم. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وخلفٌ، وعاصمٌ بخلافٍ عن راويه أبي بكرٍ (إِنَّهَا) بكسرِ الألف على الابتداء، وقالوا: تمَّ الكلامُ عندَ قوله: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ)، **وقرأ** الباقونَ: بفتح الألف بمعنى لعلَّ، **وقرأ** ابنُ عامرٍ: (لا تُؤْمِنُونَ) بالتاءِ على خطاب الكفار، والباقون: بالياء على الخبر[3].

* * *

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ أي: نحولُ بينهم وبينَ الإيمان، فلا يؤمنونَ عندَ نزول الآيات.

﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ ﴾ أي: بما جاءهم.

---

(١) عند تفسير الآية (٦٧)، وانظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦، ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٨).

(٢) «الكفار» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٨-٣٠٩).

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من الآياتِ؛ كانشقاقِ القمرِ وغيرِه.

﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ ندَعُهم.

﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضَلالَتِهم.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتمادَوْنَ عَمَهَةً لا يبصرون.

* * *

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فرأوهم عياناً.

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما طَلَبوا.

﴿وَحَشَرْنَا﴾ جميعاً.

﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ طلبوهُ.

﴿قُبُلًا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (قِبَلاً) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: معاينةً، وقرأ الباقونَ: بضمهما؛ أي: أولاً[١].

﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلكَ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أنهم لو أوتوا بكلِّ آيةٍ، لم يؤمنوا، فيحلفون أنهم يؤمنونَ عندَ نزولِ الآياتِ، أو المؤمنون يجهلونَ أن الكافرينَ لا يؤمنون، فيطلبون نزولَ الآياتِ طمعاً في إيمانهم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١١).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ثم سُلِّيَ رسول الله(١) ﷺ فقيلَ له:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ [أي: كما جعَلْنا لك أعداءً، فكذلك جعلْنا لمن تقدَّمَكَ من الأنبياء، ثم فَسَّرَهُمْ فقال:](٢)

﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ وللإنس شياطينُ كما أن للجنِّ شياطينَ، وكلُّ عاتٍ شيطانٌ، قال ﷺ لأبي ذرٍّ: «هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؟»، قال: وهل للإنسِ من شياطين؟! قال: «نَعَمْ، هُمْ شَرٌّ مِنْ شَياطينِ الْجِنِّ»(٣).

﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: يوسوس ويلقي شياطينُ الجنِّ إلى شياطينِ الإنسِ، وبالعكسِ.

﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ مموَّهَ لا معنى تحتَه.

﴿ غُرُورًا ﴾ خدعاً.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي: الإيحاءَ من الزخرفةِ والغرورِ وعداوةِ الأنبياءِ.

---

(١) «رسول الله» سقطت من «ظ».

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من «ت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧٢١)، (٤٧٢١)، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أمرٌ فيه معنى التهديد .

* * *

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

[١١٣] ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ لتميلَ .

﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي : إلى زخرفِ القولِ .

﴿ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ لأنفسِهم .

﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ ﴾ يكتَسِبوا .

﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ من الذنبِ .

* * *

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

[١١٤] ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾ فيه إضمارٌ ؛ أي : قل لهم يا محمد : أفغيرَ الله .

﴿ أَبْتَغِى ﴾ أطلبُ .

﴿ حَكَمًا ﴾ قاضياً بيني وبينكم ؛ لأنهم قد طلبوا منه قاضياً يقضي بينهم وبينَه ، فأجابهم به .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ أي : القرآنَ .

﴿ مُفَصَّلًا ﴾ أي : مُبيَّناً فيه الحقُّ من الباطلِ .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: علماءَ اليهودِ والنصارى الذين آتيناهم التوراةَ والإنجيلَ.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (مُنَزَّلٌ) بالتشديد مبالغة؛ لأنه نزلَ نجوماً متفرقةً، وقرأ الباقون: بالتخفيف، من الإنزال؛ لأنه نزلَ مرة واحدة إلى بيتِ العزة(١)، والمعنى: العالمون يعلمون أن القرآنَ منزلٌ من ربِّكَ.

﴿بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّينَ في أنهم يعلمون ذلك.

***

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالوعدِ والوعيدِ. قرأ الكوفيون، ويعقوبُ: (كَلِمَةُ) على التوحيد، والباقون: (كَلِمَاتُ) بالجمع(٢).

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ فيما وعدَ، وعدلاً فيما حكمَ.

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ﴾ لا رادَّ لقضائِه، ولا مُغَيِّرَ لحكمِه.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولون.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يُضمرون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٣).

(٢) المصادر السابقة عدا «السبعة» لابن مجاهد.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الكفارَ.

﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَصْرِفوكَ عن دينِه.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو ظنُّهم أن آباءهم كانوا على الحقِّ.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يَحْزِرون.

* * *

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ و(من) في محل نصب بنزع حرف الصفة؛ أي: بـ(مَنْ يَضِلُّ)، أو في محلٍّ رفعٍ بالابتداء، ولفظُه لفظُ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلمُ أيّ الناسِ يَضِلُّ عن سبيلِه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: أعلمُ بالفريقين، فيجازي كلاًّ بما يستحقُّه.

* * *

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: كلوا مما ذُبح على اسمِ الله.

﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أنهم كانوا يُحَرِّمون أصنافاً من النَّعَمِ، ويُحِلُّون الأموات.

* * *

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ثم وبَّخهم على تركِ الأكلِ منه فقالَ:

﴿ وَمَا لَكُمْ ﴾ وأيُّ مانعٍ لكم من.

﴿ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ ﴾ شيئاً.

﴿ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ من الذبائحِ.

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو: بضم الفاءِ والحاءِ وكسرِ الصادِ والراءِ على غير تسمية الفاعل؛ لقوله: (ذُكِرَ)، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (فَصَّلَ) و(حَرَّمَ) بالفتح فيهما؛ أي: فَصَّلَ اللهُ ما حرَّمَه عليكم؛ لقولِه (اسمُ اللهِ)، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ: (فَصَّلَ) بالفتح، و(حُرِّمَ) بالضم[١]، وأرادَ بتفصيل المحرمات ما ذُكر في قولِهِ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ [المائدة: ٣].

﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ ﴾ من هذه الأشياءِ؛ فإنه حلالٌ لكم عندَ الاضطرار. قرأ أبو جعفرٍ بخلافٍ عنهُ: (اضْطِرِرْتُمْ) بكسرِ الطاء[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦، ٢٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥).

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ ﴾ قرأ الكوفيون: بضم الياء؛ أي: يُضِلُّون غيرَهم، وقرأ الباقون: بالفتحِ؛ أي: يَضِلُّون هم[1].

﴿ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ بِتشَهِّيهم من غيرِ تعلُّقٍ بدليلٍ يفيدُ العلمَ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الذين يجاوزونَ الحلالَ إلى الحرام.

* * *

﴿ وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) ﴾.

[١٢٠] ﴿ وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ سِرَّهُ وعلانيتَهُ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ ﴾ في الآخرةِ.

﴿ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴾ يكتسبون[2] في الدنيا.

* * *

﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾.

[١٢١] ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ من الميتاتِ وما في معناها من المنخنقةِ وغيرِها، وما ذُبح على اسمِ غيرِ الله.

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: الأكلُ منه.

﴿ لَفِسْقٌ ﴾ لمعصيةٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥).

(٢) في «ن»: «يكسبون».

واختلف الأئمةُ في ذبيحةِ المسلمِ إذا لم يذكرِ اسمَ اللهِ عليها، فقال الشافعيُّ: تحلُّ، سواءٌ تركَ التسميةَ عامداً أو ناسياً؛ لأن التسميةَ عنده سنةٌ، وقال الثلاثة: إنْ تركَها عمداً، لم تحلَّ، وإن تركها ناسياً، حلَّتْ، وتقدم اختلافُهم في التسميةِ على الصيدِ والذبيحةِ أيضاً في سورةِ المائدةِ عندَ تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: ٤].

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ ليوسْوِسونَ.

﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ المشركين.

﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ بقولِهم: تأكلونَ ما قتلتُم أنتم وجوارُحُكم، وتدعونَ ما قتلَه الله؟! يعنونَ الميتة.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في أكلِ الميتةِ.

﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فيه دليلٌ على أن من أحلَّ شيئاً مما حرَّمَ الله، وحرَّم شيئاً مما أحلَّ الله، فهو مشركٌ.

* * *

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

[١٢٢] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفرِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (مَيِّتاً) بالتشديدِ، والباقون: بالتخفيف[1].

(١) وقد تقدم. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» للداني =

﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ هدَيناهُ.

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا ﴾ أي: الإيمانَ.

﴿ يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ بينَهم متبصِّراً به[1]، فيعرفُ الحقَّ من الباطلِ.

﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ أي: كمن هو في الظلماتِ.

﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ يعني: في ظلمةِ الكفرِ.

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الكفرِ والمعصيةِ.

قال ابنُ عباسٍ: «﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا ﴾ يريدُ: حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه، ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ يريدُ: أبا جهلِ بنَ هشامٍ، وذلك أن أبا جهلٍ رَمَى رسولَ اللهِ ﷺ بِفَرْثٍ، فأُخبرَ حمزةُ بما فعل أبو جهلٍ وهو راجعٌ من قَنْصِهِ، وبيدِه قوسٌ، وحمزةُ لم يؤمنْ بعدُ، فأقبلَ غضبانَ حتى علا أبا جهلٍ بالقوسِ وهو يتضرَّعُ إليه ويقولُ: يا أبا يَعْلَى! أَما تَرى ما جاءَ به؟ سَفَّهَ عقولَنا، وسبَّ آلهتَنا، وخالفَ آباءَنا! فقال حمزةُ: ومَنْ أسفهُ منكم؟! تعبدونَ الحجارةَ من دونِ اللهِ! أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ»[2].

***

= (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥).

(١) «به» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٤).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ أي: كما أن فُسّاقَ مكةَ أكابرُها، كذلك جعلْنا فساقَ كلِّ قريةٍ أكابرَها؛ أي: عظماءها، جمع أكبر، وخَصَّ الأكابرَ بالذِّكر؛ لأنهم الصادُّونَ عن الدين، ثم قالَ معللاً:

﴿ لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ ﴾ بالصدِّ عن الإيمان، ورميِ النبيِّ ﷺ بالكذبِ والسحرِ.

﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ لأن وبالَ كفرِهم راجعٌ عليهم.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك.

* * *

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾.

[١٢٤] ولما قالَ الوليدُ بنُ المغيرةِ: لو كانتِ النبوةُ حقاً، لكنتُ أَوْلى بها منك؛ لأني أكبرُ منكَ سناً، وأكثرُ منكَ مالاً، فقال أبو جهل: واللهِ لن نرضى به، ولن نَتَّبعه أبداً إلاَّ أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزل:

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ ﴾[١] حجةٌ على صدقِ محمدٍ ﷺ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦١).

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ من النبوةِ، وتقدَّم الكلامُ على تغليظِ اللامِ من اسمِ الله في قولِه (رُسُلُ اللهِ) وشبهِه في أولِ سورةِ الفاتحةِ، ثم استأنفَ منكِراً أنهم لا يصلُحون للرسالة فقالَ:

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ: (رِسَالَتَهُ) بحذفِ الألفِ بعد اللام ونصبِ التاءِ على التوحيد، وقرأ الباقون: بالألف وكسر التاء على الجمع[1]؛ يعني: اللهُ أعلمُ بمن هو أحقُّ بالرسالةِ، ثم قال متهدِّداً:

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ من الكفار.

﴿صَغَارٌ﴾ أشدُّ الذلِّ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة.

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ الأسرُ والقتلُ ثم النار.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

[١٢٥] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ ينوِّرْ قلبَهُ ويفتحْهُ.

﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فيتَّسعُ به، ويفسح فيه مجاله.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٦).

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (ضَيْقاً) بالتخفيف، والباقونَ: بالتشديد.

﴿حَرَجًا﴾ وهما لغتان؛ مثل: هَيْن، وهَيِّن، حَرَجاً: أشدَّ الضيقِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ: بكسرِ الراء، والباقون: بفتحِها، وهما لغتانِ أيضاً؛ مثل: الدَّنَف، والدَّنِف؛ يعني: لا ينورُ قلبَه، ولا يفتحُه لقبولِ الإسلام.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ (يَصْعَدُ) بإسكانِ الصادِ وتخفيفِ العينِ من غيرِ ألفٍ، من الصعودِ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَصَّاعَدُ) بفتحِ الياءِ والصادِ مشدَّدةً وألفٍ بعدَها وتخفيفِ العينِ؛ أي: يتصاعَدُ، وقرأ الباقون: بتشديدِ الصادِ والعينِ من غيرِ ألفٍ؛ أي: يَتَصَعَّدُ(١)؛ يعني: يَشُقُّ عليه الإيمانُ كما يشقُّ عليه صعودُ السماء، وأصلُ الصُّعودِ: المشقةُ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا الجعلِ.

﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: العذابَ.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأصلُ الرِّجْسِ في اللغة: النتنُ.

* * *

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: الذي أنتَ عليهِ يا محمدُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢-٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٦-٣١٨).

﴿ صِرَٰطُ رَبِّكَ ﴾ الطريقُ الذي ارتضاه.

﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ لا اعوجاجَ فيه.

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيعلمونَ أن القادرَ هو اللهُ.

* * *

﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿ ۞ لَهُمْ ﴾ أي: المتذكِّرينَ.

﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الجنةُ؛ لأن كلَّ من دخلَها سَلِمَ من البلاء والرزايا.

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: مضمونةٌ لهم عندَه أن يوصِلَهم إليها بفضله.

﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ ناصرُهم.

﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يتولاَّهم في الدنيا بالتوفيق، وفي الآخرةِ بالجزاء.

* * *

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: واذكرْ يومَ نحشرُهم جميعاً. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: (يَحْشُرُهُمْ) بالياء، والباقون: بالنون(١).

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ ﴾ أي: ثم يقالُ: يا معشرَ الجنِّ؛ أي: الشياطينِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٨).

﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أي: من إغوائِهم.

﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم﴾ أي: أولياءُ الشياطين.

﴿مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ الذين أطاعوهُم:

﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٍ﴾ بأن وافقَ بعضُنا ببعض[1].

﴿وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ﴾ يعني: القيامةَ.

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ مقامكم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: مدةَ العرضِ والحسابِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أفعالِه.

﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالِ الثقلينِ وأحوالِهم.

***

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾.

[١٢٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ نسلِّطُ بعضَهم على بعض.

﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من الكفرِ والمعاصي.

***

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾.

[١٣٠] ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ أي: يومَ نحشرُهم نقولُ:

---

(١) في «ت» و«ن»: «بعض بعضاً».

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ ومعنى منكم: في الخلقِ والتكليفِ والمخاطبةِ، ولما كانتِ الجنُّ ممن يخاطَبُ ويعقلُ، قال: (منكم)، وإن كانتِ الرسلُ من الإنسِ، وغُلِّبَ الإنسُ في الخطابِ كما يغلِّبُ المذكَّرُ على المؤنث، ورُوي أن اللهَ تعالى أرسلَ رُسُلاً من الجنِّ كما أرسلَ من الإنسِ؛ لظاهرِ الآيةِ.

﴿ يَقُصُّونَ ﴾ يقرؤون.

﴿ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ كتبي.

﴿ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

﴿ قَالُوا۟ ﴾ جواباً.

﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ أنهم قد بلغوا.

﴿ وَغَرَّتْهُمُ ﴾ خدعَتْهم.

﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ وظَنُّوا أنها تدومُ، فلم يؤمنوا.

﴿ وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ ذَمَّهم على سوءِ نظرِهم وخطأ رأيهم.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾.

[١٣١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورُ من بعثِ الرسلِ والتعذيبِ.

﴿ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ أي: لم يهلكْ قريةً بشرْكٍ.

﴿ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ لم يُنْذَرُوا ببعثِ رسلٍ تنذرُهم.

* * *

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

[١٣٢] ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من العاملين.

﴿ دَرَجَٰتٌ ﴾ جزاءٌ.

﴿ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ من الثوابِ والعقابِ.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ فيخفى عليه عمل. قرأ ابنُ عامرٍ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[1].

***

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن خَلْقِه.

﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ بأوليائه.

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ يُهْلِككم، وعيدٌ لأهلِ مكةَ.

﴿ وَيَسْتَخْلِفْ ﴾ ينشىء.

﴿ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ خَلْقاً غيرَكم أمثلَ وأطوعَ.

﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ يعني: أباءهم الماضين.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٩).

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

[١٣٤] ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من مجيءِ الساعةِ.

﴿ لَآتٍ ﴾ كائنٌ، رُوي عن قنبل، ويعقوب: بالوقف بالياء على (لآتِي).

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بغائبينَ.

* * *

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

[١٣٥] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ تمكُّنكم. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَكَانَاتِكُمْ) بالجمع؛ أي: حالاتكم، وقرأ الباقون: بالأول[١]، وهذا أمرُ وعيدٍ على المبالغةِ.

﴿ إِنِّى عَامِلٌ ﴾ ما أمرَني به ربي.

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ أي: الجنة. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالياءِ على التذكير؛ لأن تأنيثَ العاقبةِ غيرُ حقيقي، والباقون: بالتاء لتأنيث العاقبة[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٠).

(٢) المصادر السابقة.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا ينجحُ سعيُهم.

* * *

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي: مشركو العرب.

﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلقَ.

﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ وذلك أنهم كانوا يجعلونَ نصيباً من زُروعهم وأنعامِهم لله، ونصيب منها لأصنامِهم، فنصيبُ اللهِ للضيفانِ والمساكينِ، ونصيبُ آلهتهم لخدمِها، فما سقطَ بهبوبِ الريحِ ونحوِه من نصيبِ الله في نصيبِ آلهتهم تُرِكَ، وقالوا: إنَّ اللهَ غنيٌّ عن هذا، وما سقطَ من نصيبِ آلهتِهم في نصيبِ الله رُدَّ، ويقولون: هي محتاجة. قرأ الكسائيُّ: (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي، والباقون: بفتحها، وهما لغتان(١)، وقولُه: (بزعمهم) تنبيهٌ على أنَّ ذلك مما اخترعوه، لم يأمرهم به اللهُ.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى الجهاتِ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢١).

التي كانوا يَصْرِفون نصيبَ اللهِ إليها.

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ﴾ إلى ما كانوا يصرفون نصيبَهم إليهم.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئسَ ما يقضونَ.

***

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

[١٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلكَ التزيينِ في قسمةِ القُرُبات.

﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾.

قراءة العامَّة: (زَيَّنَ) بفتحِ الزاء والياء ونصبِ (قَتْلَ) مفعولاً صريحاً، وجرِّ (أَوْلادِهِمْ) إضافة، ورفعِ (شُرَكَاؤُهُمْ) فاعل (زَيَّنَ)؛ أي: شياطينُهم حَسَّنوا لهم وَأْدَ البناتِ، وهو دَفْنُهُنَّ في حياتهن خيفةَ العيلةِ، وقرأ ابنُ عامرٍ: بضمِّ الزاي وكسرِ الياء مجهولاً، ورفعِ (قَتْلُ) ونصبِ دالِ (أَوْلادَهُمْ)، وخفضِ همزةِ (شُرَكَائِهِمْ) بإضافةِ (قتل) إليه[1]، كأنه قال: زُيِّنَ لكثيرٍ من المشركين قَتْلُ شركائِهم أولادَهم، فُصِلَ بينَ الفعلِ وفاعلِه بالمفعول به، وهم الأولادُ، وأُضيفَ الفعلُ وهو القتلُ إلى الشركاء، وإن لم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨ـ٦٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٥٣ـ٤٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢١ـ٣٢٢).

يتولَّوا ذلك؛ لأنهم الذين زينوا ذلكَ، ودَعوا إليه، فكأنهم فعلوهُ، وقد اعترضَ الزمخشريُّ في «كَشَّافه» على ابنِ عامرٍ في قراءته[1]، فردَّ ابنُ الجزريِّ اعتراضَه في كتابه «النَّشْر»، وصَوَّبَ قراءةَ ابنِ عامرٍ، وكذلكَ الكواشي في «تفسيرِه»، وكلٌّ منهما أشبع[2] الكلامَ في ذلك.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لِيُهلكوهم.

﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ لِيَخْلِطوا.

﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ويُدْخِلوا عليهم الشكَّ فيه.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بيَّنَ أن كفرَهم بمشيئة الله تعالى، وهو ردٌّ على القدريةِ.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ يا محمدُ.

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكذبِ؛ فإن اللهَ لهم بالمرصادِ.

* * *

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)﴾.

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين.

﴿هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: حَرامٌ، المعنى: إنهم كانوا يُعَيِّنون أشياءَ لآلِهتهم، ويُحَرِّمونها، ويقولونَ:

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٦٦).

(٢) في «ن»: «شنع».

﴿ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ ﴾ من النساءِ والرجالِ .

﴿ بِزَعۡمِهِمۡ ﴾ قرأ الكسائيُّ : بضمِّ الزاي كما تقدم .

﴿ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا ﴾ وهي البحائِرُ والسوائبُ والحوامي ، وتقدَّمَ تفسيرُها في سورة المائدة .

﴿ وَأَنۡعَٰمٌ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ﴾ وهي قربانُ آلِهتهم .

﴿ ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ ﴾ لأن ما قالوه تقوُّلٌ عليه .

﴿ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ أي : بسببه .

* * *

﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ (١٣٩) ﴾ .

[١٣٩] ﴿ وَقَالُواْ مَا ﴾ أي : الذي .

﴿ فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا ﴾ كانوا يقولون في أَجِنَّةِ البحائرِ والسوائبِ : ما وُلد حياً ، هو خالصٌ للذكور ، وأَنَّثَ (خَالِصَةٌ) للتأكيد كالخاصَّةِ والعامَّةِ .

﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ ﴾ أي : نسائِنا .

﴿ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ ﴾ أي : ما وُلد مَيْتاً ، اشتركَ فيه الرجال والنساء[١] الإناثُ والذكور . قرأ ابنُ كثيرٍ : (يَكُنْ) بالياءِ على التذكير (مَيْتَةٌ) بالرفع ؛

---

(١) «الرجال والنساء» زيادة من «ن» .

لأن المرادَ بالميتةِ الميتُ؛ أي: وإن وقعَ في البطونِ ميتٌ. وقرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (تَكُنْ) بالتاءِ على التأنيثِ (مَيْتَةٌ) بالرفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث؛ لأن الميتةَ في اللفظِ مؤنثةٌ، وأبو جعفرٍ: على أصلِه في تشديد الياء، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (تَكُنْ) بالتأنيثِ (مَيْتَةً) نصبٌ؛ أي: وإن تكنِ الأجنةُ ميتةً، وقرأ الباقون: (وَإِنْ يَكُنْ) بالياء على التذكير (مَيْتَةً) نصبٌ، ردَّه إلى (ما)[1]؛ أي: وإنْ يكنْ ما في البطونِ ميتةً، يدلُّ عليه أنه قال:

﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ ولم يقل: فيها، وأرادَ: أن الرجالَ والنساءَ فيهِ شركاءُ.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: جزاءَ وصفِهم للكذبِ على الله.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في عذابِهم.

﴿عَلِيمٌ﴾ بأقوالهم.

***

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٥-٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٤-٣٢٥).

(قَتَّلوا) بالتشديدِ على التكثير، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿سَفَهًۢا﴾ جهْلاً.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ نزلتْ فيمن كان يئدُ[2] البناتِ أحياءً مخافةَ السبي والفقرِ.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني: البحيرةَ والسائبةَ والوصيلةَ والحام.

﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ حيثُ قالوا: الله أمرنا بذلك.

﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ إلى الحقِّ.

***

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾.

[١٤١] ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ﴾ بساتينَ[3].

﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ كالكرمِ ونحوِه.

﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ كالنخلِ ونحوِه.

﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي: ثمرُه وطعمُه. قرأ نافعٌ، وابنُ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٦).

(٢) في «ت» و«ظ»: «يبيد».

(٣) بساتين» ساقطة من «ن».

كثيرٍ: (أُكْلُهُ)[1] بإسكانِ الكاف، والباقون: بتحريكها.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ في المنظرِ[2].

﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ في الطعمِ؛ مثل الرمانينِ، ولونهما واحدٌ، وطعمُهما مختلفٌ.

﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أمرُ إباحة. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (ثُمُرِهِ) بضمِّ الثاء والميم، والباقون: بفتحهما[3]، وتقدَّمَ تفسيرُ القراءتين في السورة.

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ هي الزكاةُ المفروضةُ إن جعلت[4] الآيةَ مدنيةً، وإن جعلتها مكية، فالمرادُ بحقِّه ما يُتَصَدَّقُ به على المساكين وقتَ الحصاد، والقولانِ منقولان، وكان ذلك واجباً، فنسخ بالزكاة. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: (حَصَادِهِ) بفتح الحاء، والباقون: بكسرها، ومعناهما واحد[5].

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ۚ﴾ في التصدُّقِ بإخراج جميعِ المال؛ كقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

---

(١) «أكله» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «النظر».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣، ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠، ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٦).

(٤) في «ن»: «جعلنا».

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٧).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ولا يرتضي فعلَهم في وجوب الزكاة.

واتفقَ الأئمةُ على وجوبِ الزكاةِ في الحبوب كلِّها مما يُقتات به من القمحِ والشعيرِ والأرزِ ونحوِه، وعند مالكٍ والشافعيِّ تجبُ من الثمارِ في التمرِ والزبيبِ، وعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ تجبُ فيهما وفي كلِّ مَكيلٍ يُدَّخَرُ؛ كاللوزِ والفستقِ والبندقِ ونحوِها.

واتفقَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ على عدمِ وجوبِها في الفواكهِ والبقولِ والخضراواتِ، وقال أبو حنيفةَ بوجوبها فيها، وافقه[1] صاحباه في الثمار، وخالفاهُ في الخضراوات.

واختلفوا في وجوبها في الزيتونِ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: تجبُ فيه، وقال الشافعيُّ في الجديدِ وأحمدُ: لا تجب.

واختلفوا في قدرِ النصابِ فيها، فقال أبو حنيفةَ: لا يُعتبر النصاب، وقال[2]: بل يجبُ العشرُ فيما قَلَّ أو كثرَ مما سَقَتْه السماءُ، أو سُقي بها، وما سُقِي بكُلْفةٍ؛ كالدواليبِ والدِّلاءِ وغيرِهما نصفُ العشر، وما سُقِيَ منهما يعتبرُ فيه أكثرُ السنة، فإن استويا، يجبُ نصفُ العشر، وقالَ الثلاثةُ وأبو يوسفَ ومحمدٌ: يعتبر النصابُ وقدرُه بعدَ التصفية في الحبوبِ، والجفافِ في الثمارِ خمسةُ أَوْسُق، والوسقُ ستون صاعاً، والصاعُ: خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ بالعراقيِّ، فيكونُ ذلك ألفاً وستَّ مئةِ رطلٍ عراقيٍّ، وألفاً وأربعَ مئةٍ وثمانيةً وعشرين رطلاً وأربعةَ أسباعِ رطلٍ مصريٍّ، وثلاثَ مئةٍ واثنينِ وأربعينَ رِطْلاً وستةَ أسباعِ رطلٍ دمشقيٍّ، ومئتين وخمسةً وثمانينَ

(١) في «ن»: «ووافقه».
(٢) «وقال» زيادة من «ن».

رِطلاً وخمسةَ أسباعِ رطلٍ حلبيٍّ، ومئتين وسبعةً وخمسينَ رطلاً وسُبْعَ رطلٍ قدسيٍّ، إلا الأرزَ والعلسَ؛ نوع من الحنطةِ يُدَّخر في قشره، فنصابُ كلِّ واحدٍ منهما عندَ الشافعيِّ وأحمدَ عشرةُ أوسُقٍ، ومالكٌ لم يستثنِ شيئاً، بل جعل النصابَ في الكلِّ خمسةَ أوسُقٍ.

واتفق القائلونَ باعتبارِ النصاب على أن الواجبَ فيما[1] سُقي بغير مؤنةٍ العشرُ، وفيما سُقي بكلفةٍ نصفُ العُشْرِ؛ كقول أبي حنيفةَ في القليلِ والكثيرِ، وفيما سُقي بهما، بحسابه، فإن سُقِيَ بأحدِهما أكثرَ من الآخر، اعتبر أكثرُهما نفعاً ونمواً للزرع[2].

واختلفوا في وقتِ وجوبِ الزكاةِ، فقال أبو حنيفةَ: عندَ ظهورِ الثمرةِ، وقال أبو يوسفَ: عندَ الإدراكِ، وقال الثلاثةُ: عندَ اشتدادِ الحبِّ وبُدُوِّ الصَّلاحِ في الثمر، ويستقرُّ الوجوبُ بجعلِها في الجرينِ والبيدَرِ والمِسْطاحِ ونحوِها.

واختلفوا في وجوبِ الزكاةِ في العسل، فقال أبو حنيفة: فيه العشرُ، قَلَّ أو كثرَ إذا أُخِذَ من أرض العشرِ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا زكاة فيه، وقال أحمدُ: فيه العشرُ إذا بلغ نصاباً، ونصابُه عندَهُ عشرة أفراقٍ، كل فرقٍ ستة عشرَ رطلاً عراقيةً، سواءٌ أخذَه من أرضِ العشرِ أو غيرِها. والعشريةُ: ما أسلمَ أهلُها عليها؛ كالمدينةِ ونحوِها، وما اختطَّه المسلمون كالبصرة ونحوِها، وما صولح أهلُه على أنه لهم بخراج يُضْرَبُ عليهم؛ كأرضِ

---

(١) في «ن»: «في».

(٢) في «ن»: «نمو الزرع».

اليمنِ، وما فُتح عَنْوَةً وقُسم، كنصفِ خيبر، وما قطعه الخلفاءُ الراشدون من السوادِ إقطاعَ تمليكٍ.

واختلفوا هل تُضَمُّ الحنطةُ إلى الشعيرِ، والقطنياتُ بعضُها إلى بعضٍ في تكميل النصابِ؟ فأبو حنيفةَ على أصلِه في عدمِ اعتبارِ النصابِ، فيوجبُ الزكاةَ في قليلِه وكثيرِه، وقال مالكٌ: تُضَمُّ الحنطةُ إلى الشعير، والقطاني نوعٌ واحدٌ يضمُّ بعضُها إلى بعض، ويُخرج من كلٍّ واحدٍ منها بحسابه، [وقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا يُضَمُّ جنس إلى آخرَ في تكميلِ النصاب](١).

واختلفوا في الأرضِ الخراجيَّةِ، وهي التي فُتحت عَنْوَةً، ولم تُقسمْ، وما جلا عنها أهلُها خوفاً منا، وما صُولِحوا على أنها لنا، ونقرُّها معهم بالخرَاج، هل يجتمعُ فيها العشرُ والخراجُ؟ فقال أبو حنيفةَ: لا يجتمعُ، وقالَ الثلاثةُ: يجتمع؛ لأنَّ الخراجَ في رقبتِها، والعشرَ في غَلَّتِها.

***

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

[١٤٢] ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: وأَنْشأَ من الأنعام.

﴿حَمُولَةً﴾ وهي ما يُحمَلُ عليه من الإبلِ الكبارِ.

﴿وَفَرْشًا﴾ وهي الصغارُ من الإبلِ التي لا تحملُ، سميت بذلك للطافةِ أجسامِها، وقربِها من الفرشِ، وهي الأرضُ المستويةُ التي يطؤها الناس.

﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: مما أحلَّ لكم منه.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِۚ﴾ أي: لا تسلُكوا طريقَه في تحريمِ الحرثِ والأنعام. قرأ ابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وقنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (خُطُوَاتِ) بضمِّ الطاء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ العداوةِ.

***

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾.

[١٤٣] ثم بيَّنَ الحمولةَ والفرشَ فقال:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ﴾ أي: وأنشأَ من الأنعامِ ثمانيةَ أزواجٍ؛ أي: أعدادٍ، يريدُ: الذكرَ والأنثى، والعربُ تسمي الواحدَ: زوجاً، إذا كانَ لا ينفكُّ عن الآخرِ، أجملَها أولاً، ثم فصَّلَها ثانياً، فقال:

﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ الكبشَ والنعجةَ، وهي ذواتُ الصوفِ من الغنم.

﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ التيسُ والعنزُ، وهي ذواتُ الشعرِ من الغنم. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ (الْمَعَز) بفتح العين، والباقون: بإسكانها(٢).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦، ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، =

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ عليكم، يعني: ذكرَ الضأنِ والمعزِ.

﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: أنثى الضأن والمعز.

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وما حملَتْ إناثُ الجنسين، ذكراً كان أو أنثى.

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ فَسِّروا لي ما حَرَّمتم بتحقيق.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ ذلك.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ والكلامُ في الإبلِ والبقرِ كما سبقَ في الضأنِ والمعز. وأجمعَ **القراءُ** على مدِّ (آلذَّكَرَيْنِ)؛ لأنها همزةُ استفهامٍ دخلَتْ على همزةِ الوصلِ؛ لتفرقَ بينَ الاستفهامِ والخبرِ، وأجمعوا على عدمِ تحقيقِها؛ لكونها همزةَ وصلٍ، وهمزةُ الوصلِ لا تثبت إلا ابتداءً، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته، فقال كثيرٌ منهم: تُبدلُ ألفاً خالصة، وقال آخرون: تُسَهَّلُ بينَ بينَ. معنى الآية: إنكارُ أن اللهَ حَرَّمَ شيئاً

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٨).

من جنسَي الغنمِ والإبلِ والبقرِ، وذلك أنهم كانوا يحرِّمون ذكورَ الأنعامِ تارةً، وإناثَها تارةً، وأولادَها تارةً، ويقولون: قد حرَّمَها الله، فأنكرَ ذلك عليهم.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ الهمزةُ للإنكار، و(أم) بمعنى (بل)، المعنى: بل أكنتم حُضوراً.

﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ التحريمِ، وهذا تجهيلٌ لهم، وتقدَّم اختلافُ القراءِ في الهمزتين من(شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسبَ إليه تحريمَ ما لم يحرِّمْ.

﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والمرادُ: عَمْرُو بنُ لُحَيٍّ ومَنْ تبعَه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾.

[١٤٥] ثم بيَّنَ أنَّ التحريم إنما يثبتُ بوحيِ اللهِ وشرعِه، فقال:

﴿قُل﴾ يا محمد:

﴿لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئاً.

﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾ آكلٍ.

﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾ يأكلُه.

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ الحرامُ والمحرَّمُ: هو الممنوعُ عنهُ، وحكمُه

ما يأثم بفعله، ويثاب على تركه بنيةِ التقربِ إلى الله تعالى، **قرأ** أبو جعفرٍ، وابنُ عامر (تكون) بالتاء على التأنيث (ميتةٌ) رفع، أي: إلا أن تقع ميتة، وأبو جعفر على أصله في تشديد الياء. **وقرأ** ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ: (تكُونَ) بالتأنيث (مَيْتَةً) نصبٌ على تقديرِ اسمٍ مؤنثٍ؛ أي: إلا أن تكونَ النفسُ أو الجثةُ ميتةً، **وقرأ** الباقونَ: بالياء على التذكير (ميتةً) نصبٌ؛ يعني: إلا أن يكونَ المطعومُ ميتةً[1].

﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ مصبوباً.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ حرامٌ.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطفٌ على ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾، وما بينهما اعتراضٌ للتعليل.

﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ذُبح على غيرِ اسمِ الله، وسُمي ما ذُبح على غير اسم الله فسقاً؛ لتوغُّله في الفسقِ.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى أكلِ شيءٍ من هذه المحرماتِ، فأكلَ.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطرٍ مثلِه.

﴿وَلَا عَادٍ﴾ قدرَ الضرورةِ.

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يُؤاخذه. وتقدَّم اختلافُ القراء في قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ ومذاهبُ الأئمةِ في حكمِ أكلِ الميتةِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ [الآية: ١٧٣].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٠).

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾.

[١٤٦] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ وهو ما ليسَ بمفرَّقِ الأصابعِ؛ كالبطِّ، والإبلِ، والنعامِ، وقيلَ: كلُّ ذي مخلبٍ من الطيرِ، وحافرٍ من الدوابِ، لما ذكرَ الله عز وجل ما حرَّمَ على أمةِ محمدٍ ﷺ، عقَّبَهُ بذكرِ ما حَرَّمَ على اليهودِ تكذيباً لهم في قولِهم: إنَّ اللهَ لم يحرمْ علينا شيئاً، وإنما نحنُ حَرَّمنا على أنفسِنا ما حرَّمه إسرائيلُ على نفسِه، وهذا التحريمُ تكليفُ بلوى وعقوبةٍ، فأولُ ما ذكرَ من المحرماتِ عليهم: كلُّ ذي ظفرٍ.

﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ وهي الثروبُ، وشحمُ الكليتين.

﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ أي: ما علقَ بالظهرِ والجنبِ من داخلِ بطونهما. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وورشٌ، وابنُ عامرٍ، وخلفٌ: (حَمَلَت ظُّهُورُهُمَا) وشبهَه بإدغامِ التاء في الظاء، والباقون: بالإظهار(١).

﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ وهي المصارينُ.

﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ هو شحمُ الأليةِ؛ لما فيها من العظم، هذا كله

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣١).

دخلَ في الاستثناءِ، والتحريم مختصٌّ بالثربِ وشحمِ الكلية.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: تحريمُ الطيباتِ عقوبةٌ لهم.

﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسببِ ظلمِهم؛ لأنها كانت حلالاً لهم، فلما عَصَوا بقتلِهم الأنبياءَ، وأخذِهم[1] الربا، واستحلالِ أموالِ الناسِ، حُرِّمَتْ عليهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبرنا.

* * *

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

[١٤٧] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئتَ به.

﴿فَقُل﴾ استعطافاً لهم.

﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيثُ لم يعاجلْكم بالعقوبةِ.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عقابُه.

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ حينَ ينزلُ.

* * *

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾.

---

(١) في «ن» و«ظ»: «وأخذ».

[١٤٨] ثم أخبر عما هم قائلوه بعدَ لزومِ الحجةِ لهم، فقال:

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ من قبلُ.

﴿ وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ من البَحائرِ والسوائبِ وغيرِها، فكأنهم جعلوا إقامتَهم على الشركِ وتحريمَهم ذلك بمشيئةِ الله، ولم يقولوا هذا القولَ تعظيماً، بلْ سخريةً واستهزاءً وهم مكذِّبون.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كهذا التكذيبِ الذي كذبوكَ.

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأممِ الخاليةِ أنبياءَهم.

﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ﴾ عذابَنا المنزلَ عليهم.

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ ﴾ حجَّةٍ أو دليلٍ على صحةِ دعواكم.

﴿ فَتُخْرِجُوهُ ﴾ فتُظْهِروه.

﴿ لَنَآ ﴾ ليثبتَ ما تدَّعونَ من الشركِ والتحريمِ.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ من غيرِ علمٍ.

﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ تكذِبون.

* * *

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

[١٤٩] ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ التامَّةُ على خلقِه بالكتابِ والرسول.

﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ولكنْ شاءَ هدايةَ قومٍ وضلالَ آخرين، فيه دليلٌ على أنه لم يشأْ إيمانَ الكافرِ، ولو شاءَ، لهداه.

* * *

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

[١٥٠] ﴿ قُلْ هَلُمَّ ﴾ كلمةُ دعوةٍ إلى شيءٍ؛ أي: أَحْضِروا.

﴿ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ ﴾ لكم.

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ ﴾ الذي حَرَّمتموه.

﴿ فَإِن شَهِدُوا۟ ﴾ كاذِبينَ.

﴿ فَلَا تَشْهَدْ ﴾ يا محمدُ.

﴿ مَعَهُمْ ۚ ﴾ لا تصدِّقْهم، فهذا أمرٌ له ﷺ، والمرادُ غيرُه.

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يشركون.

* * *

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

[١٥١] ولما سألوه وقالوا: ما الذي حرم الله تعالى؟ فقال تعالى:

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ ﴾ من العُلُوِّ، وأصلُها أن يقولَها مَنْ هو بمكانٍ عالٍ لمن هو بمكانٍ أخفضَ منه، فاتُّسِعَ فيه بالتعميم، المعنى: جيئوا.

﴿ أَتْلُ﴾ أقرأ.

﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ عليكم يقيناً لا ظناً كما تزعمون.

﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ ﴾ أي: الزموا تركَ الإشراك، وداوموا على الإسلام.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ ﴾ أي: وأحسنوا بهم إحساناً.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ ﴾ فقرٍ.

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ ﴾ أي: لا تَئِدُوا بناتِكم خشيةَ العَيْلَة، وكان منهم مَنْ يفعلُ ذلكَ بالإناثِ والذكورِ خشيةَ الفقرِ.

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: العلانية.

﴿ وَمَا بَطَنَۖ ﴾ يعني: السرَّ، وكان أهلُ الجاهليةِ يستقبحون الزنا في العلانية، ولا يَرَون به بأساً في السر، فحَرَّمه اللهُ سراً وعلانية.

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ﴾ كقتلِ رِدَّةٍ وقصاصٍ أو رجمٍ.

﴿ ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكرتُ.

﴿ وَصَّىٰكُم﴾ أمَرَكم.

﴿ بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ترشدُون.

***

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: بما فيه صلاحُه.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ الحلمَ، والأشدُّ جمعُ شَدٍّ، وهو استحكامُ قوةِ شبابِهِ، وفي الكلامِ حذفٌ؛ أي: فإذا بلغَ أشدَّه، وأُونِسَ رشدُه، فادفعوا إليه مالَه، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في حكمِ[1] البلوغِ والرشدِ في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الآية: ٦].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدلِ.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتَها، المعنى: لِمَ نكلِّفُ المعطيَ أكثرَ مما وجبَ عليه، ولا نكلِّفُ صاحبَ الحقِّ الرِّضا بأقلَّ من حقِّهِ.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ فاصدُقوا في الحكمِ والشهادةِ.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كانَ المقولُ لهُ أو عليه من ذَوي قرابتِكم.

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ عامٌّ في جميعِ ما عهدَه اللهُ إلى عبادِه.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (تَذْكُرُونَ) بالتخفيف على حذف إحدى التاءين، والباقون: بالتشديدِ حيثُ وقع[2].

---

(١) «حكم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٢).

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ الذي وُصِّيتُم به.

﴿صِرَٰطِي﴾ طريقي.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ مستوياً، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَإِنَّ هَذَا) بكسرِ الألفِ على الاستئناف، وقرأ الباقونَ بفتحِ الألفِ، تقديرُه: ولأن هذا صراطي مستقيماً، وقرأ ابنُ عامرٍ بسكونِ النونِ، وفتحِ الياءِ من (صِرَاطِيَ) وافقه يعقوبُ في إسكانِ النونِ[١]، واختلف راوياه، فقرأ رويسٌ (سِرَاطِي) بالسين[٢]، وروحٌ: بالصاد.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرقَ المختلفةَ في الأديانِ.

﴿فَتَفَرَّقَ﴾ تشتَّتَ.

﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دينِه الذي ارتضى. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (فَتَّفَرَّقَ) بتشديدِ التاء، والباقون: بالتخفيف[٣].

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الضلالَ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٥).

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

[١٥٤] ﴿ ثُمَّ ﴾ أي: ثم أخبرُكم أنا.

﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: التوراةَ.

﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ أي: إتماماً للنعمةِ عليه؛ لإحسانه في الطاعة.

﴿ وَتَفْصِيلًا ﴾ بياناً.

﴿ لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ يحتاجُ إليه من شرائعِ الدينِ.

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ هذا في صفةِ التوراة.

﴿ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ كي يؤمنوا بالبعث.

* * *

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ .

[١٥٥] ﴿ وَهَٰذَا ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ كثيرُ النفعِ.

﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ واعملوا بما فيه.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ وأطيعوا.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ باتِّباعِه والعملِ به.

* * *

﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ .

[١٥٦] ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ ﴾ لِئَلاَّ تقولوا:

﴿ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ يعني: اليهودَ والنصارى.

﴿ وَإِن ﴾ أي: وقدْ.

﴿ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ ﴾ قراءتهم.

﴿ لَغَٰفِلِينَ ﴾ لا نعلمُ ما هي.

***

﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ (١٥٧) ﴾.

[١٥٧] ﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ ﴾ وقد كانَ جماعةٌ من الكفارِ قالوا: لو أُنزل علينا ما أُنزل على اليهودِ والنصارى، لَكُنَّا خيراً منهم، قال الله تعالى:

﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ حُجَّةٌ واضحةٌ بالغةٌ تعرفونها.

﴿ وَهُدًى ﴾ بيانٌ.

﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ نعمةٌ لمن اتبعه، وهو محمدٌ ﷺ.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ ﴾ أعرضَ.

﴿ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ بشدَّتِهِ.

﴿ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ يُعْرِضون.

***

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون بعدَ تكذيبِهم الرسلَ، وإنكارِهم القرآنَ.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ لقبضِ أرواحِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَأْتِيَهُمُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[١].

﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ هذا من المتشابِه الذي لا يعلمُ تأويلَه إلا اللهُ.

﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ﴾ طلوعُ الشمسِ من مَغْرِبِها.

﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ أي: لا ينفَعُهم الإيمانُ عندَ ظهورِ الآيةِ التي تَضْطَرُّهم إلى الإيمانِ.

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا﴾ السابقِ لظهورِ الآياتِ.

﴿خَيْرًا ۗ﴾ توبةً.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ يا أهلَ مكةَ.

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وعيدٌ لهم، قال ﷺ: «ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَمْ يَنْفَعْ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ: الدَّجَّالُ، والدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ»[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٨)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه =

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩ ﴾.

[١٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ أي: جعلوا دينَ إبراهيمَ أدياناً مختلفةً، فتهوَّدَ قومٌ، وتنَصَّرَ قومٌ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، (فَارَقُوا) بالألف؛ أي: خرجوا من دينِهم وتركوه، وقرأ الباقون: بغير ألف مشدَّداً على المعنى الأول(١).

﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ صاروا فِرَقاً مختلفةً.

﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ ﴾ أي: لستَ منَ السؤالِ عنهم.

﴿ فِي شَيْءٍۚ ﴾ والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتالِ.

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يتولَّى جزاءهم.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ إذا وَرَدوا القيامةَ.

* * *

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠ ﴾.

[١٦٠] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ ﴾ أي: عشرُ حسناتٍ فَضْلاً من الله. قرأ يعقوبُ: (عَشْرٌ) منونٌ (أَمْثَالُهَا) رفعٌ على الوصفِ؛ أي: فله

= الإيمان، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٨).

حسناتٌ عشرٌ أمثالُها، وقرأ الباقون: بغير تنوين، وخفضِ (أَمْثَالِهَا) على الإضافة، وحذفتِ الهاءُ من (عَشْر) لتأنيثِ الأمثالِ في المعنى؛ لأن مثلَ الحسنةِ حسنةٌ[1].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ الثوابِ، وزيادةِ العقابِ.

***

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بالوَحْيِ والإرشادِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (هَدَانِي) بالإمالة[2]، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3].

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ منصوباً بِمُضْمَرٍ؛ أي: عَرَّفَني ديناً. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: بكسر القافِ وفتحِ الياء خفيفة، والباقون: بفتح القافِ وكسر الياءِ مشدَّدةً، ومعناهما: المستقيم[4].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦-٢٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٩).

(٣) كما تقدم. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٩).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، =

﴿ مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ بدلٌ من ديناً. قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (أَبْرَاهَامَ) بألف[1].

﴿ حَنِيفًا ﴾ حالٌ من إبراهيمَ.

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ نفيٌ للنقيصةِ عنه ﷺ.

* * *

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ ﴾.

[١٦٢] ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ يعني: الذبيحةَ في الحجِّ والعمرةِ.

﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ بخلافٍ عن الثاني: (مَحْيَايْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2]، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (مَحْيَايَ) بالإمالةِ[3].

﴿ وَمَمَاتِي ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بفتح الياء، والباقون بإسكانها[4].

﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: هو يُحييني ويُميتني.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٩).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٠).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤١).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤١).

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ خالصةً له، لا أشركُ فيها غيرَه.

﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ بالإخلاصِ.

﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ من هذه الأمة؛ لأن كلَّ نبيٍّ إسلامُه يتقدَّمُ على إسلامِ أمته. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَأَنا أَوَّلُ) بالمدِّ[١].

* * *

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

[١٦٤] ولما قالَ المشركونَ للنبيِّ ﷺ: ارجعْ إلى دينِنا، فنزل:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ وما سواهُ مربوبٌ مثلي لا يصلُحُ للربوبية. ولما قالَ الوليدُ بنُ المغيرةِ: اتَّبعوني أحملْ أوزارَكم، نزلَ:

﴿ وَلَا تَكْسِبُ ﴾ لا تجني.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ إلا كانَ الإثمُ على الجاني.

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ لا تحملُ حاملةٌ حملَ غيرِها، وأصلُ الوزرِ: الثِّقلُ.

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ ﴾ يومَ القيامةِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤١).

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فيعلِمُكم.

﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بتمييزِ المحقِّ من المبطلِ.

* * *

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ جمعُ خليفةٍ، وهي النيابةُ عن الغيرِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ خاتمُ الأنبياء، فخلفتْ أمتهُ سائرَ الأممِ بأنْ سكنوا الأرضَ بعدَهم.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في الخلقِ والرزقِ والعلمِ والدينِ.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبرَكُم.

﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من المالِ وغيرِه؛ ليظهر لكم منكم المطيعُ من العاصي.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه، ووصفَ العقابَ بالسرعةِ؛ لأن ما هو آتٍ قريبٌ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ لمن تابَ وأطاعَهُ، والله أعلمُ.

* * *

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مكيةٌ غيرَ ثمانِ آياتٍ من قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى﴾ إلى قوله: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾، آيُها ستٌّ ومئَتا آيةٍ، وحروفُها أربعةَ عشرَ ألفاً وثلاثُ مئةٍ وعشرةُ أحْرُفٍ، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ وثلاث مئةٍ وخمسٌ وعشرونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓصٓ﴾ قيل: معناه: أنا اللهُ الملكُ الصادقِ. قرأ أبو جعفرٍ: بتقطيعِ الحروفِ يسكُتُ على كلِّ حرفٍ سكتةً يسيرةً، وتقدَّم الكلامُ على ذلك في سورةِ البقرةِ(١)، وموضِعُه رفعٌ بالابتداءِ.

***

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾.

---

(١) عند تفسير الآية (١) منها، وانظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٤).

[٢] ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدأ[١] محذوفٍ؛ أي: هذا كتابٌ.

﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ وهو القرآنُ.

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ أي: ضِيقٌ. المعنى: لا يضيقُ صدرُكَ بالإبلاغِ مخافةَ أن تُكَذَّبَ فيه، فإنما عليك البلاغُ.

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ أي: بالكتابِ المنزلِ، فالكلامُ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: أُنْزِلَ عليك الكتابُ لتنذرَ به، فلا يكنْ في صدرِكَ حرجٌ منه.

﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ عِظَةٌ لهم.

***

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾.

[٣] وقل لهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يعمُّ القرآنَ والسنَّةَ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: دونِ اللهِ.

﴿أَوۡلِيَآءَۗ﴾ تطيعونهم في معصيةِ اللهِ.

﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتَّعِظون قليلاً؛ حيثُ تتركونَ[٢] دينَ الله، و(ما) مزيدةٌ لتأكيدِ القِلَّة. قرأ ابنُ عامرٍ: (يَتَذَكَّرُونَ) بياء قبلَ التاء على أن الخطابَ بعدُ مع النبيِّ ﷺ، وكذا هو في مصاحفِ أهلِ الشام، والباقون: بتاء واحدة

---

(١) «مبتدأ» زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «تتذكرون».

من غير ياءٍ قبلَها كما هي في مصاحِفِهم، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ[1]: على أصلِهم في تخفيفِ الذال[2].

* * *

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ ﴾ أي: وكثيراً من القرى.

﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ أي: أردْنا إهلاكَ أهلِها.

﴿ فَجَآءَهَا ﴾ أي: فجاء أهلَها.

﴿ بَأْسُنَا ﴾ عذابُنا.

﴿ بَيَٰتًا ﴾ ليلاً.

﴿ أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ نائِمون نصفَ النهارِ، والقيلولةُ: استراحةُ نصفِ النهارِ وإنْ لم يكنْ[3] نومٌ.

* * *

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ أي: تضرُّعُهم وقولُهم.

﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ بفعلِنا، اعترفوا حيثُ لم ينفعِ

---

(١) «وحفص» سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٤).

(٣) في «ن»: «يك».

الاعتراف. وقرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ: (إذ جَّاءَهُمْ) وشبهَه بإدغامِ الذالِ في الجيم، وقرأ الباقون: بالإظهار(1).

* * *

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ٦ ﴾.

[٦] ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: الأممَ عمَّا بلغوا؛ توبيخاً.

﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عمَّا أُجيبوا؛ تقريراً لذلكَ.

* * *

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧ ﴾.

[٧] ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾ على المسؤولين ما عَمِلوا.

﴿ بِعِلْمٍ ﴾ عالمينَ بجميعِ ما صدرَ منهم.

﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ عنهُم فيخفى علينا شيءٌ من أحوالِهم.

* * *

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَٱلْوَزْنُ ﴾ أي: القضاءُ.

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يومَ السؤال.

﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ العدلُ، وقيل: المرادُ: حقيقةُ الوزنِ، وقد وردَ في الحديث:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٥).

«أَنَّهُ يُنْصَبُ مِيزَانٌ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، كُلُّ كِفَّةٍ بِقَدْرِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتُوزَنُ فِيهِ صُحُفُ الأَعْمَالِ»[1].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ﴾ رَجَحَتْ.

﴿مَوَازِينُهُۥ﴾ جمعُ ميزانٍ؛ لأنَّ لكلِّ عبدٍ ميزاناً، وقيلَ: جمعُ موزونٍ، وهو الحسناتُ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزونَ بالنجاةِ والثواب.

* * *

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون.

* * *

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ ملَّكْناكم.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ٩٠) في معرض شرحه لهذه الآية، فقال: وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب. واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال. . .

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ أسباباً تعيشون بها، جمعُ مَعِيشَةٍ، ولا تُهمزُ ياؤها؛ لأنها مَفاعِلُ من العَيْش.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيما صنعتُ لكم.

***

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: آدمَ.

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في ظهرِه، وذُكر آدمُ بلفظِ الجمع لأنه أبو البشرِ، ففي خَلقِه خلقُ مَنْ يخرجُ من صُلْبِهِ.

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ لآدمَ، وتقدَّمَ مذهبُ أبي جعفرٍ في ضمِّ التاءِ من قوله: (لِلْمَلائِكَةُ اسْجُدُوا)، والكلامُ عليه، وعلى تفسيرِ السجودِ مستوفىً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الآية: ٣٤].

***

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿قَالَ﴾ اللهُ: يا إبليسُ.

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (لا) زائدةٌ؛ أي: أيُّ شيءٍ منعَكَ من السجودِ وقتَ أمري؟ فيه دليلٌ على أن مطلقَ الأمرِ للوجوبِ، وأنه على الفَوْرِ.

﴿قَالَ﴾ إبليسُ مجيباً له:

﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ لأنَّكَ ﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ والنارُ خيرٌ وأنورُ من الطينِ، وقد أخطأ الخبيثُ بتفضيلِ النارِ على الطينِ، وليس كذلك، وإنما الفضلُ لما فضَّلَه اللهُ، وقد فَضَّلَ الطينَ على النارِ، ولأن الترابَ سببُ الحياةِ للنباتِ والأشجارِ، والنار سببُ الهلاكِ.

* * *

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا ﴾ أي: من الجنةِ؛ لأنها مكانُ المطيعين.

﴿ فَمَا يَكُونُ ﴾ فما ينبغي.

﴿ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ ﴾ بمخالفةِ الأمرِ.

﴿ فِيهَا ﴾ وفيه تنبيهٌ على أن التكبُّرَ لا يليقُ بأهل الجنة.

﴿ فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الذَّليلينَ.

* * *

﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ ﴾.

[١٤] ﴿ قَالَ ﴾ إبليسُ عندَ ذلك: ﴿ أَنظِرۡنِيٓ ﴾ أَخِّرْني فلا تُمِتْني.

﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ من قبورهم وَقْتَ النفخةِ الآخرةِ عندَ قيامِ الساعة، قال ابنُ عباسٍ: أرادَ الخبيثُ ألاَّ يذوقَ الموتَ(١)؛ لأنه لا موتَ بعدَها، فلم يُجَبْ، وإنما أُنْظِرَ إلى الوقتِ المعلومِ، وهي النفخةُ الأولى، فيموتُ مَعَ مَنْ يموتُ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٧٩).

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ إلى وقتِ النفخةِ الأولى، وأنظر فتنةً للعبادِ، ولبيانِ الطائعِ والعاصي، وليَعْظُمَ الأجرُ والوِزْرُ.

***

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ والغيُّ: الضلالُ والخَيْبَةُ، ومعنى الكلام القَسَمُ؛ أي: فبإغوائِك إيايَ بواسطتِهم.

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ﴾ أي: على صراطِكَ.

﴿ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: لأجلسنَّ لهم على طرقِ الإسلامِ والخيراتِ، وأحولُ بينَهم وبينَها.

***

﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم ﴾ بِوَسْوَسَتي.

﴿ مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من جهةِ الآخرةِ، فَأُشَكِّكُهم فيها.

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من جهةِ الدنيا، فأُرَغِّبُهم فيها.

﴿ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ طرقِ الحسناتِ.

﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ ﴾ جمع شِمال: طرقِ السيئاتِ، رُوي أنه يأتي ابنَ آدمَ من جميعِ الجهاتِ إلاَّ من فَوْقُ؛ لئلاَّ يحولَ بينَ العبدِ والرحمةِ. تلخيصُه: أَسْعى في إغوائهم بكلِّ طريقٍ.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ مؤمنين، قالَ الخبيثُ ذلكَ ظناً، فأصابَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠].

* * *

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بالهمز؛ أي: مَعيباً.

﴿مَّدْحُورًا﴾ مُبْعَداً.

﴿لَّمَن﴾ بفتح اللام؛ لأنها مُوَطِّئَةٌ لقسمٍ محذوفٍ تقديره: واللهِ لَمَنْ.

﴿تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: من بني آدمَ، وجوابُ القَسَم:

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ أي: منكَ ومن أتباعِك من الجنِّ والإِنْسِ.

﴿أَجْمَعِينَ﴾ تلخيصُه: هذا الوعيدُ لمن تبعَكَ.

* * *

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ أي: قلنا: يا آدمُ.

﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتصيرا[١] من الذين ظلموا أنفسَهم، تقدَّم اختلافُ القراءِ في قولِهِ (حَيْثُ شِئْتُما) و(حَيْثُ شِئْتُمْ) في سورة البقرة.

---

(١) في «ن»: «فتصير».

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ ألقى في أنفسِهما سِرّاً.

﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ ﴾ بواوين، الأولى مضمومةٌ، المعنى: زَيَّنَ لهما ما نُهِيا عنه ليكشفَ لهما ما سُتِرَ.

﴿ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ عَوْراتِهما؛ أي: فعلَ ذلكَ بهما ليريَهما ما يَسوءُهما، ولذلك سُميت سوءَةٌ، وفي هذا دليلٌ على(١) أن كشفَ العورةِ في غايةِ القُبْحِ في كلِّ زمانٍ، ثم بين الوسوسة فقال:

﴿ وَقَالَ ﴾ يعني: إبليسُ لآدمَ وحواءَ.

﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا ﴾ أي: إلا كراهةَ أن تكونا.

﴿ مَلَكَيْنِ ﴾ روحانِيَّيْنِ.

﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ الباقينَ في الجنةِ لا تموتان، واستدلَّ بعضُ الناسِ بهذه الآية على فضلِ الملائكةِ على الأنبياءِ، قالَ ابنُ فُوْرَك: لا حجَّة في هذهِ الآيةِ، لأنه يُحتملُ أن يريدَ مَلَكين في ألاَّ تكونَ لهما شهوةٌ في طعامٍ(٢)، وتقدَّمَ ذكرُ مذهبِ(٣) أهلِ السنَّةِ في تفضيلِ الأنبياءِ على الملائكةِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١].

---

(١) «على» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٧٨).

(٣) «مذهب» ساقطة من «ن».

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ حلفَ لهما يميناً مُوثَّقةً.

﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ بحلفي، وإبليسُ أولُ مَنْ حلفَ كاذِباً.

* * *

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ حطَّهما عن منزلتهما.

﴿ بِغُرُورٍۚ ﴾ بباطلٍ؛ أي: خَدَعَهما بحلفِه، والغرورُ: إظهارُ النصحِ مع إبطانِ الغشِّ.

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ ليتعرَّفاها.

﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ ظهرتْ لهما عوراتُهما، وتهافتَ عنهما لباسُهما حتى أبصرَ كلٌّ منهما ما تَوارى عنهُ من عورةِ صاحِبه، وكانا لا يريان ذلك من أَنفسِهما، ولا أحدٌ منهما من صاحِبه، وكانَ لباسُهما نوراً يسترُهما، فاستحييا.

﴿ وَطَفِقَا ﴾ أَخَذا ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ يُلْصِقان ورقةً بعدَ ورقةٍ.

﴿ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ ﴾ وهو ورقُ التينِ حتى صارَ كالثوبِ؛ ليستَتِرا به، وهو يتهافتُ عنهما، وأصلُ الخَصْفِ: وَصْلُ الشيءِ بالشيءِ يسيرٍ أو غيرِه.

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾ عتاباً وتوبيخاً.

﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهرُ العداوةِ بيِّنُها، فيه دلالةٌ أنهما كانا قد عَرَفا عداوةَ إبليسَ لهما، وحُذِّرا منه.

* * *

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ قَالَا ﴾ معتذرين ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ ضَرَرْناها بالمعصيةِ.

﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الهالكين.

* * *

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ يا آدمُ وحواءُ وإبليسُ.

﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ متعادينَ، فَيُعادِيانِ إبليسَ ويُعاديهما.

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى تقضِّي[1] آجالِكم، وتقدَّمَ ذكرُ هبوطِ آدمَ وحواءَ وإبليسَ والحيةِ في سورةِ البقرةِ.

* * *

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ يعني: فيها تعيشون.

﴿ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا ﴾ أي: من الأرض.

---

(١) في «ن»: «أن تقضى».

﴿ تُخْرَجُونَ ﴾ للبعثِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء(١).

***

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي: خلقنا لكم.

﴿ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ التي قصدَ الشيطانُ إبداءَها، ونُغنيكم عن خصفِ الورقِ، رُوي أن العربَ كانوا يطوفون بالبيتِ عُراةً، ويقولون: لا نطوفُ في ثيابٍ عَصَيْنا الله فيها، فكان الرجالُ يطوفونَ بالنهارِ، والنساءُ بالليل عراةً، فنزلَتْ(٢)؛ أمراً بالستر. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ بخلافٍ عنه: (يُوَارِي) بالإمالة(٣)، وهذه الآيةُ دليلٌ على وجوبِ سترِ العورةِ، ولا خلافَ بينَ الأئمةِ في وجوبِ سترِها عن أعينِ الناسِ.

واختلفوا في العورةِ ما هي؟ فقال أبو حنيفةَ: عورةُ الرجلِ ما تحتَ سُرَّتِهِ إلى تحتِ ركبتِه، والركبةُ عورةٌ، ومثلُه الأَمَةُ، وبالأولى بطنُها وظهرُها؛ لأنه موضعٌ مشتهىً، والمكاتَبَةُ وأمُّ الولدِ والمُدَبَّرَةُ كالأَمَةِ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٥).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٠).

وجميعُ الحرةِ عورةٌ إلا وجهَها وكَفَّيْها، والصحيحُ عنهُ أن قَدَميها عورةٌ خارجَ الصلاةِ لا في الصلاةِ، وقالَ مالكٌ: عورةُ الرجلِ فَرْجاه وفَخِذاهُ، والأَمَةُ مثلُه، وكذا المدبَّرَةُ والمعتقَةُ إلى أَجَلٍ، والحرَّةُ كلُّها عورةٌ إلا وجهَها ويديها، ويُستحبُّ عندَه لأمِّ الولدِ أن تَستر من جسدِها ما يجبُ على الحرةِ سترُه، والمكاتَبَةُ مثلُها. وقال الشافعيُّ وأحمدُ: عورةُ الرجلِ ما بينَ السُّرةِ والركبةِ، وليستِ الركبةُ من العورةِ، وكذا الأمَةُ، والمكاتَبَةُ وأمُّ الولدِ والمدبَّرَةُ والمعتَقُ بعضُها، والحرَّةُ كلُّها عورةٌ سوى الوجهِ والكفَّين عندَ الشافعيِّ، وعندَ أحمدَ سوى الوجهِ فقط على الصحيح، وأما سُرَّةُ الرجلِ، فليستْ من العورةِ بالاتفاق.

﴿وَرِيشًاۖ﴾ لباسَ زينةٍ تتجمَّلُون بها، فهي للأناسيِّ كالريشِ للطائرِ، المعنى: أنزلَ لكم لباسينَ: أحدُهما لسترِ عوراتِكم، والآخرُ لجمالكم.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هو خشيةُ الله والتورُّعُ، وقيلَ: هو ما يُلْبَس من الدروع ويُتَّقى به.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابن عامرٍ، والكسائيُّ: (وَلِبَاسَ) بنصبِ السين عطفاً على قولِه: ﴿لِبَاسًا﴾، وقرأ الباقونَ: بالرفع على الابتداء، وخبرُه (خَيْرٌ)، وجعلوا (ذَٰلِكَ) صِلَةً في الكلام(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إنزالُ اللباسِ.

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالَّةِ على فضلِه ورحمتِه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرفونَ نعمتَه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥١).

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ﴾ لا يُضِلَّنَّكُم .

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بأنْ يمنعَكُم دخولَ الجنةِ .

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم ﴾ آدمَ وحَوَّاءَ .

﴿ مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ بفتنتِه، النهيُ في اللفظِ للشيطان، والمعنى: نهيُهم عن اتِّباعه .

﴿ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ ليريَ كلَّ واحدٍ سوءةَ الآخر؛ أي: أخرجهما نازعاً ثيابَهما؛ لكونه سببَ النزعِ، ثم حذَّر منه مُعَلِّلاً فقالَ :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ جموعُه وأعوانُه ﴿ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ لأن الله سبحانه خلقَهم خَلْقاً لا يُرَوْنَ فيه، وإنما يُرَوْنَ إذا نُقِلُوا عن صورتهم .

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾ أعواناً ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يزيدون في غيِّهم .

* * *

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ ﴾ كعبادةِ الصنمِ، وكشفِ العورةِ في الطوافِ .

﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ ولم يَكْفِهِمْ تقليدُهم حتى قالوا مفترين: ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ لاستحالتِها في حقِّه؛ لأن عادتَهُ جرتْ على الأمرِ بمحاسنِ الأفعال .

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ إنكارٌ يتضمَّنُ النهيَ عن الافتراءِ على الله، وتقدَّم اختلافُ القراء في الهمزتين من كلمتين في سورةِ البقرة[1] عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وكذلكَ اختلافُهم في قوله: (بِالْفَحْشَاءِ أَتقُولُونَ).

* * *

﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ بالعدلِ والتوحيدِ.

﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ أي: صَلُّوا.

﴿ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ متوجِّهينَ للكعبةِ حيثُما صَلَّيتم، ولا تُؤَخِّروها حتى تعودوا إلى مساجِدِكم.

﴿ وَٱدۡعُوهُ ﴾ اعبدوه.

﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾ العبادةَ، ولما أنكروا البعثَ، قالَ محتجاً عليهم:

﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ ﴾ أنشأكُمْ حُفاةً عُراةً.

﴿ تَعُودُونَ ﴾ بإعادتِه، فيجازيكم على أعمالِكم.

* * *

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

---

(١) في جميع النسخ «النساء» والصواب ما أثبت.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ أي: هداهم اللهُ بأنْ وَفَّقهم للإيمانِ ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ﴾ أي: وجبَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ بمقتضَى القضاءِ السابقِ؛ أي: وخذلَ فريقاً.

﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تعليلٌ لخذلانِهم.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يدلُّ على أن الكافرَ المخطئَ والمعاندَ سواءٌ في استحقاقِ الذنبِ. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، وأبو جعفرٍ: (وَيَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها(١).

***

﴿۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] قالَ أهلُ التفسير: كان بنو عامرٍ يطوفونَ بالبيتِ عُراة، فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾(٢) لباسَكُم.

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ كُلَّما صَلَّيتم أو طُفْتم، وفيه دليلٌ على وجوبِ سترِ العورةِ في الصلاةِ، والحكمُ كذلكَ بالاتفاق.

﴿وَكُلُوا۟﴾ اللحمَ والدسمَ.

﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ اللبنَ؛ لأن طائفةً كانوا في حَجِّهم لا يأكلونَ إلا قوتاً.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ في شيءٍ ما.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: لا يرضَى فعلَهم، وفي معنى قولِه

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٩٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٣٦).

تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسُنِ الناسِ: الحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ.

* * *

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ هي ما سترَ العورةَ، وكلُّ ما يُتَجَمَّلُ به الإنسان[١] من الثيابِ وغيرِها حلالاً.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالاتِ ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ من المآكلِ والمشاربِ.

﴿قُلْ هِىَ﴾ أي: الزينةُ والطيباتُ.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه حذفٌ تقديره: هي للمؤمنين والمشركين في الدنيا، وللمؤمنين.

﴿خَالِصَةً﴾ أي: مختصَّةً بهم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا يُشاركهم فيها غيرُهم. قرأ نافعٌ: (خَالِصَةٌ) بالرفع على أنها خبرٌ بعدَ خبرٍ، أو خبرُ ابتداءٍ تقديرُه: وهي خالصةٌ يومَ القيامة، وقرأ الباقون: بالنصب على الحال و[٢]القطع؛ لأن الكلام قد تمَّ دونه[٣].

---

(١) «الإنسان» زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «أو».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٣).

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: كتفصيلنا هذا الحكمَ نفصلُ سائرَ الأحكامِ لهم.

***

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ ما قَبُحَ فحشُه، ويعمُّ كلَّ فاحشةٍ، قرأ حمزة: (ربِّي الْفَوَاحِشَ) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحها[1].

﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جهرَها وسرَّها.

﴿ وَٱلْإِثْمَ﴾ الذنبَ ﴿ وَٱلْبَغْيَ﴾ الظلمَ والكِبْرَ.

﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ حُجَّةً وبرهاناً.

﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من التحريمِ والتحليلِ.

***

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مُدَّةٌ، وهو وعيدٌ لأهلِ مكةَ.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ انقضَتْ مُدَّتُهم.

﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخَّرونَ، ولا يتقدمونَ، وقُيِّدَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٤).

بساعةٍ؛ لأنها أقلُّ ما يُستعملُ في الإمهال، وذلكَ حينَ سألوا العذابَ، فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ، ويُستدَلَّ بهذا على أن المقتولَ إنما يُقْتَلُ بأَجَلِهِ، وأجلُ الإنسانِ هو الوقتُ الذي يعلمُ الله أنه يموتُ الحيُّ فيه لا محالةَ، كما أن أَجَلَ الدَّيْنِ هو وقتُ حُلولِه، وتقدَّم اختلافُ القراء في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ في سورةِ النساء عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك اختلافُهم في قولِه: (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ).

***

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ الخطابُ في هذه الآيةِ لجميعِ الأممِ، و(إن) الشرطيةُ دخلَتْ عليها (ما) لتأكيدِ معنى الشرط، لذلكَ جازَ دخولُ (النون الثقيلة) على الفعلِ، وإذا لم تكنْ (ما)، لم يجزْ دخولُ (النون الثقيلة)؛ أي: إنْ يَأْتِكُم، أخبرَ أنه أرسلَ إليهم الرسلَ منهم؛ لتكونَ إجابتُهم أقربَ، وتَحَصَّلَ من هذا الخطابِ لحاضري محمدٍ ﷺ أنَّ هذا حكمُ اللهِ في العالَم منذُ أنشأه، وَ(يَأْتِيَنَّكُمْ) مستقبلٌ وُضعَ موضعَ ماضٍ؛ ليفهمَ أن الإتيانَ باقٍ وقتَ الخطابِ؛ لتقوى الإشارةُ بصحةِ النبوةِ إلى محمدٍ ﷺ.

﴿يَقُصُّونَ﴾ والقصصُ: إتباعُ الحديثِ بعضِه بعضاً.

﴿عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أحكامي، وجوابُ الشرطِ:

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشركَ.

﴿وَأَصْلَحَ﴾ العملَ.

﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ إذا خاف الناسُ .

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ إذا حزِنوا .

* * *

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ تكبَّروا عن الإيمانِ بها .

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ وإدخالُ الفاءِ في الخبرِ الأولِ دون الثاني للمبالغةِ في الوعدِ، والمسامحةِ في الوعيد .

* * *

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ جعلَ له شريكاً .

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ ﴾ بالقرآنِ .

﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ ﴾ أي : ما قُدِّرَ لهم من خيرٍ وشرٍّ في اللوحِ المحفوظِ .

﴿ حَتَّىٰ ﴾ غاية لما يصلُ إلى الكفار .

﴿ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ عندَ انقضاءِ ذلك .

﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ يقبضون أرواحَهم ؛ يعني : ملكَ الموتِ وأعوانَه .

﴿قَالُوٓا۟﴾ يعني: الرسلَ للكفارِ: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أين آلهتكم فيذبُّونَ عنكم؟ سؤالُ تبكيتٍ وتقريع.

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ غابوا فلم نرَهُمْ.

﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عندَ معاينةِ الموتِ.

﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ اعترفوا بالضلالِ فيما كانوا عليه.

* * *

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ يعني: يقولُ اللهُ لهم يومَ القيامةِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: معَ جماعاتٍ ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضتْ.

﴿مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعني: كفارَ الأممِ الخاليةِ.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي: المماثلةَ لها؛ لضلالِها بها[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا﴾ واجتمعوا في النارِ.

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ السفلةُ والأتباعُ.

---

(١) في «ت»: «به».

﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ القادةِ والرؤساءِ، ومعنى لأُولاهم؛ أي: لأجلِ أولاهم؛ لأنَّ خطابَهم مع اللهِ لا مَعهم.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ عن الهدى، وتقدَّم التنبيهُ على اختلافِ القراءِ في الهمزتينِ عند قوله: (لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتقُولُونَ) [الأعراف: ٢٨]، وكذلك اختلافُهم (هَؤُلاَءِ أَضَلُّونا).

﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضاعَفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لأنهم ضلُّوا، وأَضَلُّوا.

﴿قَالَ﴾ اللهُ: ﴿لِكُلٍّ﴾ من القادةِ والأتباعِ.

﴿ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكلٍّ واحدٍ من العذابِ. قراءة[1] الجمهورِ: (تَعْلَمُونَ) بالخطاب، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ بالغيب[2]؛ أي: لا يعلمُ الأتباعُ ما للقادةِ، ولا القادةُ ما للأتباعِ.

* * *

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ﴾ القادةُ ﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ للأتباعِ:

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: نحن وأنتم في الكفرِ سواءٌ، فثَمَّ تعالى يقولُ لهم جميعاً: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

* * *

---

(١) في «ن»: «قرأ».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٧).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: لا يصعَدُ لهم عملٌ صالح. قرأ أبو عمرٍو (تُفْتَحُ) بالتأنيثِ والتخفيف، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالتذكير والتخفيف، والباقون: بالتأنيثِ والتشديدِ[١].

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ﴾ يدخل.

﴿ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ ثُقْبِ الإبرةِ، المعنى: هؤلاء لا تُجاب أدعيتُهم، ولا يدخلون الجنةَ أبداً.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: ومثلَ ذلكَ الجزاءِ.

﴿ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المشركينَ.

* * *

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ فِراشٌ. قرأ أبو عمرٍو، ورويسٌ عن يعقوبَ: (جَهنَّم مِّهادٌ) بإدغام الميم في الأولى في الثانية[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ جمعُ غاشيةٍ؛ وما يُغَطِّيهم من أنواع العذابِ.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الكفارَ، رُوي عن يعقوبَ الوقفُ بالياء على (غَوَاشِي).

* * *

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) ﴾.

[٤٢] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ طاقتَها من الخيرِ والعملِ الصالحِ ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾.

[٤٣] عن عليٍّ رضي الله عنه قال: فينا واللهِ أهلَ بَدْرٍ نزلَتْ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ حقدٍ كانَ بينَهم في الدنيا، وإن كانتْ نازلةً في الصحابة رضي الله عنهم، فهي عامةٌ في جميعِ أهلِ الجنة؛ لأنهم لا يتحاسدون ولا يتباغضون، وقال علي أيضاً: «إنِّي لأرجو أن أكونَ أنا وعثمانُ وطلحةُ والزبيرُ مِنَ الذينَ قالَ لهم اللهُ عز وجل: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾»[1].

= (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦١).

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» (٢/ ٢٢٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٤٧٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٥٧).

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ زيادة في لَذَّاتِهم وسرورِهم.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا﴾ وَفَّقَنا.

﴿لِهَٰذَا﴾ لما جزاؤه هذا ﴿وَمَا كُنَّا﴾ قرأ ابن عامرٍ: (مَا كُنَّا) بغير واو[1].

﴿لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وجوابُ (لولا) محذوفٌ؛ أي: فلولا هدايةُ الله، ما كنا نهتدي، فعندَ معاينةِ أهلِ الجنةِ صدقَ إخبارِ الرسلِ ﷺ، قالوا: سروراً.

﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فثَمَّ أُكرِموا ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ أُعطيتُموها.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسببِ أعمالِكم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامرٍ: (أُورِثْتُمُوهَا) بإظهارِ الثاءِ، والباقون: بالإدغام[2].

***

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثوابِ ﴿حَقًّا﴾ صِدْقاً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٢).

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العقابِ.

﴿حَقًّا﴾ تقديرُه: وعد ربُّكم، فحذفَ (كُمْ) لدلالة (نا) الأول عليه؛ لأن وعدَ يُستعملُ في الخيرِ والشرِّ.

﴿قَالُواْ نَعَمْ﴾ وأجاب الكفار بنعم دون بلى؛ لأنَّ (نعم) جوابُ استفهامٍ دخلَ على إيجاب، وهو (وَجَدْتُم)، و(بلى) جوابُ استفهامٍ دخلَ على نفي؛ نحو: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قرأ الكسائيُّ: (نَعِم) بكسر العين حيثُ وقعَ، والباقون: بفتحها، وهما لغتان[1].

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: نادى منادٍ أسمعَ الفريقين.

﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين. قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ: (مُوَذِّنٌ) بفتح الواو بغيرِ همز[2]، وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وعاصمٌ: (أَنْ لَعْنَةُ اللهِ) بإسكانِ النونِ مخففةً، ورفعِ (لَعْنَةٌ)، واختلفَ عن قنبلٍ راوي ابنِ كثير، وقرأ الباقون: بتشديد النون، ونصبِ (لَعْنَةً)[3].

***

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يَصْرِفون الناسَ ﴿عَن سَبِيلِ﴾ طاعةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣).

﴿ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا ﴾ يطلبون اعوجاجَها، ويذُمّونها، فلا يؤمنون بها ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ (٤٦) ﴾.

[٤٦] ﴿ وَبَيۡنَهُمَا ﴾ أي: بينَ الجنةِ والنارِ.

﴿ حِجَابٞۚ ﴾ مانعٌ ليمنعَ وصولَ أثرِ إحداهما إلى الأُخرى، وهو السورُ المعروفُ بالأعراف، جمعُ عُرْفٍ؛ سُمِّي بذلكَ؛ لارتفاعه، ومنهُ عُرفُ الديكِ؛ لارتفاعِه على ما سواهُ من جسدِه.

﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ ﴾ أي: أعالي الحجاب، وهو السورُ الذي ذكره اللهُ في قوله: ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿ رِجَالٞ ﴾ هم قومٌ استوَتْ حسناتُهم وسيئاتُهم، فقصرتْ بهم سيئاتُهم عنِ الجنة، وتجاوزت بهم حسناتُهم عن النار، فوقفوا هناكَ حتى يقضيَ الله فيهم ما شاءَ، ثم يُدخلُهم الجنةَ بفضلِ رحمتِه، وهم آخرُ من يدخلُ الجنةَ.

﴿ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا ﴾ من أهلِ الجنةِ والنارِ ﴿ بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾ بعلامَتِهم، وهي بياضُ الوجهِ للمؤمنين، وسوادُه للكافرين.

﴿ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ أي: إذا نظروا إليهم، سَلَّموا عليهم، وقيل: المعنى: سَلِمْتُم من العقوبة.

﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا ﴾ أي: أصحابُ الأعرافِ لم يدخلوا الجنةَ.

﴿ وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ في دخولِها، فيدخلونها بعد، قالَ الحسنُ: «واللهِ

ما جعلَ اللهُ ذلكَ الطمعَ في قلوبهم إلا لخيرٍ أرادَهُ بهم»[1].

* * *

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ أبصارُ أهلِ الأعرافِ.

﴿ تِلْقَآءَ ﴾ ظَرْفٌ؛ أي: تُجاهَ.

﴿ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ فعرفوهم، ﴿ قَالُوا۟ ﴾ مستعيذينَ داعينَ:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني: الكافرين في النار، وتقدَّم اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمتين في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك اختلافُهم في ﴿ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ﴾.

* * *

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ من رؤساءِ الكفرةِ.

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ المالُ والولدُ في الدنيا.

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن الإيمان.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» (٢/ ٢٣٠)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٨). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٦٦).

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ثم يقولون للكفار، وهم الوليدُ بنُ المغيرةِ، وأبو جهلِ بنُ هشامٍ ونحوُهما؛ تنبيهاً على الأبرارِ ممن دخلَ الجنةَ، وهم سَلْمانُ(١)، وصُهَيْبٌ، وخَبَّابٌ، وبلالٌ وأشباهُهم الذين كانوا يحتقرونهم لفقرهم:

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ حلفتُم.

﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ أي: لا يدخلون الجنةَ؛ ثم يقالُ لأصحابِ الأعراف:

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ لا تخافونَ على ما يأتي، ولا تحزنون على ما فات. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ بخلافٍ عن ابنِ ذكوانَ راوي ابنِ عامرٍ: (بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا) (خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ) بضم التنوين في الوصل(٢).

* * *

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ ﴾ صُبُّوا.

﴿ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ ﴾ وَسِّعوا علينا.

---

(١) في «ن»: «سليمان».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣، ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٥).

﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ من طعام الجنة، وفيه دليلٌ على أنَّ الجنةَ فوقَ النار، وتقدَّم التنبيه على اختلافِ القراءِ في حكم الهمزتين من كلمتين عندَ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وكذلك اختلافهم في ﴿ مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا ﴾ يعني: الماءَ والطعامَ.

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ منعهما عنهم.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ كتحريمِ البَحيرةِ وأخواتِها، والمُكَاءِ والتَّصْدِيَةِ حولَ البيتِ، وغيرها مما كانوا يفعلونَ[١] في الجاهلية.

﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴾ نفعلُ بهم فعلَ[٢] الناسين، فنتركُهم في النار ﴿ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ فلم يُخْطِروه ببالِهم.

﴿ وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ يُنكرون أنها من عند الله.

* * *

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

---

(١) في «ن»: «يفعلونه».

(٢) في «ن»: «كما فعل».

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ أحكاماً وقصصاً.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عالمينَ بتفصيلِه.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: جعلناه هادياً وذا رحمةٍ.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المنتفعونَ به.

* * *

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرونَ.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما يؤول إليه من[١] أمرهم يومَ القيامةِ من الوعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ جزاؤه.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ اعترافاً حينَ لا ينفعُ.

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ حقيقةً.

﴿بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا﴾ اليومَ.

﴿مِن شُفَعَاءَ﴾ استفهامٌ فيهِ معنى التمنِّي.

﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا.

﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وجوابُ الاستفهامِ.

---

(١) «من»: زيادة من: «ت».

﴿ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ أهلكوها.

﴿ وَضَلَّ ﴾ بطلَ.

﴿ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ فلمْ ينفعْهم.

***

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾.

[٥٤] ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾ أي: في مقدارِها؛ لأن اليومَ من لَدُنْ طلوعِ الشمسِ إلى غروبها، ولم يكنْ يومئذٍ يومٌ ولا شمسٌ، وخلقَهُنَّ فيهنَّ تعليماً لخلقه التثبُّتَ والتأنِّي؛ لأنه سبحانه كان قادراً على خلقهنَّ في لمحةٍ[1]، وقد جاءَ في الحديث: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[2].

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ استواءً يليقُ بعظمتِه بلا كيفٍ، وهذا من المشكِلِ الذي يجبُ عندَ أهل السُّنَّةِ على الإنسانِ الإيمانُ به، ويَكِلُ العلمَ فيه إلى الله عز وجل، وسُئِلَ الإمامُ مالكٌ رضي الله عنه عن الاستواءِ فقالَ: «الاستواءُ معلومٌ؛ يعني: في اللغة، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ بهِ واجبٌ، والسؤالُ

---

(١) في «ن»: «كلمحة».

(٢) رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٨٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٢٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٠٤)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

عنهُ بِدْعَةٌ»[1]، وسُئِل الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه عن قولِه تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، فقال: «هُوَ كما أخبرَ، لا كما يخطرُ للبشَرِ»[2]، والعرشُ في اللغة: هو السريرُ، وخُصَّ العرشُ بالذكرِ تشريفاً له؛ إذ هو أعظمُ المخلوقات.

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ يُغطِّي أحدَهما بالآخرَ، وفيهِ حذفٌ؛ أي: ويُغْشي النهارَ الليلَ، ولم يُذْكَرْ؛ لدلالةِ الكلامِ عليه. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصم، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يُغَشِّي) بالتشديد مع فتح الغين، وله قولٌ بإسكانِ الغين والتخفيفِ[3].

﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ يَعْقُبُه سريعاً.

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ ﴾ مُذَلَّلاتٍ.

﴿ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ بمشيئته. **قرأ** ابنُ عامرٍ: (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ) كلُّها بالرفع على الابتداء والخبرِ، فالشمسُ مبتدأ، والبقيةُ معطوفة عليه، وخبرُه (مُسَخَّراتٌ)، **وقرأ** الباقونَ: بالنصبِ وكسرِ التاء من (مُسَخَّرَاتٍ) تاء جمع المؤنث السالم عطفاً على قوله: (خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ)، فتنصب (مُسَخَّراتٍ) حالاً[4].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥_٣٢٦).

(٢) انظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٣/ ٤٠١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٨).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، =

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ بأن يأمرَهم ويحكُمَ فيهم ما شاء.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: دامَ ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وتعظَّمَ بالتفرد في الربوبية.

* * *

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ تذلُّلاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سِرّاً. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَخِفْيَةً) بكسر الخاء، والباقون: بالضم[1]، وقد أثنى الله على زكرياء بقولِه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، قال الحسنُ: «بينَ دعوةِ السرِّ ودعوةِ العلانيةِ سبعون ضِعْفاً»[2]، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوتٌ، إن كان إلا همساً بينَهم وبينَ ربِّهم.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزينَ برفعِ الصوتِ والتشدُّقِ في الدعاءِ.

* * *

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظلمِ والشركِ.

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٩).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١١٠).

﴿ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ بالعدلِ ببعثِ الأنبياءِ وشرعِ الأحكامِ.

﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا ﴾ من الردِّ ﴿ وَطَمَعًاۚ ﴾ في الإجابة.

﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ذُكِّرَ (قريبٌ) على تأويلِ أنها الثوابُ ﴿ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ و(رَحْمَتَ) رُسمت بالتاء في سبعةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ[١].

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرِّيحَ) بغيرِ ألفٍ بعدَ الياء، والباقون: بالألف[٢].

﴿ بُشۡرَۢا ﴾ قرأ عاصمٌ (بُشْرًا) بالباء الموحدة وضمِّها وإسكانِ الشين؛ أي: تبشِّرُ بالمطر، وقرأ ابنُ عامرٍ: بالنونِ وضمِّها وإسكانِ الشين، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتحِ النونِ وإسكانِ الشين، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «المقنع في رسم مصاحف الأمصار» للداني في باب: ذكر ما رسم في المصاحف من هاءات التأنيث (ص: ٢٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٢٤٢)، والمواضع السبعة هي: في هو و﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ﴾، وفي مريم: ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ ﴾، وفي الزخرف: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ﴾، و﴿ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ وفي الروم: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ وفي هذه الآية.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٠).

بضمِّ النونِ والشينِ، جمعُ نُشور[1]، والقراءة بالنون معناها على القراءات كلِّها متفرقةً، وهي الرياحُ التي تهبُّ من كل ناحيةٍ.

﴿ بَيْنَ يَدَىْ ﴾ أي: قُدَّامَ ﴿ رَحْمَتِهِۦ ﴾ نعمتِه، وهو المطرُ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ ﴾ حملَتِ الرياحُ.

﴿ سَحَابًا ﴾ جمعُ سحابةٍ.

﴿ ثِقَالًا ﴾ بالماءِ.

﴿ سُقْنَٰهُ ﴾ أي: السحابَ، وقيلَ: المطرُ.

﴿ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ محتاجٍ إلى الماء. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (مَيِّتٍ) بتشديد الياء، والباقون: بالتخفيف[2].

﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ﴾ أي: بالبلد، وقيل: بالسحاب ﴿ ٱلْمَآءَ ﴾ يعني: المطرَ.

﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ بالبلدِ، وقيل: بالسحابِ.

﴿ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ مثلَ إخراجِنا النباتَ.

﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ منَ الأجداثِ ونُحييها.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ فتؤمنونَ بالبعثِ. وتقدَّمَ اختلافُ القراءِ في تخفيفِ (تَذْكُرونَ) في أولِ السورةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١١١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٣)، وروِيت بخلاف عن عاصم.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ثم ضربَ مثلاً لمن ينتفعُ بالوعظ، ولمن لا ينتفعُ به بعدَ ذكرِ المطرِ وإخراجِ النباتِ والثمراتِ تشبيهاً له بها فقال:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي: الأرضُ الكريمةُ التربةِ.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ حسناً.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ كالسَّبخةِ ونحوِها.

﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباتُه.

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً. قرأ أبو جعفرٍ: (نَكَداً) بفتح الكاف مصدراً؛ أي: ذو نكد، والباقون: بكسرها[1]، وعن أبي جعفر وجهٌ: (لا يُخْرِجُ) بضمِّ الياء وكسر الراء، وعنه: وجهٌ آخرُ بضمِّ الياءِ وفتحِ الراء، فالأولُ مثَلُ المؤمنِ الذي يسمعُ القرآنَ فيعقلُه وينتفعُ به، والثاني مَثَلُ الكافرِ الذي لا يسمعُ القرآنَ، فلا يؤثِّر فيه كالبلدِ الخبيثِ.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نُردِّدها ونوضِّحُها.

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ الله.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٤).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ اللام في (لَقَدْ) للتأكيدِ المنبِّهِ على القسم، أقسمَ اللهُ تعالى أنه أرسلَ نوحاً، وتقدَّمَ ذِكْرُ نوحٍ عليه السلام، ونسبُه، وقدرُ عمره، ومحلُّ قبرِه في سورةِ آلِ عمرانَ، بعثه اللهُ إلى قومِه وهو ابنُ خمسينَ سنةً، وقيل: ابنُ أربعينَ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ، وقيلَ: ابنُ مئتين وخمسين، وقيل: ابنُ ثلاثِ مئةٍ وخمسين، وقال مقاتل: ابنُ مئةِ سنةٍ، وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: بُعث نوحٌ وهو ابنُ أربعِ مئةِ سنةٍ، وهو أولُ نبيٍّ بعثه اللهُ بعدَ إدريس، وكان نجاراً، ومن أولادِه سامٌ وحامٌ ويافثٌ، فسامٌ هو أبو العربِ وفارسَ والرومِ وأهلِ الشامِ وأهلِ اليمنِ، وكان هو القيِّم بعدَ نوحٍ في الأرض، ومن ولدِهِ الأنبياءُ كلُّهم، عربُهم وعجمُهم، وجعلَ اللهُ في ذريته النبوةَ والكتابَ، وهو الذي اختطَّ مدينةَ القدسِ، وأَسَّس المسجدَ الأقصى، وكان مَلِكاً عليها، وحامٌ أبو السودانِ وأهلِ الهندِ والسندِ والزنْجِ والحبشةِ والنوبةِ وكلِّ جلدٍ أسودَ، ويافثٌ أبو التركِ ويأجوجَ ومأجوجَ والفرنجِ.

﴿فَقَالَ﴾ لقومِه، وكانوا أهلَ أوثانٍ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوهُ.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، والكسائيُّ: (غَيْرِهِ) بكسر الراء على نعتِ الإلهِ حيثُ وقعَ، والباقونَ: بالرفع على التقديم؛ أي: ما لكم غيرُهُ من إلهٍ[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، =

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ إن لم تؤمنوا.

﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ هو يومُ القيامةِ، أو يومُ الطوفان. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

* * *

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ ﴾.

[٦٠] ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ ﴾ أي: الأشرافُ، فإنهم يملؤون العيونَ والنفوسَ.

﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ ﴾ خطأٍ ﴿ مُّبِينٖ ﴾ واضحٍ.

* * *

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ ﴾.

[٦١] ﴿ قَالَ ﴾ نوحٌ: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾ أي: شيءٌ من الضلال، وهي أعمُّ، وفي نفيها نفيُ جميعِ الضلالِ؛ نحو: ألكَ تمرٌ؟ ويقولُ: ولا تمرةٌ، ثم استدركَ مؤكِّداً نفيَ الضلالةِ فقالَ:

﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ المعنى: ولكني على هُدًى في الغاية؛ لأني رسولٌ من الله.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٥).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٧).

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ أُبَلِّغُكُمْ ﴾ أُوصلُ إليكم.

﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾ بالأحكامِ، وجُمعَ الرسالاتُ؛ لاختلاف أوقاتها؛ أو لِتنوُّعِ معانيها. قرأ أبو عمرٍو: (أُبْلِغُكُمْ) بالتخفيفِ من الإبلاغ، والباقون: بالتشديد من التبليغ.

﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ وحقيقةُ النصحِ: إرادةُ الخيرِ لغيرِه كما يريدهُ لنفسه.

﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أن عقابه لا يُرَدُّ عن القومِ المجرمين.

* * *

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾ ألفُ استفهامٍ دخلتْ على واوِ العطف لمعنى التقرير والتوبيخِ، تقديره: أَكَذَّبْتُم وعَجِبتم.

﴿ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ ﴾ موعظةٌ.

﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ على لسانِه.

﴿ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ العذابَ إن لم تؤمنوا.

﴿ وَلِتَتَّقُوا۟ ﴾ اللهَ ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ بالتقوى.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ ﴾ من الطوفان.

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ السفينةِ، وهم من آمن به، وكانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة.

﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ بالطوفانِ.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ عُمْي القلوب.

* * *

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾ أي: وأرسلْنا إلى عادٍ، وهم ولدُ عادِ بنِ عوصِ بنِ عبدِ الله بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وهي عادٌ الأولى.

﴿ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ في النَّسبِ لا في الدِّينِ، هو ابنُ عبدِ اللهِ بنِ رباحِ بنِ الخلودِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، بعثه الله إلى عادٍ نبياً، وكان من أوسطِهم نسباً، وأفضلِهم حسباً، وهودٌ اسمٌ(١) أعجميٌّ، وانصرَفَ لخفتِه؛ لأنه على ثلاثةِ أحرفٍ، وبعثه اللهُ بعدَ نوحٍ وقبلَ إبراهيم، وكانت عادٌ ثلاثَ عشرةَ قبيلةً ينزلونَ الرمالَ رملَ عالجٍ، وكانوا أهلَ بساتينَ وزروعٍ وعمارةٍ، بنَوا حي حضرموتَ باليمنِ، فسخطَ اللهُ عليهم، فجعلهم مفاوزَ، وكانوا يعبدون الأصنامَ، وهم جبَّارونَ، طِوالُ القاماتِ، فبُعثَ إليهم

(١) «اسم» ساقطة من «ن».

بالتوحيدِ وتركِ الظُّلْمِ، ولم يأمُرهم بغيرِ ذلك.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ تقدَّمَ اختلافُ[1] القراء في (إِلَهٍ غَيْرُهُ) في الحرفِ المتقدم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ نقمته.

***

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ يا هودُ.

﴿فِي سَفَاهَةٖ﴾ جهالةٍ وخِفَّةِ عقلٍ حيثُ تركتَ دينَ قومِك.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في رسالتِكَ.

***

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾.

[٦٧] ﴿قَالَ﴾ هودٌ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾.

***

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾.

[٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ﴾ أدعوكم إلى التوبة.

﴿أَمِينٌ﴾ على الرسالة.

وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (أُبَلِّغُكُمْ) في الحرف المتقدِّم.

---

(١) في «ش»: «خلاف».

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني: نفسَه.

﴿لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: سكانَ الأرضِ من بعدِ إهلاكِهم.

﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ قوةً وطولاً، وكانَ طولُ الطويلِ منهم مئةَ ذراع، والقصيرِ ستين ذراعاً. قرأ خلفٌ لنفسِه، وعن حمزةَ، والدوريُّ عن أبي عمرٍو، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (بَسْطَةً) بالسين؛ لأنها الأصل، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بالصاد بدلاً من السين، واختلف عن قنبلٍ والسوسيِّ وابنِ ذكوانَ وحفصٍ وخلادٍ، ورسمُها بالصادِ[1].

﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نِعَمَهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تدركونَ البغيةَ والآمال.

* * *

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ أي: مفرداً موحَّداً.

﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنامِ؟

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٨)، وقد ذكرت القراءة بالصاد عن نافع والكسائي والبزي وابن ذكوان.

﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ من العذابِ.

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قالوا ذلكَ له استهزاءً.

***

﴿ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالَ ﴾ هودٌ ﴿ قَدۡ وَقَعَ ﴾ وَجَبَ ﴿ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ ﴾ عذابٌ ﴿ وَغَضَبٌۖ ﴾ سخطٌ.

﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾ أو وضعتموها.

﴿ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ ﴾ حجةٌ وبرهان؛ أي في أشياء سميتموها آلهةً، وليس فيها معنى الإلهية، وكانت الأصنام يعبدونها ويسمونها بأسماء مختلفة، وهي: صُداءُ، وصَمُودُ، والهُبَاءُ، وكانوا قد فَشَوْا في الأرض، وقهروا أهلَها بقوَّتهم.

﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ نزولَ العذابِ.

﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ فأُرسلتِ الريحُ العقيمُ عليهم، فدخلوا بيوتَهم، فأخرجَتْهم الريحُ منها، وأهالت عليهم الرمالَ سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ، ثم رمتْ بهم في البحر.

***

﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢ ﴾.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ يعني: هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنينَ.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بأَنْ جُعلوا في حظيرةٍ ما يصلُ إليهم من الريح إلا ما يُلَيِّنُ عليهم جلودهم.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: استأصلناهم عن آخرِهم.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: هلكَ الكفارُ، ونجا المؤمنون.

ويُروى أنه كان من عادٍ شخصٌ اسمهُ لُقمانُ، وهو غيرُ لقمانَ الحكيمِ الذي كانَ على عهدِ داودَ النبيِّ عليه السلام، ولحقَ هودٌ حين أُهلك قومُه بمن آمنَ معه بمكَّة، فلم يزالوا فيها حتى ماتوا فيها، وقيل إن قبرَه بحضرموتَ، ورويَ(١) أن النبيَّ من الأنبياءِ كان إذا هلكَ قومُه، أقام بصالحيه بمكةَ يعبدونَ اللهَ حتى يموتون(٢).

* * *

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ هو ثمودُ بنُ عابرِ بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، والمراد هنا: القبيلةُ، وقيلَ: سُميت ثمودَ؛ لقلةِ مائِها، والثَّمَدُ: الماءُ القليلُ،

---

(١) في «ن»: «ويروى».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/١١٦-١١٧).

وكانت مساكنُهم الحِجْرَ بينَ المدينةِ الشريفةِ والشامِ، وكانوا عرباً يعبدونَ الأصنامَ.

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: أرسلْنا إلى ثمودَ أخاهم في النَّسبِ لا في الدِّينِ.

﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ هو ابنُ عبيدِ بنِ أسفِ بنِ ماسحِ بنِ عبيدِ بن حاذرِ بنِ ثمودَ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ وبالغَ صالحٌ في الإنذارِ، وادَّعى[1] النبوةَ وقال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ حجةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صِدْقي، فقالَ سيدُهم جُندعُ بنُ عمرٍو: تُخرِجُ لنا من هذهِ الصخرةِ ناقةً مُخْتَرَجَةً وَبْراءَ عُشَراءَ، والمخترجةُ: ما شاكلَتِ البخت من الإبلِ، فقال: إن فعلتُ تؤمنوا؟ قالوا: نعم، فأخذَ مواثيقَهم على ذلك، فتمخَّضَتِ الصخرةُ عن ناقةٍ كما أرادوا، ثم نُتِجَتْ مثلَها في العِظَمِ.

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أضافها إلى الله على التفضيل؛ لأنها جاءت من عنده بلا وسائطَ[2] وأسبابٍ معهودةٍ.

﴿لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾ نصبٌ على الحالِ.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ من المرعى ﴿فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ﴾، فالأرضُ له، والناقةُ ناقته، لا اعتراضَ لكم عليها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بِعَقرٍ ولا ضَرْبٍ.

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فآمنَ جُندعُ ورهطُه.

---

(١) في «ن»: «وادعاء».

(٢) في «ن»: «بلا واسط».

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ولما هلكت عادٌ، خلفتها ثمودُ في الأرض، وعَمَّروا القصورَ، ونحتوا البيوتَ في الجبال، فقال:

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴾ أنزلَكم.

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ أي: تبنونَ من سهولها بما تعملون من اللَّبِنِ والآجُرِّ.

﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ كانوا ينقبونَ في الجبال البيوتَ، ففي الصيفِ يسكنون بيوتَ الطين، وفي الشتاءِ بيوتَ الجبلِ.

﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ نعمَه.

﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ والعَيْثُ: أَشَدُّ الفسادِ.

* * *

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾. قرأ ابنُ عامرٍ (وَقَالَ الْمَلأُ) بواو، وقرأ الباقون: بغير واو[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٩).

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ يعني: الأشرافَ والعامةَ الذين تعظَّموا عن الإيمانِ بصالح.

﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ يعني: الأتباعَ.

﴿ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ يعني: قالَ الكفارُ للمؤمنين:

﴿ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ إليكم.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ لا شكَّ عندَنا فيه.

* * *

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ جاحِدونَ.

* * *

﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] فلما أَضَرَّتِ الناقةُ بمواشيهم، كَمَنَ لها قُدار بنُ سالفٍ بطريقِها بجماعةٍ تسعةٍ، وكمنَ لها مصدعُ بنُ مِهْرجٍ بطريقٍ آخرَ، فمرَّتْ بمصدعٍ فرماها بسهمٍ، فانتظمَ ساقَها، وشدَّ قُدارٌ عليها، فَعَرْقَبها بالسيفِ، فخرَّتْ ورَغَتْ تحذِّرُ سَقَبَها، ثم طَعَنَ في لَبَّتِها فنحَرها ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ عَرْقبوها فقتلوها، واقتسموا لحمَها، فجاءَ صالحٌ فرآهُ الفصيلُ فبكى، ثُمَّ رغَا ثلاثاً، فانفجرتِ الصخرةُ التي خرجتْ منها أمُّه فدخَلَها، وكانَ يومَ الأربعاء.

﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن امتثالِهِ، فقال صالحٌ: انتهكْتُمْ حرمةَ اللهِ، فأبْشِروا بعذابِه ونِقْمته، وقالوا وهم يستهزئون: ومتى ذلكَ يا صالح؟ قال: تعيشونَ بعدَه ثلاثةَ أيام تصفرُّ وجوهُكم أولَ يومٍ، وتحمرُّ في الثاني، وتسوَدُّ في الثالث، ويُصَبِّحُكُم العذابُ في الرابع، وكان كذلك، فاستهزَؤوا ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

* * *

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلةُ الشديدةُ، وجاءتهم صيحةٌ من السماء فيها صوتُ كلِّ صاعقةٍ، فتقطَّعَتْ قلوبُهم فماتوا.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ بعضُهم على بعضٍ.

* * *

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرضَ.

﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي: لم تقبلوا نُصْحي، ناداهُم بذلك توجُّعاً على ما فاتَهُ من إسلامهم، وتوبيخاً لهم، كما خاطبَ رسولُ الله ﷺ أهلَ قَليبِ بَدْرٍ وقال: «إنَّا وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً»[١]، وسارَ

(١) رواه البخاري (٣٧٥٧)، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، ومسلم (٢٨٧٤)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من =

صالحٌ إلى فلسطين، ثم انتقل إلى الحجاز يعبدُ الله إلى أن ماتَ بمكةَ، وقيل: بحضرموتَ، وهو ابنُ ثمانٍ وخمسينَ سنةً، وأقامَ في قومِه عشرين سنةَ، وقيل: إنه أقامَ بعدَ مهلكِ قومِه بفلسطينَ، وأن قبرَه بالمغارةِ التي بالجامعِ الأبيضِ بالرَّمْلَةِ، وهودٌ وصالحٌ عَرَبيان، وكذلكَ شُعيبٌ وإسماعيلُ.

***

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿وَلُوطًا﴾ أي: وأرسلْنا لوطاً، وتقدَّمَ ذكرهُ في سورةِ الأنعامِ، ولوطٌ اسمٌ أعجميٌّ صُرِفَ لخفَّتِه، لأنه على ثلاثةِ أحرفٍ وهو ساكنُ الوَسَط.

﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: وقتَ قولِه.

﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وهم أهلُ سَدومَ وقُراها، وهي[1]: عَمُورا، وأَدْم، وأَصْبُوئِن، ولُوشَع، وكان لوطٌ قد هاجرَ مع عمِّهِ إبراهيمَ عليه السلام إلى الشامِ، فنزل إبراهيمُ فلسطينَ، وأنزلَ لوطاً الأردنَّ، وهو نهرُ الشريعةِ شرقيَّ بيتِ المقدسِ، فأرسله الله إلى أهل سدومَ، فقالَ لهم مستفهماً على جِهَةِ التوبيخ:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: السيئة القبيحةَ، وهي إتيانُ الذكورِ[2].

= الجنة أو النار عليه، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(١) في «ن»: «وهم».

(٢) في «ن»: «الرجال».

﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ رُوي أنه لم تكن هذه المعصية في أمةٍ قبلَه، عَلَّمَهم إياها الخبيثُ إبليسُ.

* * *

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿ إِنَّكُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (إِنَّكُمْ) بهمزةٍ واحدةٍ على الخبرِ، والباقونَ: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم تَسْهيلاً وتحقيقاً وفصلاً[1]، كما تقدَّمَ في سورة الأنعامِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ في أدبارِهم.

﴿ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني: أدبارُ الرجالِ أشهى عندَكم من فروج[2] النساءِ.

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ مجاوزونَ الحلالَ إلى الحرام؛ وتقدَّمَ حكمُ الزِّنا واللواطِ ومذاهب الأئمة فيه في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الآية: ١٥].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢، ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٠).

(٢) في باقي النسخ: «دون».

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ بعدَ موعظتِه إياهم.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ أي: قالَ بعضُهم لبعضٍ:

﴿ أَخْرِجُوهُم ﴾ أي: لوطاً وأتباعَهُ.

﴿ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ ﴾ ثم قالوا استهزاءً: ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ يَتنزَّهونَ عن أدبارِ الرجالِ.

* * *

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٨٣ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ المؤمنينَ.

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الماضينَ؛ لأنها كانتْ مواليةً لهم، فهلكَتْ معهم.

* * *

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٨٤ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ ﴾ حجارةً، وقيلَ: الكبريت، قال أبو عبيدة: يقالُ في العذابِ: (أَمْطَرَ)، وفي الرحمة (مَطَرَ)[1] ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٨).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ هو ابنُ إبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام، سميت المدينةُ باسمه، وهي[١] على بحر القُلْزُمِ تحاذي تبوكَ على نحوِ ستِّ مراحلَ، وهي البئرُ التي استقى منها[٢] موسى لسائمةِ شعيبٍ، وهي في عصرِنا منزلةٌ للحجاجِ المتوجِّهين من مصرَ وبيتِ المقدسِ إلى مكةَ المشرفةِ، وتسمَّى في هذهِ الأزمنةِ مغارةَ شُعيب، والمغارةُ في لحفِ الجبلِ، وفيها شجرٌ عظيمٌ من الجانبِ الغربيِّ، وقومُ شعيبٍ هم أصحابُ الأيكة، وكانت الأيكةُ من شجرٍ مُلْتَفٍّ.

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: أرسلْنا إليهم أخاهم في النَّسَبِ لا في الدِّينِ.

﴿شُعَيْبًا﴾ واختُلِفَ في نسبه، فقيل: هو ابنُ ثوبةَ[٣] بنِ مدينَ بنِ إبراهيمَ، وقيل: ابنُ مَيْكيكَ بنِ يَشْجُرَ بنِ مدينَ بنِ إبراهيمَ، وأُمُّ ميكيكَ بنتُ لوطٍ، وكان شعيبٌ أعمى، وكان يقال له: خَطيبُ الأنبياءِ؛ لحسنِ مراجعتِه قومَه، وكانوا أهلَ كفرٍ وبَخْسٍ للمكيالِ والميزانِ، وكانوا يظلمونَ الناسَ.

---

(١) في «ن»: «وهو».

(٢) في «ن»: «به»، وفي «ظ» و«ت» و«ش»: «بها».

(٣) في «ن»: «ذوبة».

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ على صِدْقي، ولم تُذْكَرْ معجزاتُه في القرآنِ كما يذكَرُ جميعُ معجزاتِ محمدٍ ﷺ، ومن معجزاتِهِ تَغَصُّنُ العَصا، وحملُها أيَّ ثمرةٍ شاءَ موسى، وحملُها متاعَ موسى في رعايةِ الغنمِ، ومحاربةُ عدوٍّ إن عرضَ لهُ، وأن تصيرَ كالدَّلْوِ يسقي بها غنمَهُ إن احتاجَ، فإنَّ ذلكَ كانَ معجزةً لشُعيبٍ؛ لأن موسى لم يكنْ بعدُ نبياً.

وكان الغريبُ إذا دخلَ إلى قومِهِ، أخذوا دراهَمه، وقالوا: هي زُيوفٌ، فيقطِّعونَها ثم يشترونَها بنُقصانٍ، وربما أعطوهُ بدلَها زُيوفاً، فقال:

﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ﴾ أَتِمُّوهُ ﴿ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ﴾ تنقُصوا ﴿ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ حقوقهم.

﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾ ببعثِ الرسلِ وتوضيحِ الشرائع.

﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ أي: العدلُ ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ في الدنيا والدين.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ مصدِّقين قولي.

***

﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ ﴾ طريقٍ من طرقِ الحقِّ ﴿ تُوعِدُونَ ﴾ مَنْ آمنَ بشعيبٍ العقوبةَ.

﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن دينِهِ ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ ﴾ تطلبونَ اعْوِجاجَها بإلقاءِ الشُّبَهِ للناسِ نَهْيِهِم عن الإسلامِ.

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ ﴾ بَعْدَ قلَّةِ العَدَدِ والعُدَدِ بالبركةِ في النسلِ والمالِ(١).

﴿ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: آخِرَ أمْرِ قومِ لوطٍ.

***

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ ﴾ فصِرْتُم فريقين: مُصدِّقين ومكذِّبين.

﴿ فَٱصْبِرُواْ ﴾ فانتظروا ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ ﴾ بإنجاءِ المؤمنين، وإهلاكِ الكافرين.

﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ لأن الحكَمُ العدل، وليس هذا أمراً بالمقام على الكفر، ولكنه وَعيدٌ وتهديدٌ.

***

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ يعني: الرؤساءَ الذين تعظَّموا عن الإيمانِ لشعيبٍ وأتباعِهِ:

---

(١) في «ن»: «والولد».

﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾ لترجعُنَّ.

﴿ فِى مِلَّتِنَا ﴾ دينِنا، ولم يكنْ شعيبٌ قطُّ على دينِهم، وإنما تناولَهَ الخطابُ تغليباً للجمْع على الواحد؛ لأن مَنْ تبعَه كانَ منهم.

﴿ قَالَ ﴾ شعيبٌ ﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ أي: وإن كُنَّا كاريهنَ فتجبرونا على الخروج عليه[1]؟

* * *

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ثم استأنفَ قائلاً: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: ما أكذَبنا على الله.

﴿ إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾ ثم قال مشيراً إلى أنْ لا حكمَ له:

﴿ وَمَا يَكُونُ ﴾ وما يَصِحُّ ﴿ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ خِذْلاننا فنعود، وفيه دليلٌ على أن[2] الكفرَ بمشيئته.

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ أحاطَ علمهُ بكلِّ شيءٍ.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ فيما تُوعِدوننا به، ثم دعا شعيبٌ بعدما ما أَيِسَ من صلاحِهم فقال:

---

(١) «على الخروج عليه» زيادة من «ن».

(٢) «أن» ساقطة من «ن».

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ ﴾ اقض ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ والفتّاحُ: القاضي ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ القاضِينَ.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾ وتركتُمْ دينكُم.

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ مَغْبونونَ.

* * *

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلةُ، وأهلَكَهم اللهُ بسحابةٍ أمطرَتْ عليهم ناراً يومَ الظُّلَّةِ، وذلك أنهم رَأَوا حَرّاً شديداً، فدخَلُوا الأسرابَ، فوجدُوها أشدَّ حَرّاً، فخرجوا منها، فرأَوا سحابةً، فاستظلُّوا بها، فأمطرَتْ عليهم ناراً، فاحترقوا، وصاروا رماداً.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ سبقَ تفسيرُه في قصةِ صالحٍ. ولما نزلَ بهمُ العذابُ، نَجَّينا شعيباً بمن آمنَ معه إلى الموضعِ المعروفِ بأيلةَ، ويأتي ذكرُه في السورةِ إن شاء الله تعالى. قال أبو عبد الله البجلي: كانَ أبو جادٍ، وهَوَّز، وحُطِّين، وكَلَمُنْ، وسَعْفص، وقُرِشَتْ، مُلوكَ مَدْيَنَ، وكان ملِكُهم في زمنِ شُعيبٍ يومَ الظُّلَّة كَلَمُن، فلما هلكَ قالتِ ابنتُه تبكيه:

كَلَمُنَ قد هَدَّ رُكْنِي هُلْكُهُ وَسْطَ الْمَحِلَّهْ

سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْحَتْفُ ناراً تَحْتَ ظُلَّهْ

جُعِلَتْ نَاراً عَلَيْهِمْ دارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّهْ(١)

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ ﴾ يُقيموا ﴿ فِيهَا ۚ ﴾ والمغاني: المنازلُ، واحدُها مَغْنَى.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ديناً ودنيا، لا الذين اتَّبَعُوه كما زعمَ الكفارُ.

* * *

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أعرضَ شعيبٌ من بينِ أظهُرِهم حينَ أتاهُمُ العذابُ.

﴿ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ ﴾ قالَه تأسُّفاً لشدةِ حزنِه عليهم، ثم أنكرَ على نفسه فقال:

﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أَحْزَنُ ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ بعدَ إنذاري لهم، ومبالغتي في نُصْحِهم، وقبرُ شعيبٍ بقريةِ حِطِّينَ من أعمالِ مدينةِ صَفَد، مسافتُها عن بيتِ المقدسِ نحوُ ثمانيةِ أيام.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٦٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٠ـ١٣١).

مُحتَوَى المجلَّد الثَّاني

* * *